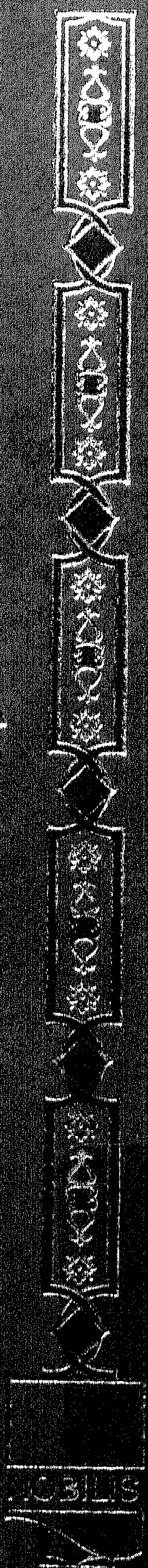
موسوعة
عالم علم النفس



الموسوعة النفسيّة الجنسيّة ④

إسم الموسوعة	:	موسوعة عالم عِلم النفس
إسم المؤلّف	:	الدكتور عبد المنعم الحفني
إعـداد	:	قسم الدراسات في دار نوبِليس
		بـإشراف الأستـاذ غسّان شديـد
قياس الكتاب	:	27.5 × 19.5 سم
عدد صفحات الجزء	:	256
عدد صفحات المجموعة	:	6436
إسم الكتاب	:	الموسوعة النفسية الجنسيّة - مجلد (4)
مكان النشر	:	بيروت – لبنان
دار النشر والتوزيع	:	دار نوبِليس
تلفاكس	:	961 1 583475
تلفون	:	961 1 581121
		961 3 581121
الطبعة الأولى	:	2005

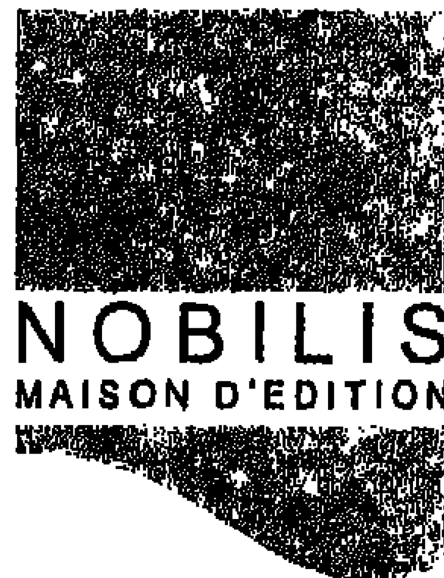
عالم عِلم النفس

6

الدكتور عبد المنعم الحفني

الموسوعة النفسيّة الجنسيّة

المجلّد الرابع



ـ ١٤ ـ
الدوار النفسي الجنسي Psycho sexual Vertigo

قد تسمع أنّ فتاة تشعر بالدوار يتملك رأسها وتترأرأ له عيناها كلما قابلت فتاها أو عندما يقبلها لأول مرة. وقد تقول بعض النساء إنهن يشعرن بهذا الدوار حتى ليغشى عليهن عندما يأتيهن الإنعاظ. والدوار من هذا النوع نفسي المنشأ، وهو غير الدوار العضوي الذي له أسبابه العضوية بالدورة الدموية، أو يترافق واضطرابات المخ، أو بسبب التهابات الأذن الداخلية.

والدوار شأنه مثل حمرة الخجل قد يكون استجابة قلق، ولأعراضه معان رمزية تتصل بالصراعات النفسية الداخلية، فعندما تتفجر الدوافع الغريزية بالمرء فإنها تدفعه إلى الحركة من أجل إشباعها، غير أنها إذا كانت دوافع غريزية مكبوتة فإنّ هذه الحركة تتعطل ويحل محلها الدوار، فمثلاً قد تستبد بإحدى النساء رغباتها الجنسية وتكون بها ميول للبغاء، وقد تأتيها لذلك أحلام يقظة بأنها أصبحت بغياً فعلاً وتتوهم نفسها كذلك، وعندئذ قد تعاني من دوخة تعترض أحلامها، وتستشعر خدراً يسري في أطرافها ويختل بسببه توازنها، حتى لتسرع فتستند إلى شيء أو تجلس، ويستمر الدوار يتملك رأسها، وهو هنا يتدخل ليمنع حركتها لتنفيذ رغباتها الجنسية ويحول بينها وأن تجوب الشوارع كالبغايا، والدوار وسيلة دفاعية من الأنا ضد الرغبات اللاشعورية أو الأفكار الممنوعة أو المحرمة، أو أنه العقاب الذي يوقعه الأنا الأعلى بالأنا نتيجة هذه المشاعر والأفكار المحرمة. وكلما كان الدوار شديداً كلما كان ذلك صدى للقلق والصراعات النفسية الشديدة بالمريض.



ـ ١٥ ـ
الجنس واللوازم Sex & Tics

اللازمة حركة تقلصية لاإرادية بالوجه أو بالجسم تتكرر بين وقت وآخر بصورة

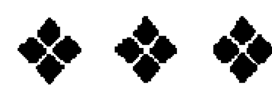
نمطية، وغالباً ما تكون أسبابها نفسية تدفع إليها صراعات لاشعورية شبقية، وكثيراً ما تكون بسبب صراعات حول الاستمناء، وهي صراعات يريد المريض باللازمة أن يخرجها ويتخلص بإخراجها مما يعانيه من توترات وقلق. واللازمة تعبير بالعضلات عن هذه الصراعات ومدافعات المريض، وهي وسيلته لدفع التوترات والقلق. والمريض يتميز بأنه إنسان تلقائي مفرط الحساسية والحركة، ولا يتحمل الإحباط، ومتعجل، وكانت نشأته بين والدين شديدي الحماية له، متزمتين في تربيته وخاصة فيما يدور حول الجنس.

واللازمة من الخلق الشرجي السادي، أي الذي يتخلف من المرحلة الشرجية من مراحل التطور النفسي الجنسي، فمع اللذة التي تترافق مع الإخراج يكون ضيق الطفل من إلزامه بالتبرز وتلقينه عادات النظافة. والطفل في هذه المرحلة يتراوح بين الإذعان والثورة والتمرد. وتعرف الميول العدوانية المختلطة بلذة المرحلة الشرجية بالسادية الشرجية anal sadism، واللوازم فيها من المرحلة الشرجية للتعبير عن الصراعات الشبقية وإتيانها وقت المعاناة الانفعالية خلال الحياة اليومية، وتعبر عن العدوانية المصطبغة باللذة. وتخرج الحركة العضلية في تعبيرات الوجه أو الرقبة أو اليدين بمضمون الصراع أو المعاناة، وهي لذلك المعادل لهذا الصراع وتظهر بدلاً منه، وبدلاً من أن يخرج الصراع نفسه فاضحاً الشخص فإنّ اللازمة تأتي لتمثل المعنى النفسي اللاشعوري أو بعضاً من معناه، واللازمة حركة صاحبت الهياج الانفعالي أو الجنسي المكبوت وقد يكون المريض قد لاحظها بغيره وتعين بهذا الغير هستيريا فيقلده فيها.

ومن اللوازم مثلاً فتل الشارب وله دلالة جنسية واضحة حيث التماثل بين الشارب والقضيب. ولازمة أخرى هي شد القضيب ويأتيها الكثيرون كلما تواجدوا في مواقف انفعالية، وكثيراً ما تحرج المحيطين بهم وخاصة من النساء. ولازمة البصق وتماثل القذف. ولازمة عرك الأذن أو الأنف وهي معادلة للاستمناء. ولازمة الرمش أو تكرار لفت الرأس وقد تعنيان رغبة في تجنب موقف جنسي شديد

الوطأة. ولازمة النحنحة وكذلك لازمة النفخ من خلال المنخارين اللتان في المواقف الضاغطة، وقد تتخلفان عن المرحلة الشرجية تقليداً للكبار أثناء تعلم الإخراج، وقد يتعلم الشخص أن يكررهما تخفيفاً عن نفسه في المواقف الانفعالية خلال مرحلة البلوغ وتجربة الاستمناء وإدمانه. والنحنحة قد تعبر عن رغبات جنسية شديدة الإلحاح تتكرر مع الشخص في مواقف معينة، ثم تشيع من بعد لتأتيه في أية مواقف ضاغطة بصرف النظر عما فيها من إشباع جنسي. وقد أمكن رد لازمة النحنحة والنفخ من المنخارين عند شخص كانت تضطره ظروفه إلى مواجهة مجموعات من الناس والتحدث إليهم كما لو كان يخطب، إلى خبرات في طفولته كان يسمع والديه وهما يتضاجعان، ولكن ما كان يصله من جماعهما هو لهاث الأب والكحة التي كانت تأتيه بين الفينة والفينة. ولازمة شد شعرات الرأس أو الذقن أو الشارب من اللوازم التي قد تعبر عن مخاوف خصائية.

وتعالج اللوازم بالتحليل النفسي لمعرفة الخبرات الماضية التي دفعت إليها وقد يستعين المعالج بالتنويم المغناطيسي لعلاجها بالإيحاء. وقد يلزم العلاج النفسي العميق في حالة اللوازم الهستيرية (أنظر قضم الأظافر وشد الشعر).



- ١٦ -
الجنس وقضم الأظافر
Sex & Nail biting

لقاضم الأظافر تاريخ طويل في العادة السرية، وهو لا يلجأ إلى هذه اللازمة إلاّ كبديل للاستمناء باليد، وربما يكون قضم الأظافر توجهاً منه إلى عقاب نفسه على أحاسيسه الجنسية، وخاصة إذا ما كانت موضوعاتها من معارفه المحيطين به. وأكثر ما يكون إتيان قضم الأظافر في الطفولة والمراهقة، وفي طور المراهقة يزيد الإقبال على هذه العادة من مخلفات الطور الفمي، وفي هذا الطور يجد الطفل لذته من الرضاعة ويتعلم أن يعض ثدي أمه ويجد في ذلك لذة سادية، وقد

يتخلف من هذا الطور بعض الخلق الفمي ويتثبت في الشخصية، ومن ذلك أن يستدمج الشخص في قضم الأظافر لذتيّ الرضاعة والعض معاً، فكلما واجهته مشكلة لجأ إلى هذه اللازمة يخفض بها توتراته، ويستعوض بها اللذة المفتقدة، ويطرح عنه الألم الحاصل، ويستعيد بها الطفولة التي كان يعتمد فيها على أمه تحل له كل مشاكله. ولو سألنا قاضم أظافره عن سبب لجوئه إلى هذا الفعل لقال إنه يشعر بالراحة إذ يفعل ما يفعل، وأنه يشغل به نفسه ويطامن به من قلقه. وصاحب الشخصية القاضمة للأظافر يعاني من القلق، وكلما ترتر أو عانى من الصراعات أقبل على ممارسة قضم الأظافر. ويبدو أنّ الأطفال يبدأون في محاولات القضم عندما تكون العلاقات العائلية بين الأم والأب متأزمة، وتحتوي الأزمة الطفل فيما يقال له الموقف الأوديبي حيث قد يعاني من الصراعات الأوديبية ويستدمج الكراهية والعداء لأحد الأبوين، ولكنه لا يستطيع أن يصرح بعدائه ولا أن يبدي كراهيته فيتحول بها إلى نفسه. والصراعات الأوديبية جنسية الطابع ولها تأثيرها الحاسم على تطور الشخصية (أنظر اللوازم).



– ١٧ –
نتف الشعر
Hair Pulling

للشعر دلالة جنسية، فهو زينة للرجل والمرأة معاً، وبه يتجملان كي يكون لهيئتهما التأثير الجنسي الأمثل عند الطرف الآخر. والشعر يغطي مناطق الجسم المثيرة جنسياً للمرأة والرجل، ومن ذلك شعر العانة في المرأة والرجل، وشعر الصدر والشارب والذقن في الرجل. ويهتم الجنسان بتسريحة الشعر وهي مظهر للشخصية. وعندما يتشبه الذكر بالأنثى فإنّ أول ما يفعله أن يطيل شعره ليجعل له هيئة الأنثى. وكذلك فإنّ المرأة المسترجلة تقصّر شعرها على شكل الصبيان، ويطلق الحلاقون على هذه التسريحة اسم à la garçonne، وتفيد لفظة garçonne الفرنسية معنى

الفتاة المتحررة المتشبهة بالفتيان.

والشعر عامل إثارة جنسية، وقد تعرف الأنثى ذلك فتجعل من شعرها مصيدة لاجتذاب الذكور، وفي داء البُضعية الجنسية sexual partialism قد يهوى الرجل من المرأة شعرها، وبدلاً من أن يطلبها في بُضعها أي فرجها فإنه يطلبها في شعرها، ويستغني به في إشباع شهوته الجنسية فيلامسه ويحتضنه ويكفيه ذلك وقد يمني أو يستمني. وفي داء الفيتيشية قد يتعشق الرجل أي شيء يخصّ الشعر عند النساء، فيجمع دبابيس أو شرائط الشعر، ويقتني منها الأعداد الكبيرة بالمئات، ويعطيه تأملها لذة جنسية كالجماع، أو قد تدفعه إلى الاستمناء فيستمني ممسكاً بها أو وهي تحيط به على السرير. والفرق بين البضعية والفيتيشية فيما يتعلق بالشعر أنّ البضعية استغناء بالشعر نفسه عن بقية جسم المرأة، أو استغناء بجمع خصلات الشعر النسائية، أما الفيتيشة فتكون غراماً بمتعلقات الشعر من الأدوات أو الصور. والبضعي لذلك قد يلجأ لكي يتحسس الشعر أن يلامس النساء في الأسواق وأماكن التجمعات، وقد يعمل لهذا السبب حلاقاً، ومعظم الحلاقين في مجال الحلاقة للنساء من الرجال، والحلاق البُضعي فنان وهو يتحسس الشعر ويصنّفه ويخترع له التسريحات التي تناسبه. وهو لا يحلق بقدر ما يتعبد للشعر، وحلاقته طقوس. وأما البضعي من غير الحلاقين فقد يضطره انحرافه الجنسي إلى أن يتعدى على الإناث أطفالاً كانوا أو بالغين، فيقص شعرات أو يتغول فيقطع جديلة. وقد أمكن في إحدى الحالات التي ضبطتها الشرطة إحصاء ٤٦٢ جديلة استطاع المريض بهذا الانحراف أن يقطعها من رؤوس بنات في المراهقة.

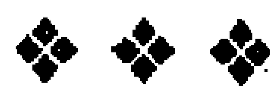
ولربما يكون شد الشعر هوساً يطلقون عليه اسم trichotilomania، وهو الولع الشديد لحد المرض، وفي حالة الشعر يكون الولع بشد أو نتف الشعر، ولربما يكون هذا الهوس عاماً بحيث يكون هوساً بالظواهر phaneromania من فانيروس اليونانية بمعنى الظاهر، ومنها الفنار لأنه يعلو ويظهر. والظواهر هنا هي بوارز الجسم كالثديين والقضيب والأنف

والأذنين والشعر والأطراف، وبوارز الجلد كالثآليل. وهوس الظواهر، أو هوس نتف الشعر، أو شده، دافع قهري لتحسس هذه الأجزاء الظاهرة وخاصة النوابت والنواشئ من الجلد والشعر والأظافر. والمهووس قد يعبث بشاربه أو سوالفه، أو يقضم أظافره، أو ينتف شعر منخاريه أو حاجبيه، أو يتخلل أسنانه، أو يمسح على شعره أو جبينه أو صدره أو مؤخرته الفينة بعد الفينة، أو يشد على قضيبه الحين بعد الحين. ويُكثر المرضى بشد الشعر أو نتفه من هذه العادة المرضية مقهورين على هذا الفعل، أو يربتون على الشعر، والشعر ربما يرمز للقضيب ويتدلى مثله، وكلما استبدت بالمريض الرغبة الجنسية يشد شعره أو يملس عليه وكأنه يشد قضيبه أو يدلكه، وهو لا يستطيع أن يفعل ذلك بقضيبه في الحال عندما تكون به الرغبة، ولكنه يستطيع أن يملّس على رأسه أو يشد شعره (أنظر الهوس). والبعض يكون به هوس الشعر أن يشده ويأكله باعتبار الشعر يرمز لموضوع جنسي هو القضيب أو الفرج، وأكل الشعر trichophagy قد يظهر في صورة تقبيل للشعر أو للرأس، وقد يكون في شكل خواف على الشعر من أن يعتل trichopathophobia، أو أن يتلف ويتحول عن استوائه trichonophobia. والاهتمام بالشعر عموماً قد يأخذ هيئة مرضية ويصبح اهتماماً زائداً فيعدو المريض خلف الأطباء وينتقل من طبيب إلى آخر مخافة أن يفقد شعره. ولم يكن عبثاً أن تكتشف دليلة في الأسطورة أنّ سرّ فحولة شمشون هو شعره، فلما قصته له زايلته قوته وعادت إليه بنمو الشعر من جديد. ومن رأي البعض أنّ الخوف الوسواسي على الشعر يرجع لصدمة في الصغر، باكتشاف الطفل أو الطفلة أنّ الأم مخصية، وتزيد المخاوف في مرحلة الاستمناء عند البلوغ، ثم إذا عانى الطفل أو الطفلة من عمليات جراحية فيخشى على نفسه التشوه ومن ذلك أن يفقد شعره. وربما يتعلق الطفل في مرحلة من حياته بأشياء لها شعر، كأن تكون دمية لدبة أو أن يكون حيواناً حقيقياً كالكلب أو القط، وقد تتعقد العلاقة بينه وبين هذا الشيء أو الحيوان

ويشعر بلذة جنسية بربته، وينمو معه هذا الميل فيكون من بعد ذلك لذة جنسية بربت الشعر أو بشده، وقصة رجال وفئران لشتاينبك، من ترجمتنا، هي دراسة رائعة لهذه اللازمة أو الهوس، وليني في القصة يجتمع به هذا الميل مع بعض التخلف العقلي. والبعض قد يتحول به التلذذ من تحسس الشعر إلى تلذذ من تحسس الأقمشة ذات الشعر. وتعشّق التلذذ القماشي hyphephilia انحراف جنسي قد يجعل صاحبه يمتهن بيع الأقمشة وان يكون خبيراً في أنواعها.

وشد الشعر بالإضافة إلى انه تلذذ جنسي حسي بالتهيؤات، فهو يشبع الميول العدوانية ويمثل رفضاً للإخصاء، ورغبة في إرضاء الغير، ودفاعاً ضد الميول للاستمناء، فبدلاً من أن يستمني الولد أو البنت فقد يذهب إلى شد شعر البنات، وقد يمارس شد شعر نفسه، وقد تفعل البنت هذا الشيء بالبنت مثلها، وقد تفعله بالصبية الذكور (أنظر الفيتيشية والبضعية الجنسية).

وتختلف النساء بحسب نتف الشعر في المناطق الجنسية، ولا دخل للثقافة في ذلك، ولكن المسألة تتوقف على الناحية المزاجية للمرأة، وعلى تكوينها النفسي. والمرأة التي بها شبق للجماع وتشغل بكل ما يخص الجنس تتجه إلى نتف شعر العانة باستمرار، ونتف شعر جسمها كله، ولذلك طقوس يتدرب عليها الإناث المشغولات بالجنس ويحتفلن بها ويخصصن لها يوماً يقال له يوم الجلوة، حيث تجلو المرأة نفسها فتتبدى أعضاؤها الجنسية زاهية وتظهر خواصها. ولربما يكون نتف الشعر الذي قد تأتيه بعض النساء بشكل طقوسي رفضاً للذكورة، وخوفاً من أن تتحول المرأة إلى ذكر، وتأكيداً على أنوثتها، وبعض الرجال يخشى شعر الجسم في المرأة وخاصة شعر العانة، ولربما يبلغ به ذلك حد الخوف المرضي فيرهب أن يجتمع بامرأة تطلق شعر جسمها وعانتها، وقد يكون هذا الخواف خوافاً من التلوث أو خوافاً من الإخصاء باعتبار الفرج المشعر موضوعاً يرمز للذكورة.



الفصل السادس والأربعون

السلوك الجنسي المضطرب عند الذكور ومظاهره

- ١ -

الاضطرابات الجنسية
Sexual Disorders

قد تكون الاضطرابات التي تلم بالوظيفة الجنسية من النوع الفسيولوجي أو البيولوجي بسبب سوء أو قصور أو إفراط هرموني، أو ربما لعيوب خلقية ولادية أو بعد ولادية، أو لاعتبارات صحية عقلية، أو صحية نفسية. وربما تكون هذه الاضطرابات الجنسية تعامل كذلك في مجتمع بينما هي في مجتمع آخر لا تعتبر اضطرابات. وللاعتبارات الأخلاقية والدينية تأثير في تحريم الفعل الجنسي، والفعل الجنسي نفسه باعتباره سلوكاً هو نتاج التعليم الاجتماعي. ويتعرض الطفل من الميلاد، لمؤثرات اجتماعية يدخلها في خبرته الجنسية، وبها يتحدد نمط سلوكه في المستقبل، وما يفضله، وما لا يفضله من موضوعات ونشاطات جنسية.

والسلوك الجنسي المضطرب هو فعل يتسم بالقصور، فهو يبدأ كنشاط جنسي كامل ولكنه يتوقف دون الكمال، أو أنه يتسم بالشذوذ، فبدلاً من أن يتوجه لفرد من الجنس الآخر فإنه يتوجه لفرد من ذات الجنس مثلاً. وصاحب السلوك الجنسي المضطرب يعرف أنّ ما يأتيه ليس سوياً ومع ذلك يصرّ عليه ويداوم على فعله.

ولا شك أنّ الجنسية نفسها فطرية في الإنسان، وأنّ كل الناس ما لم تكن بهم عوائق معينة لديهم الحد الأدنى اللازم، أو الذي يحتاجونه للممارسة الجنسية، غير أنّ الوجهة التي ينصرف إليها النشاط الجنسي تتحدد بالتربية والأعراف الاجتماعية كما ذكرنا. ولقد تبين أنّ أكثر من ٩٠٪ من الناس يرتكبون أو ارتكبوا مخالفات جنسية ولو لمرة واحدة. وربما من المستحيل لهذا السبب أن نتبين الحدود الفاصلة بين الشذوذ والسوية. وأدى الاختلاط بين مختلف المجتمعات، والاندماج الذي يقرّب بين الطبقات، والتلاقح الحضاري والتعارف

بين الشعوب، إلى اهتزاز الكثير من القيم، حتى لم يعد مستهجناً ما كان مستهجناً من قبل، واعتبر البعض ما نشهده الآن من قبيل الثورة الجنسية sexual revolution إلاّ أننا رغم ذلك ما نزال نعتبر بعض النشاطات الجنسية من الاضطرابات الجنسة كاللواط، وجماع الصغار والتخنث. وكان للثورة الجنسية المشار إليها آنفاً فضل إعادة النظر في كثير من القيم الجنسية، وإلقاء المزيد من الأضواء على العديد من المشاكل الجنسية، ومن ذلك التمييز بين القصور والشذوذ، الجنسين والقول بأنّ القصور عجز عن تحصيل الإشباع الجنسي، بينما الشذوذ انحراف بالفعل الجنسي عن غايته وهو النكاح بين شخصين متخالفين في الجنس.

والقصور الجنسي له ثمانية ضروب، نصفها يخص الذكور، والنصف الآخر يخص الإناث، وما يخص الذكور هو العنة بشقّيها الأولي والثانوي، والقذف المبكر أو العجز عن القذف بالكلية. وفي العنة الأولية يعجز الرجل عن الانتصاب، وهو لم ينتصب في الماضي ولا ينتصب في الحاضر، بينما هو في العنة الثانوية كان ينتصب في الماضي وما يزال ينتصب، إلاّ أنه في حالات معينة يعجز عن الانتصاب، ربما لنقص في الخبرة الجنسية، أو من جراء الإصابة بالاكتئاب، أو بسبب صدمة أو نحو ذلك، من الأمور المؤقتة التي يمكن أن يتجاوزها ويشفى منها، فيعود إليه انتصابه بارتفاع الموانع أو الضغوط من أي نوع التي كانت تحول دون هذا الانتصاب. وقد يحدث أن يستطيع المرء الانتصاب لكنه يقذف قبل أن يولج، أو مع الولوج، أو بعده مباشرة، ويسمون هذا النوع من القذف بأنه قذف مبكر لأنه يحدث قسراً عن صاحبه، وقبل أن ترتوي المرأة جنسياً، أو قبل أن تبلغ هزة الجماع. ولربما يعجز عن القذف كلية.

وفرص العلاج من العنة الأولية نحو ٦٠٪ بينما هي في العنة الثانوية نحو ٧٠٪، وفي القذف المبكر نحو ٩٨٪، وفي العجز عن القذف نحو ٨٣٪ (Masters: Johnson).

وللقصور الجنسي عند النساء أربعة ضروب كذلك، هي سوء الوظيفة الشبقي

orgasmic dysfunction بشقيه الأولي والثانوي، واعتقال المهبل أو قمطة المهبل، وعسر الجماع. ويعني سوء الوظيفة الشبقي الأولي أنّ المرأة لم يحدث في حياتها أن جربت هزة الجماع بأي شكل من الأشكال، بينما هي في سوء الوظيفة الثانوي لا تستطيع تحصيل الهزة إلاّ في مواقف معينة وخاصة جداً، وأما فيما عدا ذلك فهي طبيعية وتستطيع أن تعايش هذه اللذة وتعاينها.

وتشعر المرأة المصابة باعتقال المهبل أنّ شريكها عاجز عن أن يدخل قضيبه فيها لتشنج أو تقبض مهبلها، أو بالأحرى لأنّ الثلث الأمامي من المهبل يقمط بشدة فيتعذر إدخال القضيب أو يصبح الجماع مؤلماً. والجماع المؤلم يسمونه عسر الجماع ويعاني منه الرجل أو المرأة أو الاثنان معاً.

وفرص العلاج من سوء الوظيفة الشبقي الأولي نحو ٨٣٪، وتقل النسبة في سوء الوظيفة الثانوي إلى نحو ٧٦٪، وهي في اعتقال المهبل ١٠٠٪، وأما في عسر الجماع فكثيراً ما يكون السبب فسيولوجياً وتعالج الحالة بالأدوية أو بالجراحة.

ولقد قيل إنّ أكثر من نصف الأزواج والزوجات في أي مجتمع متحضر يشكون من اضطرابات القصور الجنسي، وإن كانت الغالبية منهم لا يسعون للعلاج. ولا ينبغي الخلط بين أوجه القصور السابقة والقصور المؤقت الذي يعتري البعض بسبب التعب أو الإجهاد أو الانشغال الفكري. ولربما يتسبب القصور عن أسباب تتجاوز التعب أو الانشغال الفكري إلى ما هو أعمق بيولوجياً أو فسيولوجياً، كأن تصاب المرأة بتمزقات داخلية أثناء الولادة فيتسبب ذلك عندها في عسر الجماع من بعد. وقد تترتب العنة الثانوية على الإصابة بداء السكري، وقد يؤدي إليها إدمان الكحول أو المهدئات، وفي غير ذلك أو أغلب الحالات تكون للقصور الجنسي أسباب نفسية، ربما ترجع إلى عجز عن حل الصراعات اللاشعورية التي نشأت في المرحلة الأوديبية من مراحل التطور النفسي الجنسي، واستمرت مع الشخص إلى ما بعد الرجولة، كأن يكون سبب العنة ارتباط الرجل جنسياً ارتباطاً لاشعورياً بأمه، فيتمثلها في كل امرأة يريد أن يجامعها، وبذلك تحرم كل امرأة

عليه ويعجز عن غشيانها لعجزه عن غشيان أمه، ولعل رواية «السراب» لنجيب محفوظ من أكثر الأعمال الأدبية عرضاً لهذه الحالة وسبراً لأغوار صاحبها.

وقيل إنّ حسد القضيب الذي يمكن أن تصاب به المرأة منذ صغرها عندما تكتشف أنها كطفلة تختلف عن أخيها، حيث يمتلك هو قضيباً يستطيع أن يأتي أعمالاً كثيرة لا تستطيعها هي، وتنسب إلى امتلاكه لهذا القضيب الامتيازات التي تعطى له دونها وعندئذ قد تشعر بالغيرة منه وتحسده على هذا القضيب، وهذه الغيرة وذاك الحسد يعملان عملهما في سلوكها ويطبعانه بحيث تنشأ على أوضاع معينة وبتكوين نفسي معين – قيل إنّ هذا الحسد قد يفسر ظاهرة اعتقال المهبل، وكأنّ المرأة إذ تقمط على قضيب رجلها فيعجز عن إخراجه أو تحريكه منتصباً في فرجها، تريد أن تحتجز القضيب الذي تحسده عليه لنفسها، أو تحرمه منه باعتقاله داخلها.

وقيل أيضاً في القصور الجنسي أنه قد يرجع إلى انسداد نفسي بحيث لا تستجيب المرأة أو الرجل بسبب ما يرتبط بخبرتهما الجنسية من خوف من الافتضاح أو من الحمل، أو الاشمئزاز، أو مشاعر الذنب الدينية، أو القلق النفسي (أنظر العنة والقذف).

والشذوذ الجنسي الذي قد يكون بأي شخص يقصد به الشذوذ في السلوك، ويمارسه الشاذ أو المنحرف جنسياً بالاستعراء، أو بالتطلع الجنسي، أو بتعشق الصغار، أو باللواط، أو بإتيان المحاريم، أو بالاغتصاب، أو بالتخنث، أو بارتداء المغاير من الثياب مما يخص الجنس الآخر وهو ما يسمى التشبه، أو بإنزال الأذى بالشريك في الفعل الجنسي فيما يسمى بالسادية أو الصادية، أو بنقيضها فيما يعرف بالماسوشية أو المازوكية (أنظر كلاً من هذه الموضوعات تحت عنوانه).

وللاضطرابات الجنسية من وجهة نظر التحليل النفسي تفسيرات تختلف عن تفسيرات المدرسة السلوكية. ومن رأي فرويد أنّ هذه الاضطرابات تبدأ في الظهور في مراحل الطفولة المختلفة، وتستمر مع الشخص إلى ما بعد المرحلة التناسلية. وللأطفال قدرة على التحايل

بمختلف الوسائل الدفاعية للتغلب على قلق الخصاء أو حسد القضيب اللذين يلازمان المرحلة الأوديبية (أنظر قلق الخصاء وحسد القضيب والمرحلة الاوديبية). وتذهب مدرسة التحليل النفسي إلى إرجاع الاضطرابات الجنسية إلى تثبيت على مرحلة من مراحل النمو النفسي الجنسي التي تسبق المرحلة التناسلية، وبالأخص المرحلة الأويدبية التي تبدأ هذه الاضطرابات فيها عادة، فمثلاً إتيان المحارم هو اضطراب تتحقق به للشخص رغبات جنسية مكبوتة تجاه أمه أو أبيه من المرحلة الأوديبية. ويعتمد العلاج النفسي أو التحليلي لهذه الحالة أو غيرها على تبصير المريض بصراعاته اللاشعورية ومساعدته على السيطرة على دوافعه وقلقه.

وترد المدرسة السلوكية الانحرافات الجنسية إلى عمليات إشراط مبكر ترتبط بها الخبرات الجنسية المفضلة عند الشخص المنحرف جنسياً، كأن يتعلم الصغير الاستمناء في الحمام بينما ملابس أمه أو أخواته البنات ملقاة هنا وهناك، وقد يطالعها وهو يستمني، وقد يستمني فيها، ويكبر وما يزال يستمني مكتفياً بالملابس الحريمي الداخلية يقتنيها لهذا الغرض. وقد تختلط عند المراهق لذة الاستمناء بالألم الذي يستشعره وهو يثير نفسه ويجهد لإتمام الاستمناء، ويكبر وهو ما يزال يخلط بين اللذة والألم، فيمارس النشاط الجنسي في شكل السادية أو الماسوشية. ولربما يكون أصل السادية أو الماسوشية أنّ الشخص وهو طفل، كان يعاقبه أبوه أو أهله ويصالحونه في نفس الوقت، فيرتبط عنده الحب بالعقاب. ولربما يكون للإشراط دور في تفسير التخنث، فقد يحلو للطفل أحياناً أن يمثل دوراً نسائياً فينال الاستحسان على تمثيله، أو قد يبدي المحيطون به إعجابهم وهو يرتدي لسبب أو لآخر ملابس النساء، وقد يتكرر ذلك منه ومن ثم يترسخ الانحراف.

وتعالج المدرسة السلوكية الشذوذ الجنسي بالإشراط المنفرّ، طالما أنّ الإشراط هو سبب الانحراف. وحين يتبين للمعالج نوع المثير الذي يفضله الشاذ تُعقد له جلسات يطالع فيها صوراً جنسية وأفلاماً، فإذا ظهر المثير يعطى

الشاذ صدمة كهربية، وتتكرر العملية بحيث يتعلم النفور من هذا المثير. وقد يزيد المعالج فيقدم له مثيراً آخر من النوع السوي، ويقوّي إقباله عليه. ولقد ثبت نجاح العلاج السلوكي في كثير من الحالات، وخاصة مع الفيتيشيا والاستعراء والتشبه، وفي بعض حالات جماع الصغار والسادية. ولم يثبت أنّ للواط علاجاً ويذهب بعض المنظّرين من الوجوديين والإنسانيين إلى مساعدة اللوطي أو المصاب بالجنسية المثلية على قبول وضعه الشاذ والسلوك في الحياة بإيجابية، بحيث لا يكون شذوذه عائقاً له عن التفاعل الاجتماعي وأداء واجباته الأُسرية والوظيفية (أنظر العلاج الجنسي).



- ٢ -
الاستمناء
Masturbation

الاستمناء عند الذكور، والتبظر عند الإناث، والأول هو أن يحك الذكر قضيبه بيده ويجريها عليه لعدد من المرات مع التخيل اللازم لجماع أو لامرأة بالذات إلى أن يمني، والثاني هو أن تفعل المرأة ذلك ببظرها إلى أن تأتيها الهزة فتستكفي، غير أنه يطلق على الاثنين اسم الاستمناء تجاوزاً ومن باب التعميم. ويشترط له أن يكون متعمداً وبقصد استجلاب اللذة، وما لم يكن لاستجلاب اللذة فأي تناول للأعضاء الجنسية من قِبَل صاحبها ليس استمناء. والكثيرين من علماء النفس يذهبون إلى أنّ الاستمناء شيء يمارسه البالغون، مثلما يشاهد عند الأطفال، وهو سلوك طبيعي يصدر من الطفل أو المراهق وبه يستطيع أن يفرغ توتره الغريزي، وأحياناً يكون الاستمناء وسيلة عادية للتنفيس الجنسي عند البالغ عندما يعز تصريف الرغبات وإشباع الحاجات الجنسية

بالطرق الطبيعية. وقد لا يلجأ المراهق إلى الاستمناء تعففاً بوحي من التربية، أو خوفاً بسبب ما يتناهى إلى سمعه عن الآثار التي يمكن أن تترتب على هذه العادة صحياً ونفسياً، وعندئذ قد يمارس الكبت ويصاب من ذلك بأضرار نفسية بالغة، ما لم يكن هذا الضبط لغرائزه من باب التسامي بها وتوجيهها وجهات أخرى في نشاطات فنية أو رياضية أو اجتماعية. وعادة ما يستطيع المراهق أن يحل الصراعات التي تدور في نفسه تجاه الاستمناء، وتتكون لديه ردود فعل تساعد على تشكيل شخصيته تشكيلاً ناجحاً، فيجد بدائل للاستمناء، وإلاّ فإنه يصاب بالاكتئاب نتيجة لهذه الصراعات، وقد يدمن الاستمناء ويصبح عصابياً. ويبدو أنّ أكثر ما يلحق المستمني من أذى يترتب أساساً على مشاعر الذنب التي تعقب الاستمناء، وقد تستمر هذه المشاعر مع المراهق لسنوات وتستنفد الكثير من طاقته النفسية وتهدرها هدراً. وقد يرد المراهق كل ما يصيبه من أمراض لممارسة الاستمناء وقد يحسب أنّ حَب الشباب وهزال جسمه والدمامل التي تصيبه وضعف بصره وتخلفه عن التحصيل في الدراسة وحالات التوهان والشرود وضمور كتفيه إنما بسبب الإدمان على الاستمناء، وكان ذلك فعلاً هو ما ساد الفكر الطبي في وقت من الأوقات، واعتقد فرويد أنّ اعتياد الاستمناء يصيب المدمن بالنهك العصبي، وهو عكس ما يذهب إليه الطب النفسي المعاصر الذي يرد النهك إلى قلة التصريف الجنسي أو عدم بلوغ الهزة، بمعنى أنّ المرء قد يضطرب سلوكه الجنسي بسبب القلق الذي يصاحبه، والذنب الذي قد يستشعره نتيجة الصراعات التي تحتدم به بين ما ينبغي وما لا ينبغي والحلال والحرام والصواب والخطأ، فيعوقه ذلك عن الأداء الأمثل للتصريف الجنسي، ويمنعه عن التصريف المشبع. ويبدو أنّ تثقيف المراهق جنسياً لا يحدث أثره المطلوب، فمهما قيل له من باب تخفيف مشاعر الذنب فإنه يستمر في تقدير عواقب الاستمناء تقديراً مبالغاً فيه، ويرجع الأخصائيون ذلك لا إلى ممارسة الاستمناء بل لما يصاحبه من تخيلات

تعود جذورها إلى التخيلات الأوديبية المختزنة في اللاشعور من الطفولة. وتطلق مدرسة التحليل النفسي اسم الاستمناء المكبوت repressed masturbation على نوع الاستمناء الذي تدفع إليه الرغبات الجنسية الطفولية ويمنع من التصريح بها ما يأخذ به الوالدان طفلهما من التربية وما يأمران به وينهيانه عنه، وما يتكون نتيجة له مما يطلق عليه الضمير أو الأنا الأعلى أو الصورة الوالدية التي تستقر في وجدان وعقل الطفل فينحو إلى التصرف على مقتضاها. ويترتب على كل ما سبق أنّ الدوافع الاستمنائية التي مناطها تحصيل اللذة تتراجع أمام الرغبة في أن يظهر الطفل بمظهر الشخص المؤدب والمطيع مما يستحسنه الأبوان. وتظل هذه الدوافع الاستمنائية مكبوتة، كما تبقى مشاعر الذنب التي تقوم عليها هي الأصل لأية مشاعر ذنب مقبلة تدور حول اللذة وتحصيلها في البلوغ وما بعده.

والاستمناء السوي normal m. وسيلة التصريف الطبيعية في المراهقة، بالإضافة إلى الإمناء الليلي الذي يترافق والاحتلام، فعندما تعز الوسيلة المباشرة في حالات الامتناع الجنسي لا يكون أمام الصبي وأحياناً البالغ إلاّ أن يستمني بيده، أو يتخلص من توتره الجنسي بأنه تأتيه الرغبات الجنسية أحلاماً أثناء النوم ويزيد بها تهيجه إلى أن يمني طبيعياً. ويترتب التوتر الجنسي نتيجة عدة ظروف، وأهم ما يدفع إليه أن تمتلئ الحويصلات المنوية بالمني وتريد التخلص منه وشأنها في ذلك شأن المثانة، فإذا لم تفرغ بالجماع المباشر أو بالاستمناء باليد أو بالاحتلام فإنّ الشخص قد يعاني ويظهر عليه الاضطراب والقلق، وقد يصاحب الاستمناء أن يتخيل المستمني أنه يجامع، وخيالات الاستمناء من الأهمية بمكان، ذلك لأنها تمثل الرغبات الاستمنائية في الطفولة أو الرغبات الجنسية المنهى عنها، وهذا هو السبب الذي يجعل الاستمناء أحياناً وسيلة صحية تحول بين المستمني والمرض النفسي، إلاّ أنّ ذلك يشترط له أن يكون الاستمناء بهذه الطريقة وسيلة إعداد للشخص كي يتعرف على اللذة الجنسية، فيكون ذلك

بمثابة التمهيد له للتدرج برغباته إلى الجنس الآخر وطلب الجماع كوسيلة وحيدة للإشباع الجنسي، فإذا استمر في إتيان الاستمناء برغم ظروفه المواتية لممارسة الجماع الطبيعي، فإنّ ذلك يكون مؤشراً على اضطراب نفسي ربما مصدره أنّ الشخص يعاني من عصاب أو ذهان يجعله يأتي الاستمناء ويطلبه ويلح عليه. وهذا النوع منه هو ما يطلقون عليه اسم العادة السرية أو بالأحرى الاستمناء الاعتيادي habitual m. أي الذي يدأب المرء عليه ويأتيه سراً، وقد يفعله لعشرات المرات في اليوم الواحد وكل يوم، ويدفعه إليه القلق المفرط، ولذا يسميه البعض الاستمناء المرضي pathological m.، ومنه نوع يترافق والانحرافات الجنسية كأن يكون الشخص مصاباً بالفيتيشية مثلاً فيهوى أن يجمع ملابس النساء أو غير ذلك من متعلقاتهن ويلامسها أو يرتديها أثناء الاستمناء بيده، أو قد يعاني من ميول إظهارية فيأتي الاستمناء صريحاً أمام امرأة بعينها، أو يكون مريضاً بالتطلع الجنسي فيتلصص على النساء ليشاهدهن عرايا فيدفعه ذلك إلى ممارسة الاستمناء.

ومن انحرافات الاستمناء أيضاً أن يتبادل شخصان الاستمناء بحيث يأتيه كل منهما الآخر، وقد يكون الشخصان رجلاً وامرأة ويمارسانه كجزء من الجماع، أو يكونان رجلين أو امرأتين فيكون فعلهما من باب الممارسة الجنسية المثلية، وقد يكون الاستمناء في هذه الحالة كمدخل يسبق اللواط أو يكون غاية في حد ذاته. والبعض يمارس أحياناً الاستمناء الجماعي group m. وذلك كثيراً ما يحدث في المراهقة، فيقوم الأولاد من نفس السن تقريباً بتجربة الاستمناء لمعرفة الوقت الذي يستغرقونه بالمقارنة مع بعضهم البعض، أو لتحديد كمية المني لكل، أو شدة القذف باحتساب المسافة التي يصلها المني عند القذف أو لمقارنة الانتصاب والقدرة عليه، وليس ذلك من المرض في شيء إلاّ أنه بسبب تأثير التربية السيئة، وأما إذا كان الاستمناء الجماعي ظاهرة يأتيها البعض من الكبار فإنه بلا شك ظاهرة مرضية ودليل ميول انحرافية أكيدة.

ومن الاستمناء المرضي ما يسمى بالاستمناء الإحليلي .urethral m، والاستمناء الشرجي .anal m، والاستمناء الفمي .oral m وهي حالات نادرة، والأول يكون بإدخال أداة في الإحليل أو قناة مجرى البول وأكثر ما يكون ذلك إن وجد بين الإناث، والثاني يتم بدعك الإست وإدخال الإصبع به ودلكه فتكون اللذة المفضية إلى الانتصاب والإنزال، والثالث شديد الندرة وغالباً ما يستطيع الشخص أن يثني جسمه بحيث يطول فمه قضيبه ومن ثم يصبح بإمكانه أن يمص القضيب، ويسمى ذلك المص الذاتي للقضيب .auto-fellatio

وهناك الحالة التي يقال لها الاستمناء النفسي .psychic m وهي أن يركز الشخص على الخيالات دون سواها ويزيد بها تهيجه، والتهيج في هذه الحالة ذاتي أي من داخل الشخص، وحتى إذا بلغ الذروة فيه فإنه يستمني، وذلك نادر أيضاً. والاستمناء القهري compulsive .m قد يقصد به البعض الاستمناء الاعتيادي أي الذي يعتاده الشخص والذي يؤثره على الجماع ويأتيه في اليوم الواحد لعدة مرات لعله في كل مرة يحقق لنفسه الإشباع دون فائدة، فكأنما هو في كل مرة تستعر في نفسه الرغبة ويزيد بالاستمناء أوارها يكرره، ويظهر ذلك جلياً عند الأطفال حيث يكثرون من اللعب بأعضائهم الجنسية، وقد ترى البنات يدخلن ما تقع عليه أيديهن في فروجهن أو قد يقتصر ذلك على أصابعهن دون أن تتحقق الهزة، وأيضاً لا يبلغ الأطفال الذكور حد الإنعاظ، وكأنّ الاستمناء القهري هو نوع من العقاب وليس لذة بالمرة، وكأنّ الأنا في كل مرة يلجأ فيها الشخص المستمني إلى الاستمناء في محاولة للحصول على الإشباع، يعاقب نفسه بنفسه، عقاب الآلهة للملك ميداس، الذي بتحقيقها أطماعه وشرهه جعلت نهايته عن طريق هذا الإرضاء النهم لشره ليست له حدود، فطالما أنّ الشخص يطلب الإشباع الجنسي بهذه الطريقة فليتحقق مطلبه ولكن سيكون فيه ألمه ومعاناته، وهيهات أن يشبع بالاستمناء. ولعل المستمني القهري يعبر به عن محاولة يائسة للتخلص من توتراته بتصريفها بهذه الطريقة بعد أن عزّت كل

الطرق الأخرى للتصريف، وهو في ذلك يشبه مدمن المخدرات، فكلما تعاطى منها يطلب المزيد ويستزيد الكمية اعتقاداً أنه سيرتاح، ولكن العكس هو الذي يحدث. والمستمني يمني حقيقة ولكن إمناؤه لا يشبعه، والإنعاظ الذي يتحقق به إنعاظ عضوي وليس نفسياً، ولربما يكون لجوؤه للاستمناء من باب الهروب من الواقع ومجابهة الآخرين وخاصة من الجنس الآخر، والمريض من هذا النوع عادة يخجل خجلاً عصابياً، أو ربما هو يحاول به أن يشفى من حالة اكتئاب تلم به، نتيجة حاجة به إلى الحب ظلت به منذ طفولته، نتيجة إحباطات شديدة مصدرها أمه أو المحيطون به، أو قد تكون بالشخص انحرافات جنسية يجد منها العنت فتتسبب عنده في صراعات يستشعرها محتدمة به، فيحاول أن يتخلص منها ومن أسبابها بأن يجعل أموره الجنسية في يده، فعلاً ومجازاً، فيلجأ إلى الاستمناء ويدمنه ويكرره، ولربما يكون الاستمناء استنزالاً لعقاب يقضي به على نفسه، أو هو بديل عن العقاب طالما أنه حقيقة لا يشبع به ويستشعر بعده بأنه أشد جوعاً إلى الجنس منه قبل الاستمناء. وقد يستمني المحبط الذي يحس تجاه الآخرين بالعدوانية والكراهية ولا يجد في نفسه القدرة على التوجه إليهم بما يريد أن ينزله بهم، فيتوجه إلى نفسه بما كان من المفروض أن يتوجه به إلى الآخرين، ولكن لأنها نفسه فهو يوفق بين اللذة والعقاب ويعطي نفسه اللذة التي لا يستشعر منها إلاّ ألماً، طالما أنّ ضراوة الجنس عنده تزيد بالاستمناء، ويريد باستمرار أن يستمني في اليوم الواحد لعشرات المرات، وذلك شيء مرهق للنفس والجسم معاً. ويطلق بعضهم اسم مدمني الاستمناء m. addicts على هذا النوع من الأفراد الذين يلجأون باستمرار إلى الاستمناء باليد تخلصاً من التوترات. ويقول بعض علماء النفس أنّ بعض الأفراد قد يلجأون إلى العقاقير أو المخدرات يدمنونها كبديل عن الاستمناء باليد، وذلك منهم نكوص إلى المرحلة الفمية حيث كانت اللذة وإشباعها مناطها الفم وليس القضيب أو الفرج، ومع ملاحظة أنّ العقار أو المخدر يغني عن الشريك في الفعل الجنسي

تماماً كما في الاستمناء. ولقد استخدم فينيخل اصطلاح مدمني الاستمناء إشارة إلى النوع المتطرف من المرضى بالاستمناء القهري، وهؤلاء قد يكون الاستمناء باليد عندهم هو الاستجابة التقليدية لأية استثارة أو تنبيه من أي نوع. وفي الحالات الشديدة من الإدمان الجنسي لا يصبح الجنس وظيفة ولكنه وسيلة غير موفقة لحماية صاحبها من أي مثير (Fenichel: The Psychoanalytic Theory of Neurosis).

وقد لا يلجأ المستمني مباشرة إلى القضيب أو البظر ولكنه يتوصل إلى ما يحقق له الاستمناء عن طرق أخرى أو أعضاء من جسمه كبديل لعضو الذكورة أو الأنوثة، كالفم أو الثديين أو الإست أو الإحليل، أو يكون جلده كله عموماً مثيراً له، أو عضلاته، أو ربما النشاط الحركي عامة أو نوع منه خاص، وعموماً قد تكون أعضاء الحس وسيلته للاستمناء بأن يشحنها سحناً جنسياً، ولربما يلجأ إلى ذلك بعد أن ينجح في كبت ميوله إلى الاستمناء باليد فيتوجه إلى عضو أو جزء آخر من جسمه كبديل، فإذا نجح في كبت ميوله الجديدة فعندئذ قد يحل محلها أجزاء أو أعضاء أخرى. ويطلق أطباء النفس على هذا النوع اسم معادلات الاستمناء m. equivalents، غير أنّ هناك ضرباً آخر يطلق عليه اسم الاستمناء الرمزي symbolic m. قد تستخدم فيه معادلات الاستمناء كالفم أو الثديين إلخ لتحقيق الاستمناء بدلكها والربت عليها، أو ربما يلجأ الشخص إلى وسائل أو معادلات أخرى أبعد من هذه، وقد لا يتحقق له الإنعاظ عن طريقها لهذا السبب، إلاّ أنه مع ذلك يسعد بها ويستشعر لها لذة جنسية، وكمثال لذلك قضم الأظافر، أو السأف وهو جزء الجلد المتدلي بجانب الظفر أو عند جذره، أو شد الجلد أو البشرة الميتة أو المتصلبة عموماً، أو عض الذراع وتشمم مكان العض، أو اللهو بأطراف الثوب أو المنديل، أو بالأكمام أو الياقة يلوكها الشخص في فمه من حين إلى حين، أو يشد الشعر أو يفتل بعض الشعرات من حين لآخر، أو يتحسس أنفه بأصابعه كل حين، أو شحمة أذنه، أو يستدخل إصبعه في أنفه أو أذنه أو فمه، وهذه العادات

كلها لها أهميتها في التحليل النفسي للشخص الذي يأتيها وتعتبر بدائل لممارسة الاستمناء الصريح، وهي أعراض سلوكية نفسية جنسية كثيراً ما يأتيها الناس يومياً.

ولقد قلنا إنّ الاستمناء له طرقه الكثيرة التي أهمها عند الذكور الدلك للقضيب حتى الإنزال، وبعض الذكور، وإن يكن ذلك قليلاً، يطيلون العملية حتى ليؤخرون الإنزال لتطول بذلك لذتهم، وقد يستمر الدلك لنصف الساعة وأحياناً لساعة أو أكثر، إلاّ أنّ غالبية الذكور يبلغون الهزة سريعاً ولا تستغرق عملية الاستمناء لديهم أكثر من دقيقة أو دقيقتين، والبعض قد لا يستغرق أكثر من نصف دقيقة وأحياناً من عشر إلى عشرين ثانية. وقد يستمني البعض بحك القضيب في السرير وهو مستلق على بطنه ولكن ذلك لا يحدث كثيراً، وغالباً ما يكون ذلك كبديل لجماع مع ما يصاحبه من خيالات بالجنس الآخر. والبعض قد يحاول الاستمناء بأن يمص قضيبه إلاّ أنه نادر الحدوث وذلك لأنّ الإنسان لا يستطيع غالباً أن يطول قضيبه بفمه إلاّ إذا كان لين الظهر ويستطيع الانثناء الذي تتطلبه تلك العملية. وهذه الطريقة في الاستمناء تأتيها القرود بكثرة وخاصة من نوع الريسوس والمكاك والماندريل والشمبانزي. وقد يستعين المستمني بالصور ليلهب بها خياله ويزيد بها انتصابه، إلاّ أنّ ذلك لا يحدث إلاّ مع المتعلمين دون غيرهم، وأما الغالبية فليس لهم إلاّ خيالهم يستعينون به على الانتصاب. وتختلف هذه الخيالات باختلاف الميول الجنسية للشخص، فمع الغيري الجنسية فإنه يتخيل الجنس الآخر وهو يستمني، ومع المثلي الجنسية فإنه يتخيل مواقعة أناس من جنسه. وقد يحب البعض أن يرى أعضاءه الجنسية وهو يستمني، وقد ينظر في المرآة، وقيل إنّ ذلك دليل على جنسية مثلية. وتبين الدراسة أنّ الراغب في مشاهدة نفسه وهو يستمني غالباً لوطي، بينما صاحب الميول الجنسية الغيرية نادراً ما يلاحظ أعضاءه الجنسية وهو يستمني، وهو غالباً يستمني في الظلام، وقيل إنّ ذلك لكي يصفو ذهنه إلاّ من الخيالات الغيرية المصاحبة للاسمتناء.

وأما الاستمناء عند الإناث فله صوره المختلفة وهي أكثر تعدداً منها عند الذكور، والغالب أن تجري الأنثى إصبعاً من أصابعها أو أكثر على الشفرين الصغيرين وبينهما، وهي أثناء ذلك تلامس البظر، وتركيز أغلب الإناث على الاستمناء بهذه الطريقة دليل على أنّ هذه المنطقة من المناطق الشديدة الحساسية من الناحية الجنسية إن لم تكن من أشدها حساسية. ولا تستدخل الأنثى شيئاً في مهبلها وذلك لأنه قد ثبت أنّ المهبل يخلو من الأعصاب تماماً، أو أنّ هناك بعض الأعصاب عند مدخل المهبل لا غير. وقد يلجأ البعض إلى دلك الشفرين الكبيرين وإن كان الغالب أنّ البظر والشفرين الصغيرين هما أكثر ما تتوجه إليه الأنثى من الفرج لكي تستمني، فإذا حدث وكان الاستمناء عن طريق الشفرين الكبيرين فالغالب أن يصاحب ذلك أن تستعين الأنثى بالضغط على كل فرجها مع ملاطفة الشفرين الكبيرين. والضغط عموماً من الوسائل التي قد تلجأ إليها الإناث لتحصيل اللذة، وقيل إنّ نحو عشرة في المائة من المستمنيات يمارسن الاستمناء بضغط الفخذ على الفخذ في حركات إيقاعية ويصاحب ذلك الضغط بعضلات الفرج، وذلك يؤثر على البظر والشفرين الصغيرين والشفرين الكبيرين، وقد تستخدم الأنثى يديها أيضاً تربت بهما أو بأحدهما على فرجها أو تدلك فتحة الفرج بأصابعها، ويسهم ذلك في الإثارة العضلية للمنطقة. وقد ترقد الأنثى على ظهرها وترفع ساقيها إلى بطنها وتضغط على عضلات الإلية والفخذين ضغطات إيقاعية، وقد ترقد على بطنها تضغط فرجها إلى حشية السرير أو تضع إحدى الوسائد بين الفخذين وتضغط عليها بهما وكأنها تمارس الجماع، وهذه الطريقة أفضل الطرق للوصول إلى الهزة سريعاً، وقيل إنّ ذلك بسبب هذه الحركات الإيقاعية التي تأتيها المرأة بكل جسمها بهذه الطريقة. ونفس الشيء يحدث للذكور عندما يمارسون الاستمناء بطريقة مشابهة، وقيل في تفسير ذلك فسيولوجياً أنّ بلوغ الهزة هو عمل إيقاعي محض، فالحركات الإيقاعية

التي تصاحبها التوترات العضلية دليل الاستجابة الجنسية ومظهر هذه الاستجابة، ولعل ذلك يفسر السبب الذي يجعل بعض الذكور يستمنون وهم وقوف بشد عضلاتهم والارتفاع بقامتهم على كعوبهم والضغط بشدة عضلات الإليتين والفخذين دون ملامسة القضيب. وقد يحدث أن ينزل بعض الأولاد عندما يبذلون مجهوداً من شانه أن يزيد من شد عضلات هذه المنطقة الجنسية. ولعل التوتر العضلي الذي يصيب الأنثى من جراء هذه الطريقة يذكّر بحركات الجماع عندها وعند الذكور، وخاصة إذا كانت الأنثى في وضع المعتلي للذكر فإنها تقوم بالجماع بنفسها. وقد ثبت إنّ طريقة الاستمناء بالضغط على عضلات الفرج والإليتين والفخذين أسرع إلى بلوغ الهزة من أية طريقة أخرى إن لم تتساو مع الطرق الأخرى.

والثديان وخاصة حلمتي الثديين قد يهيئان للأنثى وسيلة مجدية للاستمناء، والبعض يظهرن حساسية مفرطة في الثديين، وقيل إنّ نحو عشرة في المائة من الإناث يذهبن إلى تدليك حلمة الثدي بيد وباليد الأخرى يدلكن الفرج، ولا تبلغ الهزة بتدليك الحلمة وحدها إذ لا بد أن يصاحب ذلك معالجة البظر أيضاً والشفرين الصغيرين والشفرين الكبيرين.

وقيل إنّ نحو عشرين في المائة من الإناث يُدخلن أصابعهن في المهبل أثناء معالجة البظرين والشفرين، ويبدو أنّ أعصاب الحس لا توجد في المهبل نفسه كما قلنا ولكنها تنتهي بعد الحلقة العضلية التي تؤدي إلى المهبل عند مدخله، وإذا كانت بعض النساء يلجأن إلى إدخال أشياء شبيهة بالقضيب فإنما ذلك لأنهن قد مارسن الجماع الحقيقي ويردن أن يكون الاستمناء شبيهاً بالجماع، غير أنّ بعض النساء كذلك توجد لديهن أعصاب حسية داخل المهبل استثناء، وأمثال هؤلاء يسعدهن أن يدخلن أشياء إلى المهبل. وبعض الذكور يظنون إنّ إدخال أصابعهم إلى المهبل يسرع إلى بلوغ الأنثى الهزة، وهم بذلك يصنعون كما في الجماع. والواقع أنه قد ثبت أنّ ما دون فتحة المهبل لا يستشعر اللذة الجنسية، إلاّ أن يكون إدخال القضيب يستهوي خيال

المرأة فتحب ذلك وتطلبه، ومع ذلك فإنّ لذتها الفعلية لا تتحصل إلاّ عن طريق استثارة بظرها وشفريها الصغيرين والكبيرين، وخاصة البظر. وعلى أي الأحوال فلا ينبغي الظن دائماً أنّ المرأة لا تستشعر اللذة الجنسية ولا تبلغ الهزة إلاّ إذا لامس شيء ما المواضع الحساسة منها للجنس، فالواقع أنه قد ثبت أنّ نحو ٢٪ من الإناث يبلغن الهزة لمجرد تخيل المواقعة أو المداعبة، والحال عكس ذلك تماماً مع الذكور لأنه يندر أن يستمني الذكر وهو يقظ بمجرد تخيل الجماع مثلاً، ولا يحدث ذلك إلاّ في النوم فيما يسمى الاحتلام، وأحلامه قلما تأتي الإناث. وكذلك لا ينبغي الظن أنّ هذه الطرق السابقة وحدها هي الطرق المستخدمة عند الإناث للاستمناء فقد يلجأن إلى وسائل أخرى غريبة، ومن ذلك أن تستشعر المرأة اللذة بعمل الغسيل المهبلي وتحب الماء الدافئ تخضخضه فيها، أو تحب مبسم الحقنة تدخله في مهبلها، أو تهوى الحقن الشرجية. وقد تغرم المرأة بالضرب، ويروي «هافلوك إليس» و«شتيكل» حكايات شاذة كثيرة عن ذلك. ولا تستغرق الأنثى لبلوغ الهزة بالاستمناء باليد إلاّ زمناً قد يتراوح بين الثواني والدقائق الثلاث أو الأربع، وإذا كانت تستغرق أكثر من ذلك فلأنها تريد أن تطيل العملية بوسائلها الخاصة وليس لأنها لا تستطيع أن تبلغ الهزة أو تعجز عن الاستجابة بسرعة، وحتى في الاستمناء بالتخيل فإنها لا تستغرق أكثر من ذلك، ويطلق عليه البعض اسم الجماع المتخيل idealized coitus أو الجماع النفسي mental cohabitation أو الاستمناء النفسي أو المعنوي .moral of psychic m، أو حلم اليقظة الشهوي erotic day dreaming . وليس بصحيح أنّ الأنثى تستغرق وقتاً أكبر كي تبلغ الهزة في الاستمناء، فقد ثبت أنّ الفارق في المتوسط بين الذكر والأنثى لا يعدو بضع ثوان، فالذكر يستغرق في المتوسط دقيقتين أو ثلاثاً، بينما الأنثى تزيد عن ذلك قليلاً، وأما في الجماع فالقول بأنّ الأنثى يطول زمن الجماع عندها فذلك لعدم كفاية الجماع حيث لا يكون لها دور إيجابي، فإذا كان لها دور فهي أسرع من الذكر إلى بلوغ الهزة.

والإناث اللاتي يقبلن على الاستمناء، وكذلك الذكور، عادة من طبقات اجتماعية أعلى، وكلما ارتفعت الطبقة الاجتماعية للمراهق أو المراهقة، وكذلك كلما ازداد المستوى التعليمي كلما ازدادت احتمالات إتيان الاستمناء، ويبدو أنّ فرص التهيج الجنسي تزيد مع القراءة عن الجنس ومشاهدة الصور الجنسية والموضوعات الجنسية بالكتب والمجلات، وعن طريق السينما والتلفزيون، وبمشاهدة ما يدور بين الكبار من الجنسين في الحفلات العامة والخاصة، الأمر الذي يجعل الصغير أو المراهق في الطبقات المتيسرة والمتعلمة يُشغل بالأمور الجنسية عنه في الطبقات الكادحة المشغولة بأمور معاشها. ويكاد إتيان الاستمناء ينعدم تماماً في المجتمعات الإسلامية حيث ينهمك الشباب المسلم في العبادات وينصرفون عن الأمور الجنسية، وحيث يكون الزواج وجاء للمسلم من كل ذلك، وحيث الدين يأمره بالتعفف وينهاه صراحة عن الاستمناء. غير أنه مع الأخذ بأسباب الحضارة الغربية والتعليم الأوروبي تزيد نسبة المستمنين بين العلمانيين وخاصة طلبة المدارس الثانوية، وتصل إلى أعلى مستوى لها بين طلبة وطالبات الجامعات العلمانية. وعموماً فإنّ أعلى المعدلات للاستمناء في المجتمعات المتحضرة هي المعدلات للمراهقين حتى سن الخامسة عشرة وتبلغ في المتوسط نحواً من ٨٨٪، وبعد ذلك تأخذ في التناقص كلما زاد السن، إلاّ أنّ نحواً من نصف غير المتزوجين سواء من جنس النساء أو جنس الرجال يستمر في الاستمناء حتى الخمسين وما بعدها، وقد يطعن الرجل في السن وما يزال يستمني وإن يكن استمناؤه ناقصاً لا يبلغ به إلى الهزة.

وقد ينصح بالاستمناء كعلاج للمساعدة على استحداث تغييرات في التوجهات الجنسية عن طريق الإشراط، أو كعلاج للإنزال المبكر، وكذلك كعلاج لبعض حالات البرود الجنسي عند النساء. وهناك ما يسمى إعادة الإشراط الإنعاظي orgasmic reconditioning (ORC) وهو ضرب من العلاج يطلب فيه من المريض باللواط مثلاً أن يأتي

الاستمناء ويتوجه بأفكاره وخيالاته إلى مثير مناسب وسوي من الجنس الآخر، بحيث مع التكرار يتعلم أن لا يثيره سوى الجنس الآخر بدلاً من نفس الجنس، وذلك أدعى به إلى الشفاء من اللواط المصاب به. وكذلك يستخدم الاستمناء لعلاج القذف المبكر، وذلك بأن يُطلب من المريض أن يستمني بيده أو تفعل زوجته له ذلك فإذا قارب على الإمناء توقف أو طلب من زوجته أن تتوقف، ويكرر ذلك عدة مرات ويمني في الرابعة، وقد قيل إنّ ذلك يدربه على تأجيل القذف والتحكم فيه، غير أنّ هذه الطريقة كثيراً ما يعترض عليها المرضى المتزمتون أو قد لا تتقبلها الزوجات. وأيضاً قد يستخدم بعض الأخصائيين الاستمناء في علاج البرود الجنسي عند النساء بأن يُطلب من المرأة أن تستكشف أعضاءها الجنسية وأن تحاول أن تدلكها حتى الإنعاظ، مهما طال الأمر، فإذا تكرر ذلك على عدد من الجلسات مع رفع مخاوف المرأة وكوابحها وموانعها الأخرى فإنها قد تستعيد حساسية هذه الأعضاء، خاصة وأنّ أغلب البرود الجنسي مصدره مخاوف جنسية نتيجة تجارب فاشلة أو صادمة.



– ٣ –
عنة جنسية
Sexual Impotence

قد يتأخر زواج الرجل، وقد يلح عليه المحيطون به أن يتزوج فيتهرب من الرد عليهم ويتعلل بمختلف العلل ثم يتبين من بعد أنه عنّين، ويعني ذلك أنه لا يستطيع أن يتزوج لأنه عاجز جنسياً. والمرأة أيضاً قد تعزف عن الزواج وتعنس وقد يكون السبب أنها عنّينة، والعنة النسوية هي ما اصطلح على تسميته البرود الجنسي، بينما العنة الذكورية هي التي نطلق عليها عموماً اسم العنة، وقد يسميها البعض باسم العيية impotentia coeundi، والعياياء هو الرجل الذي يشكو عدم الانتصاب، وهو أيضاً العجيز، وقد يشكو الرجل عدم القذف، وعنة القذف

impotentia ejaculandi يقال لها أيضاً هرب المني .aspermia وقد تكون العنة عضوية .organic i وتتسبب عن مرض أو شذوذ خلقي تناسلي، كأن يكون مبال الرجل تحتياً، أو كأن يكون مصاباً بالطفالة أو بالسهام، وقد تكون العنة نفسية .psychic i أو نفسية المنشأ .psychogenic i ويقال لها العنة الوظيفية .functional i بمعنى أنها سوء أداء في الوظيفة وليست بسبب سوء في التكوين الخلقي.

والعنة النسبية .relative i عجز عن غشيان امرأة معينة أو نمط معين من النساء دون بقية النساء. وعنة الإشباق .orgastic i أو الإنعاظ هي العجز عن بلوغ الهزة.

وقيل إنّ الذكر يستحيل أن يقذف دون هزة، والقذف نفسه يعنى الهزة، وربما يكون المقصود بعنة الإشباق هذه الحالة من عدم الرضا أو عدم الشعور باللذة الجنسية مثلما يكون الأداء الجنسي للعصابي أو النرجسي، فالعصابي لا يولي الفعل الجنسي اهتمامه الكامل، وقد يأتيه بلا وعي، والنرجسي شخص له تصرفات البالغين الجنسية ولكن شعوره الجنسي هو شعور الطفل. وهو كالعصابي لا يأتي النشاط الجنسي بوعي كامل، واهتمامه بنفسه يحول بينه وبين الشعور باللذة تماماً كالعصابي، ومن أجل ذلك يوصف إشباقهما بأنه إشباق عاجز أو أنه عنة إشباق.

والعنة الشرجية .anal i تصف بعض حالات الإمساك والتي يصاب فيها الشخص بالعجز عن الإخراج تماماً كالعجز جنسياً، وذلك من فرط القلق والخوف من أن يلحقه الأذى بمنطقة الشرج عند التغوط، كأن يُجرح أم كان يُتلّوث بالغائط، وشبيه بذلك الخوف من إراقة المني تجنباً للضعف أو بسبب اعتقاد بأنه يصيب صاحبه بالتسمم، وقد يفسر الإمساك بأنه محاولة من الشخص كي لا يغضب المحيطين به ولكنه بدلاً من أن يضبط سلوكه فإنه يضبط إخراجه أو يضبط إمناءه، فيصاب بالإمساك أو يصاب بالعجز عن الإمناء أو القذف، وشبيه بذلك ما يحدث للمجندين الجدد وللأولاد في معسكرات الكشافة حيث يعجزون عن التغوط والتبول أمام

الآخرين، وقد يرتبط الإمساك الشرجي لهذا السبب بالإمساك الجنسي، ومرد ذلك إلى صراعات منذ الطفولة بين لذة أن يفعل الطفل ما يشاء، ويتبول أو يخرج وقتما يريد وفي أي مكان، وبين الالتزام بالنظافة وتنظيم الإخراج والتبول.

والعنة بوجه عام ظاهرة يشكو منها كثيرون حتى لقد قال عنها فرويد (١٩١٢) أنها تأتي في المرتبة الثانية بعد القلق من حيث نسبة عدد المصابين بها بالنسبة لمجموع المترددين على العيادات النفسية من المرضى النفسانيين. وقيل إنّ عنة القذف ظاهرة نادرة بالنسبة لعنة الانتصاب. وقيل إنّ استئصال الفصين الصدغيين عند القرود يستحدث بها أعراض السلوك الجنسي المفرط، وأنهما لذلك قد يكونان موضع الوظيفة الجنسية، وأنّ سوء وظيفة هذين الفصين ربما يعني نقص السلوك الجنسي أو العنة.

ويغلب أن ترجع العنة في الرجال والنساء لأسباب انفعالية، وقيل إنّ ١٪ من حالات الإصابة بها ترجع لأمراض أو عيوب جسمية، وأنّ أغلب المرضى بها يولون اهتمامهم بأسبابها العضوية أو البدنية دون أسبابها النفسية. وقيل إنّ العنة عند الرجال هي أصلاً عجز عن الانتصاب أو عن استبقاء الانتصاب حتى تمام الجماع. وقد يعجز العنين عن الانتصاب، أو قد ينتصب قبل الجماع، ولكنه ما أن يشرع في الإيلاج حتى يرتخي أو قد يرتخي بعد الإيلاج مباشرة.

ويمكن بشكل عام تقسيم المرضى بالعنة إلى فئتين، الأولى أفرادها ليست لديهم مشاكل جنسية ولكنهم تحت وطأة بعض الأزمات والمحن قد يصابون بعنة مؤقتة، والثانية مشاكلهم الانفعالية أساسية تسبب لهم عنة دائمة أو قد تتعاودهم العنة بسببها من حين لآخر.

وإنه لأمر عادي أن يصاب الأسوياء أحياناً بعنة طارئة لفترة قد تستمر أياماً وقد تطول لشهور، وقد تبلغ أحياناً الثلاثة والأربعة أشهر عندما يستبد القلق بالرجل أو يصاب بالاكتئاب أو تلم به الهموم والمشاكل في الوظيفة والبيت. وقد يسببها التعب والإرهاق أو الخوف من الافتضاح عندما يكون الجماع زنا، أو تكون العلاقة بامرأة علاقة محرمة، وقد

تترتب العنة المؤقتة نتيجة لقلة الخبرة الجنسية والخوف من الفشل في ليلة الزفاف أو الأيام الأولى من الزواج. وإذا كانت شخصية الرجل متوازنة فإنّ العنة ترتفع عنه غالباً وتلقائياً في مدة تتراوح بين الأيام والأشهر. وقد ينسب العنين شفاءه إلى تعاطيه للمقويات أو لممارسة الرياضة أو إلى الراحة والاسترخاء والإستئجار من الهموم والمشاكل. والواقع أنّ شفاءه يتحقق إذا استطاع أن يخرج من الأزمة الانفعالية التي يمر بها وأن يستبصر المشكلة الأساسية ويجد لها الحل، ومع ذلك فإنّ ما يظنه قد أفاده قد يكون له أثره الشفائي الناجح لأنه به يستعيد ثقته بنفسه.

وقد يحدث لسبب أو لآخر أن يفشل الرجل السوي في ممارسة الجماع فيقلق لذلك وتضطرب أحواله ويكون ذلك سبباً في إصابته بعنة تطول معه. وإننا لنعرف أنّ الجماع والقدرة عليه مسألة محورية بالنسبة للرجل، وذكورته من المكونات الأساسية لشخصيته، وإذا فقد الرجل القدرة على الجماع فقد يعني ذلك نهاية حياته، فيحس بالضآلة ولا يجد للعيش لذة، ويشعر بالمذلة وينصرف عن كل النشاطات الاجتماعية ولا تشده اهتماماتها. وقد يفيد أن يطمئنه المعالج، وأن يبين له أنّ العنة الوقتية مسألة طبيعية تحدث للكثيرين وتزول بزوال أسبابها. وقد يفيد أن ينصحه بتغيير نمط حياته، وأن ينظر إلى زوجته بمنظار مختلف، وأن يحاول معها من جديد، وأن يغير من الطرق الجنسية التي كان يتبعها معها، وقد ينصحه بالسفر، ولكن الأهم من ذلك أن ينبهه إلى ما تحدثه العنة من توترات، وما يلحق المصاب بها من إحساس بالخزي من زوجته، والخوف من انهيار حياته الزوجية وانفراط عقد عائلته، وأن يلفت نظره إلى أنّ هذه التوترات قد تزيد من محنته وتطيل بالتالي من أمد العنة، وقد يطلب منه المعالج أن يعمل على استعادة توازنه وثقته بنفسه، وأن يستمر في محاولة مباشرة زوجته مع تغيير أوضاع الجماع، وغالباً ما ينجح المريض ولا يعود إلى العيادة النفسية.

وقد ترتبط العنة بمشاكل انفعالية تضرب بجذورها في أساس الشخصية،

وترجع إلى صدمات تفاعلية جرت وقائعها إبان الطفولة أو المراهقة. ويخشى الرجال ممن لهم مشاكل من هذا النوع الدخول في علاقات جنسية مع النساء وإن كانوا لا يعلمون عن أنفسهم هذا الخوف من النساء، ويخشى بعضهم من النساء سيطرتهن وتسيّدهن، ويرون في الجنس مصيدة يقع فيها الرجال لتستعبدهم النساء. والرجل من هذا النمط يخشى أن يفقد حريته ويضيع استقلاله إن هو ارتمى في أحضان المرأة، وقد تكون خشيته من أن تمتنع عليه المرأة وتذله إن تورط في حبها وتدله في التودد إليها، ويسلبه الخوف قدرته على مباشرة النساء والقيام بالجماع بالطريقة السليمة. وقد لا تكون للرجل شخصية ناضجة فيستحيل عليه أن تكون له علاقة ناضجة بالمرأة. وقد يكون من النوع المرتبط عاطفياً بأمه أو بأخته الكبرى فيشق عليه أن يتوجه بمشاعره إلى غيرها، أو أن تكون له عواطف مدارها امرأة أخرى، أو حتى أن تكون له أفكار مستقلة عن أفكارها، أو غير مستوحاة من تعاليمها. واعتماده على هذه الأم أو الأخت الكبرى قد يكون من الشدة بحيث يفقده القدرة على أن يرغب في امرأة أخرى أو يطلبها. وقد يرى في كل النساء صورة من أمه، وكلما رغب في إحداهن أحسّ الخزي والعار والذنب كما لو كان سيضاجع أمه. وقد يمارس لذلك الجنس مع نساء أدنى من طبقة أمه الاجتماعية لأنه لا يرى فيهن أمه، أو قد لا يرى في الاتصال الجنسي بالنساء الأقل منه اجتماعياً ما ينقص من استقلاله أو يستعبده لهن، وبدلاً من أن تستعبده المرأة فقد يستعبد هو المرأة الأدنى اجتماعياً. وهذا النوع من الرجال يكُنّ للنساء كراهية بشعة ويخشاهن في أعماقه أيما خشية. وقد يظهر بعض ما يضمره لهن من عدوانية بأن يختار البغايا موضوعاً لمباشراته الجنسية وأن تكون معاملاته لهن من أسوأ المعاملات، وذلك شيء لا يستطيعه مع المحترمات من النساء.

وقد تلعب الزوجة في بعض الأحيان دوراً أساسياً في إصابة الرجل بالعنة، فقد تكون من النوع المسيطر العدواني سليط اللسان، وقد يكره زوجها منها ذلك

فيعاف الجنس لخاطرها، وقد يوقعه ذلك في صراع مع نفسه ورغباته، وقد تخلصه العنة من هذا الصراع بأن تنتهي علاقته بزوجته وتقضي على رغباته الجنسي، وقد تكون العنة تعبيراً عن التمرد على رغباته الجنسية وطريقة للتخلص من السيطرة الجنسية لزوجته عليه. وقد تتسبب له العنة في المزيد من المشاكل مع زوجته فتسخر منه وتعيره بها فتتأصل به العنة. وتتحصل لبعض النسوة من النمط السادي لذة سادية من تعيير الرجل بعنته وإنزال المزيد من الإذلال به، وكأنّ عنته أساسها نفسه في حين أنّ الأصل فيها زوجته. وقد يستطيع الرجل من هذا النوع أن يأتي النساء جميعاً إلاّ زوجته.

وتتضافر صدمات الطفولة والمراهقة من كل نوع على إصابة الرجل بالعنة إبان سنوات الرشد وقد ترجع العنة عند البعض لنشأتهم في كنف أمهات مستبدات، فتكون الأم دائمة التصغير لشأن ابنها ودفعه للإحساس بالقصور، وربما يكون أبوه من النوع الخانع المستكين لسوء معاملة الأم فيشكل نموذجاً سيئاً له يقيس إليه سلوكه. وقد يكبر الطفل وقد نمت لديه مشاعر قوية بالقصور، وخشية مستقرة من النساء، فإذا أصبح رجلاً قد يخشى الاتصال الجنسي بالنساء، وقد يرهب الزواج حتى لا تتكرر القصة ويعاني من نفس الموقف الذي عانى منه أبوه وعركه في طفولته. ومن ناحية أخرى فإنّ هذا الرجل قد يمضي طفولته وهو يعتمد على أمه، لا يعقد أمراً إلاّ بمشيئتها ويكره ما تكره ويحب ما تحب، ومن ثم يظل في رجولته شديد الارتباط بها حتى ليعجز عن إقامة علاقة سوية ناضجة بأي من النساء. وقد تكون اللواطة وإن كمنت سبباً في العنة. وقد يقوم الصراع في نفس الرجل بين رغباته الجنسية المثلية ورغباته الجنسية الغيرية، وقد يتسبب له هذا الصراع في الإصابة بالعنة. وقد تتسبب اللواطة الكامنة في الإصابة بما يسمى الخوف الغيري heterophobia وهو أن يخشى الرجل الاتصال بالنساء أو يخشى أن تكون له علاقة بهن، ويجعله ذلك يخشى الجماع ويعزف عنه. ومن شأن هذه اللواطة الكامنة أن تجعل الرجل يؤثر

صحبة الذكور على صحبة الإناث، ونعرف اللواطة الكامنة في الرجل من هذه الأعراض، ونطلق على هذا النمط منها اسم اللواطة الثانوية، وترجع بعض حالات عنة الانتصاب إلى الخوف من العلاقات الجنسية الغيرية.

وقد يتسبب إدمان العادة السرية في مشاعر ذنب تبدأ مع الشخص منذ صغره وتلاحقه في الكبر وتحول بينه وبين غشيان النساء والتعبير الغيري الصحيح عن دوافعه الجنسية. ومن ناحية أخرى فإنّ العنّين قد يستمر يأتي العادة السرية التي أدمنها كمنصرف وحيد لطاقته الشهوية، إلاّ أنّ استمراره في إتيانها يعمق مشاعر الذنب والخزي والعار، فضلاً عن أنّ العادة السرية قد تكون طريقة عصابية للتخلص من مشاعر الذنب والمخاوف من النساء، غير أنّ العنين غالباً شخص ضعيف جنسياً ودوافعه الجنسية ضعيفة، وقد يكون قضيبه صغيراً فيكون لذلك تأثيره على تفكيره وأحاسيسه بالكفاءة. وقد تترتب العنة عند البعض نتيجة الإسراف في إتيان النساء، وربما يكون في وسع الرجل أن يجامع عشر مرات خلال بضع ساعات، إلاّ أنّ ذلك يصيبه بالتعب والإرهاق، فإذا لم يكن يعطي نفسه راحة فإنّ الجسم نفسه يقوم تلقائياً بإجباره على الراحة بأن يعجز بعد فترة عن أن يستمر على مواصلة الجماع بنفس المعدل السابق، ثم يتوقف الرجل من بعد عن الانتصاب مع زيادة الإرهاق. والواقع أنّ الشهوة الجنسية تتأثر بالإفراط والتفريط، وهناك تخمة جنسية كتخمة الطعام تتعطل بها أجهزة الجسم الشهوية، وقديماً كانوا يقرنون شهوة الفرج بشهوة البطن، وكلاهما يتأثر بعوامل كثيرة، ومن ذلك المناخ، وتزيد الشهوتان في الشتاء، ومن شأن فصول الحرارة وعندما تزيد الرطوبة أن تجعل الرجال يعزفون عن الجماع، وإذا حاولوه فقد يعجزون، وكذلك تبين أنّ الناس فوق الجبال العالية لا تكون بهم رغبة للجماع وتصيبهم العنة.

ولا توجد علامات جسمية يمكن أن نتعرف بها على العنّين الذي أزمنت به العنة لأسباب عضوية أو نفسية، والمعول عليه أنّ العنة قد يصاب بها الشخص إذا

أصابه الاكتئاب، وكذلك فإنّ العنين يصاب من العنة بالاكتئاب، ويلحق الجسم ضرر بليغ من الاكتئاب سواء في الهيئة أو المشية، وتتغير به ملامح الشخص وسحنته. ومن جهة أخرى فإنه قد تبين أنّ العنة تلازم الجسم النحيف الواهن، وتترافق والأجسام المشوهة أو المصابة بالعاهات، وتكاد تنطق بها أحوال الرجال الكبار في السن الذين يسيئون الأدب مع النساء في الحدائق العامة أو الأتوبيسات أو الأسواق أو يحاولون الاعتداء على الأطفال.

والعنين قد يكون خصياً، وقديماً كانوا يخصون الرجال الأسرى، وقد يوقع الجيش المنتصر برجال المدينة التي تسقط ويخصيهم. والإخصاء ليس فقط بقطع الخصيتين، فلقد يطلق اسم الخصي مجازاً على الأسير في الحروب الحديثة بعد أن يُجرى له غسيل مخ وتُستأصل شخصيته وتُصنع له شخصية جديدة باتجاهات وتفكير جديدين. واستئصال الشخصية يتم أيضاً بشكل عادي وإن يكن مبرمجاً بواسطة أجهزة الإعلام، وقد تسمع ضمن الاستخدامات السياسية الحديثة مصطلح الإخصاء بمعنى أن يتحول المرء من بعد القدرة على التعبير عن نفسه إلى العجز حتى عن التفكير لنفسه، وعندئذ قد يقول إنهم أخصونا أو إننا قد أُصبنا بالعنة. والعنين المقصود هو هذا العيياء أو العاجز عقلياً ونفسياً، وهو عنين على المجاز والحقيقة معاً، إذ تترافق العنة النفسية والعنة الجنسية ترافق الصنوين، ولقد تبين أن من تُجرى لهم عمليات غسيل المخ يعجزون عن أن تكون لهم علاقات جنسية سوية وأغلبهم يصاب بعنة بالانتصاب.

والخصي الذي عنته بسبب مرض يوقف نمو الخصيتين قبل البلوغ تتوقف السمات الجنسية الثانوية عن أن تنمو به أيضاً، فلا يتغير صوته مثلاً إلى الرجولة، ولا ينمو شعر العانة عنده إلاّ لماماً، ويظل جسمه على رقته ويميل إلى التكوين الأنثوي، ولا ينتصب أو قد يكون انتصابه ضعيفاً، بينما الخصي الذي جرى إخصاؤه بعد البلوغ قد ينتصب وإن كان ذلك نادراً وبعد الإخصاء مباشرة، فإذا انقضى عهد على الإخصاء فقد لا ينتصب بمضي المدة، وهو لا يمني أيضاً.

والعنة تزيد في سن عنها في سن أخرى، وطبقاً لتقرير كينزي فإنّ احتمالات الإصابة بها في الشباب أقل منها في الكبر، وكانت نسبة المصابين بها من بين الشبان في العشرين ١٪، وبينهم في الثلاثين ٨٪، وبين من بلغوا الأربعين ١,٩٪، وبين كبار السن في الخمسين ٦,٧٪، وفي الستين ١٨,٤٪، وفي السبعين ٢٧٪، وفي الثمانين ٧٥٪.

والعنة تكثر بين الرجال في المدن عنها في القرى، وربما كان ذلك بسبب الضغوط النفسية التي تشتد بتأثير الصراعات بين الأفراد في الحياة في المدينة. وكذلك تكثر العنة في البيئات الصناعية وبين سكان الدول المتحضرة. وتزيد احتمالات الإصابة بالعنة العضوية بالنظر إلى نوعية الحياة المضطربة في تلك البيئات والتي منها إصابات العمل والعدوى بالأمراض التناسلية، إلاّ أنّ العنة أغلبها في هذه المجتمعات عنة نفسية، وعموماً فإنّ العنة في ٩٥٪ من الحالات هي من نوع العنة النفسية التي سببها ما قد يعانيه الرجل من ضغوط واضطرابات انفعالية نتيجة العيش في ظل الظروف الاجتماعية والدولية المعاصرة. وأغلب المصابين بالعنة من بين المترددين على العيادات النفسية أو مراكز الأسرة هم من أبناء الطبقتين المتوسطة والعالية، وكانت أغلب حالات العنة التي اكتشفها كينزي لرجال من هاتين الطبقتين ومن فئات المتعلمين. وتكثر العنة بين أساتذة الجامعة وبين الفنانين، وهناك ارتباط قوي بين العنة واللواط عند الفنانين، ولعل ذلك يفسر حالة العزوبة التي يعيش فيها أغلب الفنانين. واللواط نفسه عرض لاضطراب في الشخصية، والعنة لا تترتب على اللواط بقدر ما تترتب على الاضطراب الكامن في الشخصية. وتستحدث الاضطرابات العقلية العنة، أو أنّ الكثير من الصراعات الانفعالية التي تدخل ضمن الاضطرابات العقلية والعصابية ترتبط بالصراعات الجنسية التي منها عَرَض العنة. وتنشأ العنة غالباً عند الشباب الأقل من الخامسة والثلاثين نتيجة مشاكل نفسية، ومن ثم يمكن أن تترافق والإصابة بالاضطراب العقلي أو العصابي. والكثير من المجرمين يشكون العنة على غير المتوقع من أمثالهم، وتدل

الإحصاءات على أنّ المجرم غالباً لا يتزوج، ويظهر من التحقيقات والفحوص التي تتم للمجرمين الذي يهتمون بجرائم جنسية أنهم غالباً مصابون بالعنة، ويبدو أنّ المجرم الجنسي يتجه إلى هذا النوع من الجرائم الخلقية كمحاولة لإثبات قدرته الجنسية، وغالباً ما يكون السلوك الإجرامي الجنسي والعنة كلاهما مظهر لسوء توافق جنسي أو أي نوع آخر من سوء التوافق.

والعنين الذي يصاب بالعنة بعد حياة جنسية عادية تظل به رغباته الجنسية ولكنه بدلاً من أن يتوجه بها إلى التحقيق فإنه قد تأتيه حالات من الاكتئاب نتيجة الإحباط الذي يحياه ويعتزل الناس، وقد يعيش كالآخرين ويستسلم لقدره، وقد يتمرد على ما آل إليه حاله، ويستعوض ما فقده ويغالي في التعويض بأن يسلك سلوكاً ذكورياً استعراضياً، يتباهى فيه بعضلاته أو يستعرض صوته أو يكثر من الحكايات والنكت الجنسية، وقد تصبح لديه هواية جمع الصور العارية أو مشاهدة الأفلام الجنسية الممنوعة، وقد يلعب الرياضة ويهوى العنيف منها. وقد تعبر الرغبات الجنسية المكبوتة عنده عن نفسها في الأحلام أو تتحول أعراضاً عصابية.

ويسلك العنين مع الناس من حوله من وحي تأثيرات العنة على حالته النفسية، وبقدر ما يستشعر منها الخزي أو الخوف أو الذنب أو الضعف والمهانة، وكلما كان شعوره بالعنة التي أصابته عميقاً كان رد الفعل على أهل بيته وزملائه سيئاً. وتختلف حالته، ومن ثم سلوكه، باختلاف اعتقاده بأنّ عنته سببها نفسه أو سببها زوجته.

ولربما تخفف الثقافة الجنسية التي تلقاها العنين منذ صغره من تأثيرات العنة عليه، ولربما تزيد هذه التأثيرات، والثقافة الجنسية يمكن أن تفيد صاحبها ويمكن أن تكون لها عواقب وخيمة فتضخّم الأمور بالنسبة له. والخبرة الجنسية كذلك قد تضر وقد تنفع. وقد تجعل الثقافة الجنسية والخبرة أقل إحساساً بالخزي وبالخوف، وأكثر تقبلاً للعنة باعتبارها حدثاً طارئاً أو وافداً. وقد يحسب أنه لا بد أن ينسجم مع زوجته التزاماً بما ينبغي أن يكون عليه الزواج

الموفق، وقد يظن أنه وزوجته لكي يكونا سعداء في حياتهما الزوجية لا بد أن يبلغا معاً، وأن يطول الجماع بحيث ترتوي منه زوجته ارتواؤه منه، وقد يفرض على نفسه أموراً ويحاسب نفسه حساباً عسيراً ويبالغ في الحساسية حتى ليخاف أن يجامعها أو يدخل معها تجربة الجماع متوتراً وقلقاً فيفشل كما هو المتوقع. وقد يلوم نفسه لأنه عاجز عن إشباع زوجته جنسياً، وقد يجعله هذا الشعور غضوباً، ويفجر به الشعور بالنقص الغضب، وقد يتولد شعوره بالذنب نتيجة إسرافه في العادة السرية في صغره أو إسرافه في إتيان البغايا في المراهقة والبلوغ أو نتيجة ولوغه في إتيان النساء قبل الزواج.

ويمكن أن لا يصاب العنين باليأس. وهو إذ يصاب بالعنة قد يفرط في حب زوجته وإظهار المحبة لها، وقد تجعله العنة يعبدها ويترضاها. وقد يكون حب العنين لزوجته بمثابة تكوين رد الفعل لكراهية لا شعورية، أو قد يكون تعبيراً عن رغبة في العودة إلى الطفولة والسلوك كطفل يحب أمه، فيتعلق العنين بالزوجة لكي تظهر له العطف والمحبة وكأنه ابنها.

ويبدو أنّ بعض الرجال يميلون إلى أن يصابوا بالعنة بتأثير اتجاهاتهم نحو الجنس أو مشاعرهم نحو زوجاتهم او النساء في محيطهم، وهناك من النساء من يجعل الأزواج يتعلمون العفة على الحقيقة وليس على المجاز، ولربما تكون الرغبة في الإصابة بالعنة التي يبديها الرجل في أحاديثه كأمنية يتمناها لنفسه دليل معاناة من صراعات جنسية لاشعورية، وبعض الناس قد يتمنون الموت ويتصرفون بحيث يستجلبون الموت لأنفسهم، وكذلك هناك من الرجال من يطلب العنة ويتمناها خلاصاً من سيطرة الجنس وما يستولده من حاجات تجعله في موقف ضعيف بالنسبة للنساء. ولقد اضطربت الأدوار الاجتماعية للمرأة والرجل في الحياة المعاصرة حتى ما عاد أحد يدري الحدود التي في إطارها تكون المرأة أنثى، أو ما عاد أحد يعرف من هي الأنثى بعد أن شاركت المرأة الرجل في كافة المجالات ونافسته فيها، ومن ثم فقد انعكس ذلك على العلاقات الاجتماعات بين الجنسين، ولعل العلاقات الجنسية هي أكثر هذه

العلاقات اضطراباً، ويظهر أثرها على الرجال في شكل العنة النفسية التي سببها الصراعات الانفعالية بين الجنسين.

ولا شك أنّ زوجة العنين لها أثر على إصابته بالعنة واستمرارها معه، ولا مندوحة عن افتراض أنها إنسانة تعاني من مشاكل جنسية قبل أن تتزوجه وبعد أن تزوجته، وإلاّ فما حاجتها أن تتزوج رجلاً لديه كل إرهاصات الإصابة بالعنة، أو تستمر في الحياة مع رجل أصيب بها. وتستطيع كل امرأة أن تتبين بسهولة ما إذا كان خطيبها أو الرجل الذي يتقدم لها كزوج له المواصفات العامة للذكورة من حيث الشكل والسمات والسلوك، غير أنّ النساء يرضين برجل دون الآخر لأنه يناسب حاجات في نفوسهن. وكذلك فإنّ بعض الرجال يرتبطون بنساء يعلمون أنّ فيهن حتفهن النفسي إلاّ أنهم يتعقلون بهن، والنتيجة أنّ الزواج يكون صراعاً مدمراً بين الطرفين يخسر فيه الرجل رجولته وتقبله المرأة على علاّته. وقد ينفر الرجل من أسلوب زوجته في الجماع، فبمجرد أن يجدها، باردة وغير متجاوبة فإنّ حماسه يقل ويتهافت انتصابه، ويكثر فشله إلى أن يقلع عن الجماع تماماً. وبعكس الجماع العلاقة بين الزوجين في مجملها، وهي علاقة نفسية جنسية تتأثر بحساسية الأزواج، وبالخناقات والصراعات بين الطرفين. وقد تتأثر القدرة الجنسية للرجل إذا لمس استرجال زوجته أو أحس منها بعدم الرضا بحياتها معه، ومع ذلك فقد يسأل سائل ولماذا يستمر مع زوجة كهذه بحيث تجعل منه رجلاً كالخصي؟ والجواب أنّ الناس يتفاوتون في الحاجات، ومن الصعب الإحاطة بهذه الحاجات حتى نقضي في أيهم بمثل هذا التساؤل السابق.

وقد يستخدم الزوج موانع الحمل، أو تستخدمها الزوجة برغم عدم رغبتها أو نفور الزوج منها، وقد ينعكس ذلك على تصرفات الزوجة وتجاوبها أو انتصاب الزوج، وقد تستدخل المرأة العجلة بعد الملاعبة «فيبرد» الرجل، وقد يتسبب قراب القضيب في القذف قبل الأوان، أو قد يقلل من حساسية القضيب فلا ينتصب. وينتج عن الخلاف بين الزوجين

حول استخدام موانع الحمل أو استخدام أحدها دون الموانع الأخرى أن تقل الرغبة الجنسية عند الرجل أو عندهما معاً.

ولا تعني العنة أنّ الرجل لا يحب امرأته، فبعض العنة أسبابها من خارج الزواج، وإذا لم تكن هناك مشاكل بين الزوجين فعلى الزوجة أن تتقصى أسباب عنة زوجها في المشاكل خارج نطاق الأسرة، ولا تتهمه بكراهيتها أن انتهاء حبه لها. ولربما فعلاً يلجأ الزوج إلى الانتقام من زوجته بأن يصاب بالعنة وذلك لكي يجعلها، دون أن يعي ذلك، تزهد الاستمرار في العيش معه، وربما تكون العنة وسيلة هجومية من الزوج ضد الزوجة باعتبار القضيب سلاح الرجل يستخدمه للقضاء على زوجته، بأن يرفض توظيفه لخدمتها. وقد يستخدم الرجل عدم انتصابه كوسيلة ليُلقي اللوم عليها، أو كذريعة فيطالبها بأن تكون معه على هواه وترضي نزعاته التي ترفضها. وبعض الرجال قد يشتهون جماع الزوجة في الدبر فتتكره على الزوج فيعاقبها بأن لا ينتصب كلما كان عليه أن يجامعها في الفرج. وهناك حالات كثيرة لأزواج لا ينتصبون لأنّ زوجاتهم لا يمارسن مص القضيب معهم أو لأنهن يرفضن أن تلعق فروجهن. وعلى العموم فإنّ الرجل يمكنه أن يعرف قبل الإقدام على الزواج ما إذا كانت زوجته ستوافقه على ميوله أو ترفضها، فالمرأة شديدة الخجل قد تجعل زوجها يستشعر الخجل من نفسه ولا يكون على سجيته معها فيصاب بالعنة، وكذلك المرأة العدوانية قد تجعله يخافها، وأيضاً المرأة الغليمة التي تتعجل الجماع وتطلبه دون حياء وتريد أن يكرره معها فقد تجعله لا يحترمها ويشمئز منها. ولربما يكشف أي الزوجين عن ميوله من الأوضاع التي يؤثرها وهو يجامع، والكلمات التي ينطق بها.

وتتأثر الأسرة كلها بعنة الزوج باعتبار العنة عرض لاضطراب ينعكس على العلاقات التفاعلية بين الزوج وبقية أفراد الأسرة. وتزيد العنة من الإحساس بالمشاكل وتصبغها بالمشاعر المتبادلة وأحاسيس الذنب والخزي ونقص الكفاءة والإحباط، والنتيجة أنّ الزوجين قد يتبادلان الاتهام وقد ينسب أحدهما

للآخر الخيانة، وقد تجعل هذه الأمور أكثر من واحد في الأسرة ويتمنى طلاق الزوجين، وتعيش الأسرة أحلام يقظة من نوع مزعج.

ويتأثر محيط الأطفال بعنة الأب والخلافات المترتبة عليها، وتكون للاتجاهات العصابية أثرها في تنشئتهم. ومع ذلك فمن الممكن أن تتحمل الزوجة عنة زوجها، وأن يتقبلها الزوج كقضاء وقدر، وأن يتعايش الاثنان من غير منغصات تنعكس على الأولاد. ولا ينبغي أن نفهم من ذلك أنّ الرجل المصاب بالعنة يمكن أن يتزوج بصرف النظر عن العلاقة الجنسية، والواقع أنّ الرجل الذي يكون عنيناً قبل أن يتزوج ولا يقول للمرأة التي يريد أن يرتبط بها، إنما يمارس خداعاً غير مقبول في الزواج، ويخاطر بحب المرأة له.. ورغم أنّ الحب يصنع المعجزات إلاّ أنّ المخاطرة بالزواج بين رجل عنين وامرأة تحبه ولا تعرف عنه أنه عنين يرجّح احتمال الفشل ويحمّل الزواج أكثر مما يتحمل. وإذا استمرت العلاقة بين الزوجين قائمة فإنها تستمر بسبب وعود الوفاء يستشعر منها الطرفان أنّ أحدهما هو الخاسر، وأنّ حياته بلا مستقبل ولا ضمان، وإذا انعدم الشعور بالأمن في الزواج فمصيره إن آجلاً أو عاجلاً إلى نهاية.

وغالباً ما تكون حالة العنين الذي يسعى إلى الطبيب طلباً للعلاج مبشّرة بالشفاء، غير أنّ نسبة الشفاء من العنة المزمنة متدنية. وعلى أي الأحوال فإنّ العلاج الذي ينصح به يتضمن الاسترخاء العضلي وتثقيف المريض جنسياً. ويقوم العلاج السلوكي على فكرة سلب الحساسية بخفض القلق المصاحب للاستثارة الجنسية أو الجماع، والتدريب على الثقة بالنفس كوسيلة مساعدة للرجل على الإحساس بأنه المسيطر على الموقف خلال علاقاته بالنساء. وقد ينجح الرجل الذي لا يستطيع إكمال الجماع بسبب الارتخاء المفاجئ قبل الإيلاج أو بعده إذا تعلم هو وزوجته أن يقوما بالأداء الجنسي بالمشاركة فيما بينهما، وبالتدريج بحيث ينتهيان كل مرة عند مرحلة معينة تزاد عند نجاحها إلى مرحلة أخرى تالية عليها وهكذا. وأثبتت هذه الطريقة نجاحاً كبيراً في كل الحالات

التي أجريت فيها (Masters Johnson: Human Sexual Inadequacy).



– ٤ –
عنانية
Onanism

هي العزل بطريقة «عُنان» أو «أونان» كما يسميه مترجمو التوراة (سفر التكوين الفصل الثامن والثلاثون العبارة ٩) فبعد أن مات أخوه «عير» أمره أبوه أن يدخل على امرأة أخيه ليكون لأخيه منها ولد، فرضخ «عنان» ولكنه كان إذا قارب الإنزال أخرج قضيبه بسرعة وأنزل خارجها حتى لا تنجب نسلاً ينسب إلى أخيه دونه.

والعنانية إذن هي ما يسمى العزل، وهي بتعريف هافلوك إليس جماع غير كامل، يتجنب الرجل بها القذف في المهبل ويفضي خارجه، وقيل هي جماع متقطع لأنّ الرجل يقطعه قرب الإنزال، وهي أيضاً جماع متحفظ لأنّ المجامع لا يترك نفسه على سجيتها ولا يضاجع المرأة حتى النهاية خشية الحمل غالباً. والجماع المتقطع وكذلك الجماع المتحفظ من ضروب الجماع.

والعنانية عند «فيرينزي» معادلة للاستمناء، لأنّ العناني أو العازل لا يكمل الجماع ويؤديه ناقصاً بغاية الاستمناء دون غاية الجماع، فالجماع الكامل شرطه أن يفضي الرجل في الرحم. ويبني «فيرنيزي» على ما سبق أنّ حالة الهياج التي يبلغها الأطفال باللهو بأعضائهم الجنسية هي عنانية أولية لأنها أدنى من الجماع وليس فيها إنزال. ويقول «فيرنيزي» أيضاً بعنانية سرئية larval o.، والسرأة larva هي اليرقة. وهذا الضرب من العنانية يشير به إلى كل فعل يعادل الجماع ولكنه لا يرقى إليه، ومن ذلك مثلاً أنّ بعض الناس يشاهدون وهم يضعون أيديهم في جيوب سراويلهم باستمرار يضغطون بها على قضبانهم أو يشدون عليها أو يدلكونها. ومن ذلك أيضاً العنانية الفمية buccal o. تمارسها النساء بمص القضيب، أو يأتيها الشاذ بمص ذكراً لآخر. والعناية النفسية هي أن تكون

للرجل وللمرأة أوهام جنسية فيتخيل أنه يضاجع ويتنصب ويجامع، وقد ينزل كما في العزل، أو قد لا ينزل كما في الجماع الناقص.

ومن رأي البعض أنّ العنانية أو العزل تضر المرأة والرجل على السواء، فقد يترتب عليها اضطرابات جنسية تحول بين المرأة وبلوغ الإنعاظ، وقد يتطور ذلك عندها إلى برود جنسي، وقد يستحيل الخروج المتكرر قبل الإنزال إلى عنة مؤقتة. وقد يسوء التوافق في الزواج نتيجة استمرار ممارسة العنانية او العزل، ولم ينصح الرسول الكريم بالعزل إلاّ تحت إلحاح الظروف كما في الحرب. ومن رأي فرويد وآخرين أنّ العزل قد تكون له أعراض العصاب الحقيقي، غير أنّ الطب النفسي لا يذهب إلى هذا الرأي. وربما كان هذا القول من فرويد وفيرنيزي والتحليليين الآخرين أساسه يهوديتهم وأخذهم من التراث التوراتي حيث وردت قصة عنان هذا.



– ٥ –
كراهية النساء
Misogyny

قد يبدي بعض الرجال نفوراً واضحاً من النساء ويفصحون عن كراهية أصيلة لهن، ولا شك أنّ هذا النفور وتلك الكراهية بمثابة ظواهر مرضية ترجع غالباً إلى خبرات قديمة من الطفولة نتيجة العلاقة المتردية بين الأبوين ومردودها على أطفالهما، وبسبب الخلافات والصراعات التي تحتدم بينهما، وما قد يستشعره الأطفال تجاه الأمهات المسيطرات أو المسترجلات أو اللاهيات عن واجباتهن الزوجية بأمورهن اليومية، والطفل إذ ينفر من أمه ويكرهها لإهمالها له، أو بالنظر إلى ما تثيره من مشاكل، فقد ينزاح شعوره ذاك إلى كل النساء ويعممه عليهن من بعد ويصبح نفوراً منهن بعامة.

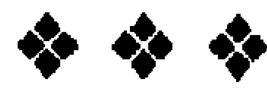
وربما تنفر النساء من النساء فليست الكراهية للنساء وقفاً على الرجال دون النساء، والمرأة التي تنفر من بنات جنسها ربما تعاني من ميول لواطية

تتسبب لها في صراعات بين أن تُظهر هذه الميول صريحة وأن تكبتها أو تقمعها، وتكرههن بسبب ما تعانيه فتبالغ في إظهار الابتعاد والنفور والكراهية، أو تظهر عليها أعراض الخوف من النساء.

والمرأة العصابية قد تظهر من السلوك ما يفهم منه المحيطون بها، أنها تحتقر كل ما هو أنثوي، وذلك بسبب رغبتها المستمرة أن تكون رجلاً، وربما كانت لهذه المرأة تربية جعلتها تتمنى بالفعل أن تكون ذكراً، وربما كان والداها يتوقعان أن ينجبا ذكراً فلما جاءت أنثى ظلا من الطفولة يعاملانها كذكر، ويطلقان عليها اسماً ذكراً، ويسمعانها من الحكايات ما يقر في ذهنها ووجدانها أفضلية الذكر على الأنثى، فتشب وهي تتمنى أن تكون كذلك، وتأتي من السلوك مسلك الذكور، وترتاد المجتمعات الذكورية، وتعاف مسلك النساء، وتدخل مع الرجال في مساجلات ومنافسات. والكثير من النساء من هذا النوع يتعامل معهن الرجال بوصفهن أشباه رجال.

وقد يبدي المأبون، وهو اللوطي المفعول فيه، كراهية للنساء، لأنه يرى فيهن ضعفه الفاحش، أو ربما لأنه يعتبرهن مزاحمات له يفضلنه في هذا المجال.

ولربما يلجأ المريض بالبارانويا إلى قتل النساء حتى تكون له أنوثتهن، وذلك لأنّ رغباته الجنسية المثلية تجعله يريد أن يتحول نهائياً إلى امرأة، ولربما بقتل المرأة يمكن ان تكون له صفاتها أو يصبح هو المرأة الوحيدة (أنظر خواف النساء والفصام والبارانويا).



- ٦ -
كراهية الزواج
Misogamy

يرجع علماء التحليل النفسي الكراهية للزواج والنفور منه إلى تأثير الموقف الأوديبي من الطفولة واستمرار مشاعر الطفل تجاه أمه إلى البلوغ وما بعده، وتثبتّه على هذه المشاعر حتى ليستحيل عليه أن يستبدل بأمه أية امرأة أخرى فيعاف الزواج وينفر من فكرته.

وقيل إنّ كراهية الزواج مصدرها ببساطة خبرات الطفولة الصادمة بسبب الخلافات والصراعات بين الأم والأب. ويعاني المصابون بالفصام بوجه خاص من كراهية الزواج. ويذهب علماء التحليل النفسي إلى القول بأنّ الزواج عند الفصامي بمثابة ممارسة جنسية مع الأم، وكراهيته للزواج هي لذلك دفاعه ضد رغباته الكامنة من هذا النوع.



- ٧ -
الجنس والقمار
Sex & Gambling

الإثارة في القمار هي ما يسعى إليه المقامر، وهي إثارة جنسية في باطنها، والفوز في القمار إنعاظ، والخسارة يرمز لها الإخصاء.

والقمار لعبة الذكور، ومثلما يحدث عندما تتلاعب ذكور الحيوانات فإنها قد تعض بعضها البعض في القضيب والخصيتين، أو قد تتعارك فتتعاض في هذين المكانين بقصد الإخصاء، فإنّ كل مقامر لاشعورياً يريد أن يخصي الآخر، وإنه لمن المألوف أن تسمع المقامر يقول لزميله إنه سيخصيه. والمقامر وإن كسب فإنه الخاسر في النهاية، وهو يستمر في اللعب على أمل أن يعوض خسارته. والمقامر ماسوشي، ومعاودته للعب فعل قهري ودليل على عصابية، وهو يجر على نفسه الخراب وعلى المحيطين به. ومعنى أنه ماسوشي أنه من استمراره في المقامرة برغم الألم الذي تستنزله به وبأهله يستشعر لذة لهذا الألم. وهو يسلم نفسه للحظ ويهدف إلى الثراء السهل، ويعني ذلك أنه اعتمادي، وأنه يريد أن ينكص إلى المرحلة الفمية التي كان يتغذى فيها بالرضاعة يوفرها له غيره. والمقامر استمنائي قد نجح في كبت إتيان فعل الاستمناء المباشر باليد واستخدمها، أي اليد، استخداماً استمنائياً في تناول أوراق اللعب وحبات النرد، ويشعره ذلك بلذة شبقية معادلة للذة الاستمناء. ويذهب فرويد إلى أنّ القمار معادل للاستمناء، ومن شأنه، أو من شأن الاستمناء ومعادلاته أنهما

يؤديان إلى الإدمان. والقمار يلزم له شريك، واستمناء المقامر من نوع الاستمناء المتبادل بين المستمنين mutual masturbation. ومعنى أنّ القمار استمناء قهري أنّ المقامر يستخدمه كبديل للجماع، فهو يخفف عنه التوتر، ويأتيه دوماً كاستجابة وحيدة كلما تواجه وأي استثارة. والمقامر القهري لا يكون للشبق الجنسي طبيعته السوية عنده، ولكنه وسيلة يحمي بها نفسه ضد أي مثير خارجي، ونرجسيته تجعل من أي مثير خارجي موضوعاً يتهدد أمنه، وهو يدمن القمار بسبب مشاعر الذنب التي يستشعرها به، والمستمني والمقامر كلاهما يحس الذنب ويتوقع العقاب ويلعب استجلاباً للذة الجنسية تنسيه ما يعانيه. والمستمني وهو يقهر على الاستمناء برغم علمه بما سيجره عليه الاستمناء، يترك مصيره للحظ، وكذلك المقامر. وهو لا يعيش في أمان، والإنسان عندما يعوزه الأمان ينكص إلى مراحل سابقة من حياته يفعل ما كان يفعله ويعطيه الإشباع. والمقامر ربما وهو صغير تهددته ظروف، وقد يكون قد انتصر عليها بالاستمناء، وفي كبره قد يلجأ إلى بدائل الاستمناء ومنها القمار كخلاص من توتراته.

وهناك أنواع من المقامرين، فالمقامر الاجتماعي social gambler يلعب لمتعة مشاركة الآخرين، والمقامر المحترف professional g. يلعب كتجارة ومهنة، والمقامر المعادي للمجتمع antisocial g. غشاش ويلعب ليسرق، فليس اللعب غايته ولكنه وسيلته للسرقة، وأما المقامر القهري فهو بغيتنا، وهو يلعب لأنه مريض بالقمار، وهو يهمل طعامه وشرابه ووظيفته وزوجته ليلعب، ويبيع قوت عياله ليواصل اللعب، ولا يستطيع إلاّ أن يلعب، واتجاهاته غير واقعية ومعتقداته الكثير منها غير منطقي وتقاوم التغيير، وهو يؤمن أنه بالقمار سيصير غنياً وأنه لا حاجة لأن يعمل، وتفكيره تفكير سحري magical thinking يأخذ بالفأل، ويعطي الكلمات والإيماءات والألوان معاني، ويجعلها رموزاً يستفتحها ليلعب بوحي منها، ويرى أنه بها يستطيع أن يؤثر في الورق أو في الزهر بتركيزه وتفكيره فيه، وتسليط عينيه عليه، والتمتمة بكلمات

يستبرك بها. ويذهب علماء النفس إلى ردّ هذا السلوك إلى شخصية المقامر الاعتمادية السلبية التي بدأت تتكون لديه منذ الصغر، بتشجيع من الأهل، ليظل مرتبطاً بهم ولا حول ولا قوة من دونهم، فإذا كبر لا يستطيع أن يصمد في وظيفة ذات مسؤولية ولا أن يكون زوجاً، ويركن إلى الحظ، والحظ امرأة لعوب lady luck تُمنّي ولا تعطي، وربما كان هو نفسه حظ نفسه، وصديق نفسه، لأنه ذاتي، وذاتيته هذه هي التي تجعله بلا صديق، وهو لهذا السبب غير موفق إن تزوج، وغالباً ما لا يتزوج.



- ٨ -
الدون جوانية
Don Juanism

الدون جوان هو زئر النساء، وقيل إنه عاش حقيقية في إشبيلية بأسبانيا، وأنه أغوى إحدى البنات فتصدى له أبوها، وتبارزا فقتل الأب، فانتقم له جماعة من الرهبان باستدراج دون جوان إلى حيث كان مدفن الأب وقتلوه. وخلد موزار القصة في أوبرا دون جيوفاني.

ويذهب علماء التحليل النفسي إلى اعتبار الدون جوانية نمطاً من أنماط الشخصية الجنسية، والدون جوان عندهم هو التجسيد لعقدة الذكورة، فزئر النساء إما له شكل الإناث فيحب أن يؤكد ذكورته باستمرار وينحو لذلك إلى الغزو والفتح والسيطرة وكأنه القائد الفاتح، يهوى كل يوم أن تستسلم له مدينة إظهاراً لذكورته (مذهب أدلر)، وإما أنّ الدون جوانية تكون في الرجل من طراز كازانوفا، وهو القبيح الشكل ولكنه جريء اللسان على النساء، يعوض بجرأته قبح شكله، ويبدو أنّ شكله هذا كان ينفر منه أمه في صغره، فتحول بسبب هذا النفور منها إلى كل نساء العالم ينتقم منهن ويفسق بهن ويستحلّ الحرمات ويعبث بالأعراض، وربما كانت به رغبات شبقية بأمه رغم قسوتها عليه، أو ربما كان يتمنى لو يفسق بأمه كنوع من رد الفعل على قسوتها، وهو ما لم يتحقق له فيعوض عنه تعويضاً يستنفد

الكثير من طاقته، ويتوهم أنّ كل النساء أمه ويغرر بهن، وفي ذلك إظهار للسيطرة ولو في صورة مرضية.

والدون جوان أو زئر النساء عشيق الغواني، ويهدف إلى أن يجعل كل امرأة غانية وبغياً، ربما لأنّ نمط الغانية أن البغي هو نمط المرأة التي تنتقم من الرجال لما عانته من فشل وإحباط في علاقتها بأبيها في طفولتها، فكأنّ الغانية أو البغي هي المقابل للدون جوان في دنيا النساء، أو كان الدون جوان هو بغي دنيا الرجال.



- ٩ -
ديونية
Dionism

اسم آخر للجنسية الغيرية أي الجنسية التي تكون بين رجل وامرأة، بخلاف اليورانية uranism وهي الاسم الآخر للجنسية المثلية أو اللواطة، أي الجنسية التي تكون بين الإناث والإناث، أو بين الذكور والذكور.

والديونية نسبة إلى ديون Dione في الأسطورة الإغريقية، من إلهات الأوليمب، أخلصت لزيوس ولم تكن لها علاقات جنسية بغيره. وأما اليورانية فهي نسبة إلى يورانوس uranus وكان لوطياً، حتى اضطر أولاده إلى إخصائه ليمنعوه عن ممارستها، وذهب اسمه مثلاً على الشذوذ جنسياً وعلى الجنسية المثلية. ومن اسم أورانوس اشتق هوس السماء uranomania أو الهوس الإلهي، ويكون ببعض المرضى العقليين فيعتقدون أنهم من أصول إلهية أو أنهم هبطوا من السماء.



- ١٠ -
المعاكسات الهاتفية
Intrusive Telephone Calls

قد يعنّ لأحد الناس أن يطلب امرأة على الهاتف ويُسمعها ألفاظاً تخدش الحياء، أو قد يتنهد أو يصدر ما من

شأنه أن يجعل المرأة تعرب عن استيائها ونفورها، وهذا هو ما ينشده من المكالمة. والمعاكسات الهاتفية من هذا النوع في تزايد مستمر، ومنها ما يبلغ بها الشرطة، والغالبية لا يبلغون بها، وهناك حالات يكون فيها المعاكس هو نفسه المسؤول عن جهاز رصد المعاكسات أو الشرطي المنوط به تلقى شكاوى المعاكسات الهاتفية. والمعاكسات المبلغ عنها لا تزيد عن ٢٥٪ من مجموع المعاكسات الفعلية.

والمعاكس شأنه شأن البصاص peeper الذي يثيره أن يختلس النظر إلى العورات، فكلاهما أجبن من أن يواجه ضحيته، والبصاص وسيلته النظر، والمعاكس عن طريق الهاتف وسيلته السمع، وكلاهما البصر والسمع من أدوات اللذة الجنسية، والبص مثله مثل المعاكسات على الهاتف من حيث أنه يؤذي المرأة فتظهر الدهشة أو الرعب مما تسمع أو ترى وتذهلها المفاجأة فيسعد البصاص والمعاكس وتكون لذتهما، ومثل ذلك يحدث للذي يرسم رسوماً على الحائط ذات مضمون جنسي فاضح أو يكتب على حوائط المراحيض ويرسم رسوماً جنسية، فكل ذلك يصدر عن كبت جنسي واضح وخوف من التعبير عن الرغبات الجنسية صراحة، وقصور عن أن يواجه الفاعل الشخصيات المجهولة التي يخاطبها بألفاظ مسموعة أو مقروءة. ومعظم المكالمات يقوم بها مراهقون أو بالغون من الذكور، والمعاكس يختار ضحيته عشوائياً، أو ينتقي الاسم من الدليل، أو يقرأ اسم الضحية في الصحف مقروناً بمناسبة من المناسبات فيسعى إلى البحث عن رقم الهاتف. وقد يحدث كثيراً ان يختار الضحية من الأرامل اللاتي توفى عنهن أزواجهن حديثاً. وقد تبين أنّ ١٥٪ من مجموع المعاكسات تهديدات، بينما الباقي من النوع الجنسي. وتبين أيضاً أنّ ٢٥٪ من المعاكسات فاضح obscene calls تذكر فيه أسماء الأعضاء الجنسية وعملية الجماع، وتوصف فيه المرأة بأفحش الصفات، بينما يلجأ البعض الآخر في ٦٠٪ من الحالات إلى مجرد التنهيد على الهاتف أو الصمت أو إدارة مقطوعة

موسيقية أو جزء من أغنية. والغالب أن يكون المتحدث زوجاً فاشلاً في زواجه، وربما يكون منفصلاً عن زوجته، أو تكون مغضبة، أو يكون محباً أو عاشقاً قد أخفق في حبه، وقد يكون جاراً مشاكساً أو تاجراً يكيد لزميل له فيتصل بزوجته ويقول لها ما يقول انتقاماً، وكل هؤلاء ربما تكون دوافعهم السابقة عدوانية، ولكن منهم كذلك من له دوافع البصاص أو المتطلع جنسياً أو المستعري الذي يمارس استعراءه على محطات السيارات وفي الحدائق العامة والأسواق، وهو إنسان منبوذ لا يشعر بالأمان في حياته وتعافه النساء ويحس بالوحدة، ويسعى إلى التغلب على مشاعر النقص الشخصي والجنسي عنده بأن يجعل ضحاياه من النساء يظهرن الاستغراب والدهشة والخوف والفزع لما يقول أو يفعل، فتكون له الغلبة عليهن، ويشعر أنه الأقوى. وربما كان المعاكس يحاول عن طريق الهاتف أن يتصل بالناس وقد يئس أن تكون له بهم علاقة مباشرة، وفشل في ذلك فيحاول بطريقة غير مباشرة ودون حاجة لأن يواجههم أن يؤكد وجوده كمقابل لوجودهم.

وتجهد شركات الإلكترونيات أن تخترع الوسائل التي بها تحدد المعاكس، ولكن ما يمكن أن ننصح به في مثل هذه الحالات أن لا تجيب المرأة على ما يوجه إليها من أقوال فاحشة، وأن تضع السماعة أو ترفعها من بعد لكي لا يتسنى للمعاكس الاتصال من جديد. وأي محاولة للإجابة ولو بمجرد الإنصات سيدفع المعاكس إلى التمادي لأنه سيعرف أنه قد استحدث في متلقي المكالمة الأثر الذي يريده. ومن الواجب إبلاغ الشرطة أو المختصين في حالة التكرار ليمكن تتبع المعاكس وضبطه. وعلاج هذا النوع من السلوك سهل بالتنفير منه، وإذكاء الخجل من إتيانه ومناقشة دوافعه.



الفصل السابع والأربعون

السلوك الجنسي المضطرب عند الإناث ومظاهره

- ١ -

الاسترجال

Virilism

قد تظهر علامات الرجولة على بعض الفتيات أو النساء بسبب اضطرابات تعتري الغدة الكظرية، يطلق عليها أحياناً اسم المتلازمة الكظرية التناسلية، ويترتب عليها أن يفرط إفراز اللحاء الكظري لهرمون الأندروجين الذكوري فيرتفع الحيض أو يمتنع، ويصغر الثديان، ويخشوشن الصوت، وينمو شعر اللحية والشارب، ويكبر البظر. وتتأثر الحالة النفسية للبنت وهي ترى نفسها تتحول بالتدريج إلى ولد، ويعتري المرأة اكتئاب وقنوط إذ تجد أنّ جسمها تجري به تغييرات لها خطورتها، وقد تشغل البنت بالتفكير في حقيقة دورها الجنسي، وقد تعاف جنس البنات والمسائل الجنسية عموماً، أو قد يهولها ضخامة بظرها وتقبل على الاستمناء باليد ويصيبها من ذلك شعور بالذنب يجعلها تكتئب وتعتزل الناس. وأما المرأة البالغة التي تأتيها أعراض الاسترجال فغالباً ما تصبح شديدة الاعتزاز بنفسها، وقد تتملكها أفكار جنسية مثلية. والعلاج بالكورتيزون يشفي الحالة ويوقف الأعراض مبكراً، غير أنّ الجراحة قد تلزم في حالة ما إذا كان اضطراب الكظرية بسبب ورم فيها، وقد يستوجب الأمر أحياناً استئصال الكظرية برمتها أو جزء منها.



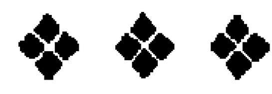
- ٢ -

العبودية الجنسية

Sexual Bondage

العبودية الجنسية هي التي تكون ببعض النساء اتجاهات وميول ماسوشية تجعلهن يجدن متعة في أن يعاملهن الرجال بغلظة وخشونة. والمرأة الأمة تعيش مُستعبدة

حتى لتقبل أن يسجنها الرجل في بيته ويغلق عليها الأبواب ويسيء إليها بالألفاظ وبيديه، وقد يحرمها الطعام والشراب، ويذهب العلماء إلى رد العبودية إلى الميول الانتحارية. وتورد بعض البحوث إحصائيات لضبط حالات كثيرة من قِبَل الشرطة كانت فيها المرأة تهان وتحبس، وهناك حالات أوردتها الشرطة المصرية لاستعباد جماعي كانت فيها نحو ثلاث أو أربع نساء قد حبسن في إحدى الشقق لعدة أيام. وقد تحبس المرأة أو تستغل جنسياً أبشع استغلال من قبل عدة رجال، وقد يصل سوء المعاملة أن تموت المرأة أو تشرف على الموت، وقد تنتحر. والكثير من النساء يعشن مستعبدات وخاصة في بلادنا العربية، وقد أثبت القرآن إكراه الفتيات على البغاء فقال «ولا تُكرهوا فتياتكم على البغاء» (النور ٣٣). والمرأة الشرقية عموماً مستعبدة. والمرأة العاشقة يستعبدها موضوع عشقها. وتتحدث الأغاني عن حالات استعباد كثيرة. وقد يهب الشخص نفسه لقضية تستعبده وتكشف عن ميول ماسوشية فيه. والاستعباد يعطي المتعبد (بكسر الباء) لذة شبقية بالتفوق والسيطرة، والعبودية نزوع فيه الألم الشبق للمستعبد (بفتح الباء). والموقف العبودي أو الاستعبادي شبيه بحالات التسوّط التي ترضى فيها المرأة أن تُضرب بالسوط لتتفجر بها الرغبة الجنسية وترضى بالجماع، والتي لا ينعظ فيها الرجل إلاّ بأن يرى المرأة تتألم وتستصرخه ليتوقف. وبعض النسوة يتمنعن على الجماع إلاّ بعد أن يتشاجرن مع أزواجهن حتى ليبلغ الشجار أن تُسب المرأة أو تُضرب وعندئذ تكون سعادتها بالجماع (أنظر هوس التسوط والماسوشية والسادية).



– ٣ –
البرود الجنسي
Frigdity

قد يشكو الزوج أنّ زوجته باردة جنسياً، ومعنى ذلك أنها لا تتجاوب معه جنسياً، ولربما لا تتجاوب امرأة مع رجل معين بينما هي تتجاوب مع رجل آخر،

وعلى كل فالتجاوب يختلف في الدرجة والشكل، وكذلك اللاتجاوب له أشكاله ومستوياته المختلفة.

ويقصد بالبرود الجنسي أنّ المرأة عاجزة جنسياً، وعجزها يقصر بها عن أن تلتذ بالجماع. والبرود الجنسي قد يطلق عليه أحياناً اسم الخدر الجنسي sexual anesthesia ومعناه أنّ الإحساس الجنسي مفتقد عند المرأة. وهذا الخدر أو البرود الجنسي يقابل العنة عند الرجال، ويقال للمرأة الباردة جنسياً أنها عنينة، كما يقال للرجل العاجز عن الانتصاب إنه عنّين وعجيز أيضاً. والبرود الجنسي أو عنة النساء أقسى ما يمكن أن تصاب به المرأة لأنه يعني أنها عاجزة عن القيام بدورها كأنثى، والتوفر على الجماع والنجاح فيه هو صميم هذا الدور، وهو المحرك للزواج والدافع إليه، وإذا خلا الزواج من الجماع أو كان الجماع فيه فاشلاً في كل مرة يأتي فيها الزوج زوجته، فإنّ الزواج مآله حتماً إلى الانهيار، فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ عدد النساء المصابات بهذه العنة النسوية هو عدد هائل يكاد يكون ثلث عدد النساء جميعاً في سن النكاح، فإنّ لنا أن نتصور حجم المشكلة المترتبة وخطورتها اجتماعياً. ولا يصاب الرجال بالعنة أو العجز الجنسي بمثل هذه النسبة العالية التي تصاب فيها النساء بالعنة النسوية.

والبرود الجنسي أو العنة النسوية لها مستويات بحسب التكوين البنيوي للنساء وقدرتهن على الممارسة الجنسية، وهي مسألة تختلف من امرأة لأخرى، ومن ثقافة لأخرى. وأدنى مستويات العجز الجنسي النسوي أن تمارس الجماع دون استمتاع، وأعلاها أن تنفر بشدة من مجرد مقاربة الرجل لها حتى لتتشنج عضلات الفرج عندها فيشق على الرجل أن يولج قضيبه فيها إن لم يكن ذلك مستحيلاً. وتصاب المرأة العنينة بقمطة الفرج أو قمطة المهبل أو اعتقاله vaginismus ومعناها أنّ عضلات العجان عندها تتشنج وتتقلص عضلات الفخذ المقربة حتى لتشد المرأة على فخذيها وتحزمهما على فرجها فلا يستطيع الرجل أن يفتحهما، وإذا استطاع بالعنف وباستخدام قوته، وقد يضرب المرأة، فقد يتمكن منها وعندئذ قد يكون الإيلاج

عسيراً، وإذا أولج فلن يتمكن من القيام بحركة الجماع الإيقاعية لأنّ الفرج عندئذ سيقمط بشدة وسيضيق المهبل حتى ليشق على الرجل أو يواصل، وقد يتسبب عسر الجماع dysparenia المترتب على قمطة المهبل في تعتك أغشيته وإيذاء القضيب.

والمرأة العنينة هي التي برودها الجنسي كامل، وهي التي لا تطلب الجماع ولا تسعى إلى الرجال، وإذا أغصبت على المضاجعة لم تبلغ الهزة أبداً، ولم تحس بأية لذة، وهذه هي حالة العنة المثلى أو الكاملة anhedonia عند النساء. والمرأة المصابة بها تتقزز من الجماع وتغثي من المني وتأنف أن تكون تحت رجل يقبلها ويحضنها ويولج فيها. ولربما يكون تخوف المرأة لأي سبب هو الدافع إلى قمطة المهبل وتشنج عضلات فخذيها والانشغال بالاجتناب أو بدفع الرجل عنها. ولربما تكون القمطة استجابة خوف شرطية نتيجة خبرة سابقة أعطتها انطباعاً سيئاً جعلها ترهب أن يدخل أي شيء فرجها. ولربما تكون قد أدخلت شيئاً في فرجها في أي وقت من حياتها وتسبب لها في مضاعفات وآلام لم تنمح من ذاكرتها وتدفعها إلى الاستجابة الرافضة للجماع باعتباره إيلاجاً لشيء في الفرج. ولربما تكون هذه المرأة قد تعرضت للاغتصاب أو محاولة الاغتصاب في يوم ما وفي أي سن، فيثبت الألم الحادث ما لديها ولدى كل النساء من خوف أصلي من عملية الجماع ويرسخه فيها.

ومن البرود الجنسي ما هو وقتي طارئ، وما هو مزمن أساسي في المرأة. وعندما لا تكون للبرود الجنسي أسباب عضوية فهو حتماً نفسي المنشأ أو كما نقول هو سوء وظيفة جنسية يعوق الرغبة أو الانفعال الشبقي وتسببه الصراعات الانفعالية. ورغم أنّ كل حالة لها ملابساتها إلاّ أنه بالإمكان حصر المشاكل التي تدفع إليه، ومن ذلك مشاعر الذنب المفرطة نتيجة ممارسات جنسية محرمة، وتحضرني حالة فتاة كانت تنام وأخوها في سرير واحد من صغرهما، فلما راهقا استيقظت يوماً وأخوها فوقها يباشرها وقد استسلمت له وادّعت النوم، وظل أخوها يباشرها يومياً

وهي تدّعي النوم إلى أن حملت فأخذتها أمها إلى من أجرى لها عملية الإجهاض. ومضت السنون إلى أن تقدم إليها البعض خاطباً فكانت ترفض بشدة، وقسرها أهلها على الزواج فكانت تقوم المعارك بينها وبين زوجها ليضاجعها، وإذا نجح في الإيلاج فإنه ما كان يكمل الجماع أبداً لاستحالة مواصلته، وكان يقول إنّ فرجها يعض.

وقد تعاني المرأة من ميول مثلية تجعلها تنفر من الرجال، وتروي فيليس ليون مؤلفة كتاب «المرأة اللزبانية» كيف كانت تعاني أشد المعاناة عندما يأتيها زوجها حتى انتهى بهما الأمر أن يتساكنا دون اتصال، إلى أن عثرت على ضالتها «ديل مارتن» التي عشقتها، وكانت الأخرى متزوجة وتعاني من البرود الجنسي وما يترتب عليه من مشاكل مع زوجها، وعندئذ هجرت الاثنتان بيت الزوجية وعاشتا معاً حياة جنسية مشبعة دون برود جنسي.

وقد تخاف المرأة أن يصيبها أذى أو مرض إذا مارست الجنس، ربما لأنها تخاف النشوة وترى أنّ الجماع قد يلحقها منه تشوّه يصيب أعضاءها التناسلية، أو عدوى، أو ربما كانت بها مخاوف من المني باعتباره قذارة، وربما كانت بها مخاوف من الحمل لأنها تخاف التشوه، وربما كان خوفها من الجماع لخوف من الرجال حتى أنها لتخاف الأسماء المذكرة وتتجنب أن تنطق بها، ونحن نعرف أنّ المخاوف المرضية المختلفة يمكن أن تسلم الواحدة منها للأخرى دون سبب. وبعض النساء ترهب الأمراض التناسلية وتتأبّى على الأزواج لهذا السبب.

وقد تدفع الصراعات الأوديبية التي لم تحل منذ الطفولة إلى عجز المرأة عن الجماع لأنها قد ترى في الرجل أنه مثل أبيها ويمنعها ذلك أن تستسلم له باعتباره من محارمها.

وربما كانت للمرأة ميول نرجسية، ومعنى ذلك أنها تتعشق نفسها ولا تسمح لأحد أن يقربها، ولا ترسل نفسها على سجيتها في الجماع، وتخاف على ذاتها أن تذوب في اللذة فتمنع نفسها عنها، وترفض أن تكون بالنسبة للرجل وسيلة إشباع لشهوته. والمرأة النرجسية دائمة

التدليل لنفسها ولجسمها وتوليه عناية زائدة وتضن به على الرجل، ولا تجد لديها فائض وقت يمكن أن تخصصه لرجلها، وإذا مارست الحب فإنّ إرضاء الرجل يأتي في المرتبة الأخيرة، والجماع عندها مجرد دقائق تفرغ بعدها لنفسها.

وقد يكون البرود الجنسي تعبيراً عن اتجاه نفسي لدى المرأة فقد تكون من النمط الذي يكتفي بذاته ولا يجد أنه يحتاج إلى رجل وتنفر من الجنس لأنه يقتضي أن يكون هناك شريك في فعله. وقد تكون من النمط المسيطر الذي يرفض أن تكون لها كامرأة علاقة برجل هي فيها الخاسرة أو الطرف السلبي. وإذا اضطرت أن تجامع فهي تختار الوضع الذي تعلو فيه الرجل حتى تتحكم هي في عملية الجماع وتنهيها وقتما تريد. وقد تنفر المرأة من فكرة أن يعتليها رجل، وتبرد عواطفها وتتلاشى أحاسيسها الجنسية إذا ما شعرت أنّ الرجل قوي الشخصية وله ذكورة لا تستطيع أن تجاريها أو تنافسها. وقد يستجيب هذا النوع من النساء للرجل السلبي الضعيف الشخصية. ولربما يكون الزوج من النمط الذي يمني قبل الأوان فتربط الزوجة الاستثارة الجنسية بالتوتر وعدم الإشباع، ومن ثم فقد تقاوم رغباتها وتدافعها وتكبت شهواتها كحل لمشكلة تلازمها مع هذا الزوج، وإنهاء للصراع بينها وبينه أو بين رغباتها وشهواتها وواقع حياتها الزوجية. وكثيراً ما يحدث أن تكون هذه المرأة الباردة جنسياً قد تعلمت كفتاة أن تعتبر الجنس خطيئة وقذراً وشراً مستطيراً. وتنغرس في نفسها اتجاهات معينة ضد الجنس يصعب تعديلها وتفصح عن نفسها بعد الزواج في شكل صراعات لا تنتهي. وإذا حدث وصار البرود الجنسي نمطاً لها فقد يكون من المستحيل التخلص منه، وخاصة إذا كانت الممارسة الجنسية مع رجال بعينهم من نمط معين يثير في نفسها النفور أو يفجر عندها ذكريات وصراعات قديمة.

وقد يرجع البرود الجنسي بالمرأة إلى عقدة الخصاء، ومن رأي فرويد أنّ عقدة الخصاء تنشأ عند البنات لدى اكتشافهن أنّ الأولاد لديهم قضيب فيحسدنهم عليه. وقد تحاول البنت في المرحلة القضيبية

أن تستخدم بظرها استخدام القضيب بالحصول على اللذة بتهييجه بيدها، وغالباً ما تفشل في الحصول على لذة كافية فتعمم الحكم بالنقص الذي كانت تطلقه على بظرها أو قضيبها الصغير، فتطلقه على نفسها بأكملها، وتعرض عن العبث بأعضائها التناسلية وعن الحياة الجنسية بأكملها، أو قد تتشبث برغبتها في أن تكون كالولد وتتجلى في تصرفاتها صفات الذكورة واضحة، وقد يصل الأمر باتجاهاتها الذكورية أن تكون لها علاقات جنسية وحيدة بالإناث دون الذكور. ومن هنا فقد يكون مرد البرود الجنسي إلى عقدة الخصاء بحيث لا تطلب المرأة الجماع أبداً ولا تسعى إليه. وقد تضطر إليه كما في حالات البنات اللاتي يقسرن على الزواج فيكون استعصامهن أو شعورهن بالأم الحاد خلال الجماع، حتى لينصرف الرجل عنها تلقائياً لعزوفه عن شيء مؤلم له ولها معاً.

وقد تسعى المرأة للجماع ولكنها ما أن تشرع فيه حتى تثبط عزيمتها وتنكص عن إتمامه، ولعل السبب دافع لاشعوري يدفعها إلى خذلان الرجل، وكأنها بالبرود الجنسي تعبر عن كراهيتها للرجال أو تثأر لنفسها من الرجال كمظهر لعقدة النقص التي تعاني منها.

ويذهب علماء التحليل النفسي إلى أنّ المرأة لكي تكون بغياً لا بد أن تكون باردة جنسياً، وأنّ البغايا يصرن بغايا لأنهن يكرهن الرجال ويطلبن الثأر منهم، والبغاء هو وسيلتهن للثأر، وفي ذلك يقول تولستوي إنّ اليهود بتأثير أنهم الأقلية يقع عليهم الاضطهاد فإنهم ينحون إلى الثأر من المجتمع بالتحكم فيه من خلال أهم جوانبه وهو الاقتصاد، وكذلك المرأة فإنها تثأر للنقص الذي تستشعره بها بأن تسيطر على الرجال من نقطة الضعف فيهم وهي الجنس. ولعل البغي هي أكثر النساء ميلاً إلى الانتقام من الرجال، ولعلها لذلك أكثرهن بروداً من الناحية الجنسية. ومن رأي فرويد أنّ حسد القضيب الذي عانت منه البنت وهي صغيرة يظل يلاحقها دائماً، وأنه من أهم أسباب البرود الجنسي عند النساء. ومعنى أن تحسد البنت الولد على قضيبه أن تتمنى أن تكون مثله ولداً ولها قضيب.

وقد تكرهه لذلك وتخفي في نفسها الرغبة في الثأر منه. ومن بعد في الثأر من أي رجل يحاول أن يشعرها أنها امرأة ويستخدم ذكورته في الاعتداء عليها بقضيبه، فتنتقم منه بإشعاره أنّ قضيبه لا يثير فيها أنوثتها بل هو على العكس يقززها، وكأنها بذلك تخصيه بتحييد القضيب وإفراغه من قدراته وإفقاده وظيفته.

والبرود الجنسي عند هيللين دويتش هو أن لا تستطيع المرأة أن تنعظ، والمرأة تنعظ بإثارة بظرها. ويترتب البرود الجنسي على جهل الرجل بوظائف الأعضاء الجنسية للمرأة، ومن ثم يتناسى البظر أو يهمله في الجماع ولا تبلغ المرأة الهزة نتيجة لذلك، ومع استمرار فشل الجماع تتعلم المرأة أن تكون باردة جنسياً.

ويذهب كينزي إلى أنه في السنوات الأولى من الزواج تكون الشكوى من البرود الجنسي في الزوجة أكثر من الشكوى من العجز الجنسي في الزوج، ولكن بعد مضي عشرين سنة تكون الشكوى من العجز الجنسي في الزوج أكثر من الشكوى من البرود الجنسي في الزوجة، غير أنه بشكل عام هناك شكوى من البرود الجنسي أكثر من الشكوى من العجز الجنسي حتى سن الخمسين، وإذا كان المعيار في الجنس هو الإشباع وليس الإنعاظ فإنّ الكثيرات من النساء يجزمن أنهن يبلغن حد الاكتفاء دون النعوظ، وفي ضوء هذا المعيار يكون البرود الجنسي في النساء مقارناً بالعنة في الرجال أقل بمراحل.

والآن هل هناك سن معينة يكون فيها البرود أكثر منه في سن أخرى؟

والجواب عند كينزي أنّ المرأة التي تخبر الجماع لمدة طويلة يقل بها الميل إلى البرود، وأنّ نسبة البرود الجنسي عند النساء المتزوجات حديثاً أعلى منها عند النساء المتزوجات ولهن عشرون سنة في الزواج، وكأنّ كينزي يريد أن يقول إنّ الأهم من السن هو التوافق بين الزوجين والخبرة والثقة في النفس.

وهل هناك ارتباط بين البرود الجنسي والمستوى التعليمي للمرأة؟

والجواب طبقاً لكينزي أيضاً أنّ هناك علاقة مباشرة بين المستوى العام للتعليم

الذي تبلغه المرأة وإحساسها بالجنس، ويبدو أنّ التعليم يجعل النساء أقل لهفة على الجنس، أو يجعل مطالبهن الجنسية أكثر من حيث الشروط التي ينبغي أن تتوافر للمرأة في شريكها وفي وقت المضاجعة ومكانها، ومن ثم فإنّ المرأة المتعلمة إن لم يتحقق لها ذلك لا تشعر بالجماع شعور الإنسانة البسيطة التي نالت قدراً بسيطاً من التعليم ومن ثم تكون حاجاتها بسيطة ويمكن أن يشبعها القليل. ولقد استطاع كينزي أن يحصل على حالات برود جنسي كامل بين الخريجات من الجامعات أكثر مما وجد بين الحاصلات على تعليم متوسط، وكانت النساء الحاصلات على تعليم ثانوي في موقع يتوسط النسبتين السابقتين.

فهل هناك ثقافات يمكن أن تزيد فيها المصابات بالبرود الجنس عن ثقافات أخرى؟

والجواب بالإيجاب، لأنّ الحب وطرق التعبير عنه تختلف من ثقافة لأخرى، وكذلك تختلف طرق الجماع السائدة، ومكانة المرأة وما لها من احترام وتوقير وحقوق وواجبات. وهناك ثقافات تدين المرأة التي تحب أو تختار شريك حياتها أو التي تطلب الجماع أو تعبر عن التذاذها به أو سعادتها بزوجها، أو أن تبلغ الإنعاظ. وهناك ثقافات تجعل من حق الرجل أن يعدد نساءه، وأن يجامع هذه وتلك حتى وإن مال إلى إحدى نسائه وأهمل الأخريات وتركهن كالمعلقات. والمطلوب من المرأة في مثل هذه الحالات أن تستقبل الرجل وتضاجعه بصرف النظر عن مشاعرها، فلا غرو أن تصاب بالبرود الجنسي، بل وأن تصاب بخواف الجماع، وأي الخوف المرضي من الجماع، فتعافه حتى الغثيان، وهناك نساء كثيرات يشكين من الغثيان كلما قاربهن أزواجهن نتيجة المعاملة السيئة من الزوج، المترتبة على النظرة العامة للمرأة في المجتمع، والتي تنعكس في معاملتها كابنة وفتاة وزوجة وامرأة. وعموماً فإنّ البرود الجنسي ينتشر بين نساء العائلات المحافظة أكثر منه بين العائلات المتحررة في غير انحلال، وبين العائلات المتدينة أكثر منه بين العائلات التي لا تغالي في دينها. ولا يصلح معيار

الإنعاظ للحكم على البرود الجنسي بين النساء المتدينات، وربما كان الأقرب إلى الصواب استخدام معيار الإشباع أو الاستكفاء كمعيار وحيد لقياس نسبة البرود الجنسي بينهن.

فهل تأتي على النساء فترات من حياتهن يعانين فيها من البرود الجنسي؟

والجواب بالإيجاب، وذلك لأنّ الشهور الأولى وربما السنوات الأولى من الزواج تكون فترة برود جنسي بالنسبة لكثير من النساء. وقد تعاني النساء من البرود الجنسي بعد الولادة، وإذا انتابهن القلق من أن تكن حاملات مرة أخرى، وعندما تسكن الزوجة مع حماتها أو أخوات زوجها أو أي من أقاربها، وعندما تزعجها المسائل المالية للأسرة أو غير ذلك من المسائل التي تهم البيت. ومع سن اليأس قد يأتي البرود الجنسي بالنظر إلى القلق والتوتر والاكتئاب وهي الأمور المألوفة في سن اليأس، وقد تنزل بالزوج نازلة أو مصيبة أو كارثة وتتضامن معه زوجته وتصاب بالبرود الجنسي.

وتقل الإصابة بالبرود الجنسي مع التحرر الذي نعيشه حالياً، والاتجاهات السائدة حيال الجنس، والاختلاط الذي تفرضه الحياة الحديثة بين الجنسين في كل المجالات. وهناك في المقابل عوامل أخرى يمكن أن تزيد بسببها نسبة الإصابة بالبرود الجنسي بين النساء، ومن ذلك ما تستحدثه الصحف من توترات يومية بما تحمل من أخبار عن الحروب والكوارث والجرائم والأزمات، والصراعات المحلية والاضطرابات وارتفاع الأسعار، وغير ذلك مما يمكن أن يكون له مردود نفسي سيء على العائلات والنساء بصفة خاصة.

وقد يكون من المفيد أن نعرف شيئاً عن أحوال المرأة العربية أو المسلمة فيما يتعلق بالبرود الجنسي. ولقد قلنا أنّ المعرفة الجنسية التي تلم بها المرأة وخبرتها الشخصية وثقافتها وانتماءاتها الطبقية، كل ذلك يمايز بين امرأة وامرأة. والمرأة العربية والمسلمة لم تنل حظاً من الرقي مثل الذي نالته المرأة الأوروبية، ويجعلها ذلك تعاني من إحباطات وصراعات أكثر مما تعانيه الأوروبية، بالإضافة إلى الأفكار السائدة المتشككة في المرأة والتي تجعل دورها

ثانوياً إلى جانب دور الرجل، وما تتعرض له في تربيتها من حصارات وضغوط، كل ذلك يجعل احتمالات الإصابة بالبرود الجنسي عند المرأة العربية والمرأة المسلمة عموماً أكثر مما عند المرأة الأوروبية.

ويتأثر الرجل نفسياً إذ يجد أنه يفشل في إبلاغ زوجته الإنعاظ، وقد يظن أنه غير كفء جنسياً، وقد يتوقع أن تكرهه زوجته، وقد يحاول أكثر ويقرأ في ذلك ويسأل المجربين، وربما يلجأ إلى المخدرات لإطالة الجماع. وقد يتشكك في رجولته ويزيد إحباطه. وقد يسوء خلقه ويتهم زوجته بأنها تتعمد أن تهين رجولته. وقد ترد عليه الزوجة بما يهينه فعلاً، وتفسد علاقتهما ويزيد البرود الجنسي بالزوجة أكثر من الأول. وربما يكون الزوج عصبي المزاج وغير مستقر انفعالياً، وقد يتسبب له فشله مع زوجته واستمرار الإحباط في الشعور بالقلق ويزيد به ذلك باستمرار، ويصاب بالعصاب نتيجة الصراعات الشعورية واللاشعورية التي يفجرها الموقف مع زوجته. وقد يتسبب البرود الجنسي عند الزوجة في أن يصاب الزوج بالعنة نتيجة الفشل المستمر والتأفف من الزوجة واهتزاز ثقته في نفسه وفي رجولته.

وهناك دواع عضوية قد تستدعي البرود الجنسي في المرأة، فأي شذوذ في تكوين الجهاز التناسلي للمرأة قد يتسبب لها في الإصابة بالبرود الجنسي. وقد تجعل الالتهابات والجروح بالفرج العملية الجنسية مؤلمة وصعبة، وتقل الرغبة الجنسية بالمرأة بعد العمليات الجراحية في الرحم أو التي تتوخى المبيضين، وبعد انقطاع الحيض في سن اليأس، ومع ذلك فإنّ ذلك ليس صحيحاً دائماً ونادر ولا يقاس عليه. ويذهب كينزي إلى أنّ بعض النساء باردات جنسياً بحكم طبيعتهن، ومنذ ولادتهن لديهن الاستعداد للبرود الجنسي بمعنى أنهن كن دائماً نافرات من الجنس وعازفات عنه، ولذلك فإنّ بعض الباحثين يرون أنّ البرود الجنسي ربما يخفي ميولاً للاكتئاب، أو ربما كان عرضاً لاضطرابات عصابية أعمق. وأما الأسباب النفسية للبرود الجنسي فإنّ كينزي ينبه إلى مسألة السن، ولقد لاحظ ارتباط البرود الجنسي عند

الكثيرات بحداثة خبراتهن في الزواج. وليس السن هو كل شيء ولكن الأهم منه قلة الخبرة والخوف والتوتر والتوقعات المبنية على الحكايات المتواترة عن الزواج عموماً وعن ليلة الزفاف خصوصاً. وقلة الخبرة ليست وقفاً على الزوجة وحدها ولكن على الزوج أيضاً. وكثيراً ما يتسبب الخوف من الحمل وعدم الرغبة في الإنجاب بالنسبة للشبان من الأزواج في إصابة الزوجة بالبرود الجنسي. وهناك الصراعات اللاشعورية والتي تنشأ بسببها اضطرابات في الشخصية تصيب النساء بالبرود الجنسي المزمن، ومن ذلك المخاوف المرضية من الرجال ومن الحمل ومن الموت، ورغبة الزوجة أن تكون مع أمها لحاجتها إليها أكثر من حاجتها إلى الزوج، والأوهام التي تكون عند بعض النساء حول القضيب باعتباره سلاحاً. وما يقال له حسد القضيب (أنظر القضيب)، وبعض هذه الأسباب النفسية قد يكون حميداً وبعضها قد يكون خطيراً. كل ذلك قد يدفع إلى الإصابة بالبرود الجنسي، بالإضافة إلى جهل الزوجة والزوج باعتباره من العوامل النفسية.

ويدور جدل كثير حول دور الرجل ودور المرأة في الجماع. وقيل إنّ الرجل دوره نشيط بينما المرأة سلبية ومتلقية. وقيل إنّ الرجل لا يفعل في العملية الجنسية إلاّ أن يلقي بالمني ويريح توتره الجنسي، بينما الجماع عند المرأة تمهيد للحمل ويحمل معه لاشعورياً كل آمال وأخطار الولادة. وقيل إنّ الرجل ملول ولا يريد أن يطيل الجماع، بينما المرأة تحب أن يغازلها الرجل وأن يتودد إليها ويلاطفها إلى أن تبلغ النعوظ بالتدريج. ويقول كينزي إنّ الكثير من النساء يكرهن الإطالة في الملاطفة التي تسبق الإيلاج، وأنهن طالما تهيجن بردن بسرعة أن ينعظن. وربما لم تكن المسألة بين الأزواج مسألة اختلافات في الأدوار بقدر ما هي تفهم متبادل بين الطرفين لحاجات كل واحد منهما وما يسعده ويدخل عليه السرور ويسهم في تحقيق لذته الكبرى. وليس ارتفاع نسبة البرود الجنسي بين النساء في السنوات الأولى من الزواج إلاّ دليل الحاجة إلى ما يسمى

«التجربة والخطأ»، بمعنى أن يحاول كل من الزوجين أن يتعرف إلى الآخر وحاجاته والطرق الموصلة لإشباعها، وسيخطئ مرات وسيصيب مرات إلى أن يلتقي الاثنان أخيراً ويكون التوافق المنشود.

ويؤثر سلوك الزوج بعد أن يفرغ من الإمناء في تجاوب امرأته من بعد ذلك، وعندما يطلب منها الجماع في المرات التالية. وتحب المرأة أن تشعر أنها لم تكن مجرد وسيلة إشباع شهوة الرجل، وأنها بمجرد أن ينتهي منها يهملها. ويتصرف بعض الرجال بطريقة لا تجعل المرأة تغضب ولكن تصيبها منها حسرات يمكن أن تتأثر بها في الجماع التالي، ويكون من خلالها برودها. وبعض الرجال بمجرد أن ينتهي ينهض ليتغسل، أو يتباعد عن زوجته ويغط في النوم، أو لا يقول لها كلمات الحب والتي يقولها أثناء الجماع. وتحب المرأة أن يلتصق بها الرجل بعد الجماع وأن يدغدغها قليلاً ويثني عليها ويطري جمالها. ويطمئنها هذا السلوك إلى أنها إنسانة وليست مجرد حيوان أو بغي يطلبها الرجل للجنس، فإذا انتهى منه لم تعد تمثل له شيئاً. والفترة التي تلي الجماع هي فترة مثلى يتبادل فيها الاثنان العطاء المعنوي الجنسي، ويستشعران بعدها الراحة والاسترخاء الذين يسلمانهما إلى النوم اللذيذ.

وهناك رجال يحبون أن يهيجوا نساءهم ثم يتركونهن بدون جماع ويكررون ذلك باستمرار، أو يطيلون الملاطفة والمداعبة قبل الجماع ثم لا يكون هناك إنعاظ من جانب المرأة. وقد تبين لكينزي وجماعة البحث التي شاركته أنّ نسبة البرود الجنسي بين أمثال هؤلاء النساء كبيرة. ولقد خلص كينزي إلى أنّ المرأة المتجاوبة تميل بطبعها إلى الاستجابة للملاطفة بالإنعاظ، وللجماع بالإنعاظ، غير أنّ هناك عوامل لا بد من إدخالها في الاعتبار ليمكن تحقيق ذلك، فالبنت التي تعودت أن تكبت مشاعرها وتضبط سلوكها قبل الزواج قد يتطلب الأمر معها بعض الوقت للتخلى عن تلك الضوابط التي كانت تلزم بها نفسها. وهناك من الاختلافات في العادات والتفكير بين الزوجين الحديثي الزواج ما

لا يمكن التنبؤ بتأثيره على الجماع بينهما، ويدل ارتفاع نسبة البرود الجنسي في السنوات الأولى للزواج على أنّ الانتقال من فترة الخطبة إلى الزواج مسألة صعبة لكثير من الأزواج.

وقد يلجأ الزوج إلى استخدام موانع الحمل فتأمن المرأة الحمل الذي تخافه وتكون على سجيتها وهي تجامع، وقد لا تحب المرأة أن يضع الرجل القراب على ذكره وتصاب بالبرود لو وضعه. وقد تحن المرأة إلى أن يكون لها ولد فتكره موانع الحمل برغم اقتناعها بضرورة تأجيل الحمل ومن ثم تجامع وهي غير راضية، وسرعان ما تبرد جنسياً، بالإضافة إلى أنّ الرجل لكي يضع القراب على ذكره أو يدخل مانعة الحمل في فرج المرأة عليه أن يقطع الملاطفة ويشغل في شيء بعيد عن الجماع، وهو ما قد يصيبها بالإحباط. وقد تتوتر نتيجة أنها تتوقع أن يختلف الجماع من بعد استخدام موانع الحمل غير الطبيعية وكرد فعل لتوتر الرجل. وربما يكون هناك اختلاف بين الاثنين حول استخدام موانع الحمل ولا تكون المرأة طبيعية بسببه. وأما إذا كانا على اتفاق في هذا الشأن وفي كل شأن من شؤونهما فإنّ موانع الحمل لن تكون عائقاً لتحقيق اللذة الجنسية المتبادلة.

وقد يشكو الزوج أنّ زوجته لم تعد معه كما كانت من قبل، وهذا صحيح فالمرأة التي لم تعد تحب زوجها، أو التي تشغل بغيره عنه، أو التي لها علاقات جنسية وهي متزوجة قد لا تتجاوب جنسياً مع زوجها، وكذلك قد تشغل المرأة عاطفياً بمشاكل عائلية تجعلها في غير لياقتها الجنسية. والبرود الجنسي مشكلة لها أبعادها النفسية، وهناك العديد من المشاكل التي يمكن أن تضطرب لها المرأة نفسياً وتكون لها مضاعفات جنسية.

وقد تسأل النساء كثيراً عما إذا كانت هناك مواصفات لشخصية الرجل الذي يمكن أن يؤثر عليها نفسياً حتى لا تصاب بالبرود الجنسي. وتختلف النساء في المزاج والاحتياجات، والبعض يهيجن الرجل الهمجي أو العنيف، والبعض قد يهولون قضيب الرجل منتصباً فتصاب لدى رؤيته بالخوف والبرود الجنسي. وتؤثر بعض النساء الرجل الأنيق

والنظيف، وبعضهن قد تثيرهن قذارة الرجل ورائحته وتصفها بأنها رائحة ذكورية. وما يشد المرأة إلى الرجل أو ينفرها منه مسألة تختلف من امرأة لأخرى باعتبارات كثيرة تربوية ونفسية واجتماعية وثقافية.

والمرأة العصرية تميل بحكم أوضاعها إلى أن تتصرف بتلقائية أكثر من جدتها أو حتى أمها. وعندما نقول المرأة العصرية لا ينبغي أن ينصرف هذا الاسم إلاّ إلى المرأة التي تعيش عصرها، أي المتعلمة التي تعيش العصر بكل ما يحمل من نبض وتقدم فكري وتكنولوجي واجتماعي وسياسي. ويبدو أنّ التعليم الأفضل والحرية الأوسع والاستشارة بالأمور الجنسية يجعل الغالبية من النساء يستمتعن بالجنس. غير أنّ ذلك لا ينبغي أن يضللنا فالصورة ليست دائماً وردية، وهناك فئة من المتعلمات في ضوائق باستمرار، وهن باستمرار متوترات بحكم مواعيد العمل والانتظام فيه والضوابط السلوكية خلاله والإرهاق خارج البيت وداخله. ولقد تقاسمت المرأة الحديثة نفقات البيت مع زوجها ولكن ظل عليها عبء البيت وحدها. وقد تعاني المرأة من الصراعات حول دورها كأنثى أو حول حقوقها كزوجة أو مواطنة (التنافس اللاشعوري مع الرجال)، وقد تصيبها تلك الصراعات بالبرود الجنسي.

وقد تستدعي المرأة البرود الجنسي لاشعورياً أو شعورياً كنوع من التحدي للزوج تحدياً قد يكون شعورياً أو لاشعورياً أيضاً. ومن الاستجابات اللاشعورية أنّ المرأة قد يمتنع إفرازها المهبلي الذي يساعد على الجماع، ومن التصرفات المتعمدة أنها قد تتعمد الشجار أثناء الجماع. وقد تبين أنّ هناك نساء يدخن أثناء الجماع، وأخريات قد يمضغن اللبان، وقد يحلو للمرأة أن تستمع إلى الموسيقى أو إلى غناء أو تمثيلية، ومن النساء من تمد يدها وتتناول كتاباً أو جريدة تقرأها وزوجها يجامعها.

وقد تستخدم المرأة البرود الجنسي كسلاح ضد زوجها فكلما رغبت في شيء ولم يحققه لها لجأت إلى البرود الجنسي تهدده به. وليس الأزواج بمنأى عن صراعات القوة، فلربما تريد الزوجة أن

تكون لها السيطرة. وفي أحوال كثيرة قد يكون البرود الجنسي نوعاً من العقاب تنزله المرأة باعتباره رجلاً لكي تذله وتهينه وتشعره أنّ رجولته أو فحولته لا فائدة منها. وقد تستغل المرأة البرود الجنسي كتهديد للحصول على سيارة جديدة أو معطف فرو، أو القيام برحلة، وتعكس العلاقة الجنسية حقيقة العلاقة الزوجية ككل، ولا بد من الإحاطة بدقائق الحياة الزوجية للجزم بالسبب المباشر للبرود الجنسي.

وتميز هيللين دويتش بين نوعين من البرود الجنسي من حيث تأثيره على علاقة المرأة بزوجها وأولادها، وتطلق على النوع الأول اسم البرود الجنسي الحميد benign f.، وتكون المرأة المصابة به عادية مع أولادها وكأن هذا البرود قدرها، وتعيشه دون أزمة، وتتصرف كأم أو كزوجة بشكل طبيعي وربما تكون أكثر حناناً وحباً، وأما النوع الثاني فهو البرود الجنسي الخبيث malignant f. وبه تسوء أخلاق المرأة، وبسببه تنشأ الصراعات الزوجية وتقع مغبتها على الأولاد. وعندما لا تكون علاقات المرأة الجنسية بزوجها مشبعة فإنها تستغصب بسهولة، وتكون ملولة مع الأولاد، ويظهر عليها التعب والتعاسة. وأما الزوجة التي لا تهتم إذا تبينت أنها باردة جنسياً فإنّ أولادها لا يعانون، ولو أنّ هناك خطورة من أن تتحول إليهم عاطفيا وتلتصق بهم بشدة، وقد يضر ذلك نموهم الوجداني.

والمرأة التي تعاني من البرود الجنسي قد تتأثر به كل نشاطاتها المنزلية والعائلية ويمكن أيضاً أن لا يتأثر شيء في حياتها بهذه المسألة الخاصة بها جداً. ونحن نعلم أنّ هناك نساء لا ينعظن ولكنهن مستكفيات جنسياً، وكذلك هناك نساء لا تؤرقهن المسألة الجنسية والجماع وما إلى ذلك وتسير حياتهن برغم أنهن لا يجامعن بشكل عادي وتلقائي، وربما يكون السبب أنّ احترام المرأة لنفسها لا يقل باكتشافها أنها زاهدة في الجماع، ولا تشعر أنها أقل قيمة أو أكثر تأففاً من كونها أنثى.

وقد لا تتأثر علاقات المرأة بالناس من حولها عندما تعرف أنها باردة جنسياً.

والبرود الجنسي ليس سوى عَرَض، وإما إذا كانت أسبابه سوء الصحة العامة للمرأة فإنّ ذلك سيكون له مردود على كل تفاعلاتها في الحياة، فإذا كان البرود الجنسي يجعلها غضوبة مثلاً ومتوترة وغير راضية فإنّ ذلك سينعكس على علاقاتها بالآخرين. وإذا كان البرود الجنسي مصدره ذكورة المرأة وحبها للتفوق على الرجال والسيطرة عليهم، فإنهم برغم البرود الجنسي ستكون موفورة النشاط ومتوقدة الذكاء، وربما تكون عدوانية وانتقادية. وقد يجعل الكبت العصابي المرأة باردة جنسياً ولكنها تكون ممتلئة حيوية ولعوباً دون أن تدري، حتى ليمكن أن تتورط في علاقات مع الرجال ثم لا تنيلهم نفسها. وهناك أيضاً اتجاه المرأة بالنسبة لبرودها الجنسي، ويتراوح بين التقبل والخجل والشعور بالخزي والتصرف بالانسحاب.

وقد يكون التوتر والاستغضاب والتعاسة مظاهر نعرف بها المرأة التي تعاني من البرود الجنسي، إلاّ أنّ هذه الأعراض يمكن أن تكون مؤشرات لاضطرابات أخرى. وكذلك فإنّ بعض النساء يكن عدوانيات وعبوسات ولكنهن لسن باردات جنسياً.

والمرأة الباردة جنسياً قد تكون عقيمة وقد تكون ولوداً. والاحتمال الأقوى أنّ الاستجابة الجنسية تجعل الزوجين يقبلان على الجماع ويكثران منه ومن ثم يكثران من الأولاد، ولذلك فإنّ النساء المقلات في الإنجاب مقلات أيضاً في الجماع، ويتجنبنه على الأقل في فترة الإخصاب.

والمرأة الباردة جنسياً أقل في الدوافع الجنسية من المرأة العادية، ولقد نبهنا كينزي إلى أنّ بعض النساء يولدن بميول جنسية واهنة، بالإضافة إلى أنّ البرود الجنسي قد يصيب المرأة قوية الدوافع الجنسية عندما تتجه بها خبراتها الجنسية إلى كبت هذه الدوافع. وفي معظم حالات البرود الجنسي لا يكون البرود أساسياً أي في التركيب البنيوي للمرأة بل يكون البرود الجنسي نفسي المنشأ ويرجع لصراعات عصابية أو مصدره القلق اللاشعوري، أو أنه نتيجة الكبت أو التشويه الذي يرجع للشعور بالعار أو بالذنب.

وقد يسأل البعض وإذن فهل هناك سمات نفسية نعرف بها المرأة الباردة جنسياً؟

والجواب أنّ شخصية المرأة الباردة لا يمكن أن تكون لها معالم خارجية، وليست لها أيضاً سمات نفسية يمكن أن نتبينها من خلالها. وربما تتأثر صحة المرأة نتيجة الإصابة بالبرود الجنسي، فقد يرتفع ضغطها، وقد تشعر باستمرار أنها صعبة، وباضطرابات هضمية، وبالحساسية الجلدية والحموضة، وقد تشكو من أوجاع تناسلية في منطقة الحوض، نتيجة التغيرات غير العادية في دفق الدم إلى هذه المنطقة نتيجة الهياج الجنسي الذي لم يجد التصريف الصحيح. وكثيراً ما يتسبب البرود الجنسي في الإصابة بأمراض تناسلية غير معدية وبالسيلان الأبيض.

ومن الممكن أن تحب المرأة الباردة جنسياً طالما أنّ الإنعاظ قد لا يرتبط عند بعض النساء بالاستكفاء الجنسي. وهناك نساء لا ينعظن ولكنهن قد يمارسن الجماع إذا طلب الزوج، وتفعل المرأة ما يرضيه ويسعده، وهذا الصنف من النساء هو الذي تصفه هيللين دويتش بأنه البارد جنسياً بروداً حميداً. وعلى العموم فإنه لا ينصح للمرأة التي تعرف أنها باردة جنسياً أن تتورط في الحب لدرجة أن تتزوج. ومن ناحية أخرى ليس للمرأة أن تحكم على نفسها بأنها باردة جنسياً لأنّ تجربتها مع رجل كانت فاشلة، فكل زواج له تفاصيله وأسراره ومكوناته. وقد تولّد علاقة المرأة بزوج اضطرابات جنسية من نوع ما في حين أنّ هذه المرأة لو تزوجت رجلاً آخر فقد تكون طبيعته معه.

ويمكن للزوج أن يساعد في علاج المرأة من برودها الجنسي، بأن يوليها عناية أكبر، ويحاول أن يتفهمها ويبدي لها العطف والحنان والتسامح. والمرأة الباردة قد ينتهي برودها ويزول إذا كان الزوج عاشقاً متفنناً في إظهار عشقه، فذلك يصلح العلاقة بينهما، ومع الوقت، والصبر والعطاء المتبادل فقد يتغلب الاثنان على برود الزوجة. ومن ناحية أخرى فإنّ البرود الجنسي يمكن علاجه سلوكياً بطريقة السلب للحساسية، بمعنى أن يحاول المعالج أن يفقد المرأة

حساسيتها للجماع بطريقة تدريجية بممارسة الفعل الجنسي على خطوات، بحيث لا تنتقل من خطوة إلى خطوة إلاّ إذا لم تعد تخاف من تكرار الخطوة السابقة، حتى تنتهي من كل الخطوات ويصبح الفعل الجنسي فعلاً طبيعياً تأتيه بشكل تلقائي.

ويبدو من نتائج العلاج أنّ البرود الجنسي أو عنة النساء هي استجابة متعلمة كما يقول السلوكيون، ولذلك فكل مريضة تختلف حالتها عن الأخرى، وتختلف كذلك في الشخصية والمزاج، وقد لوحظ أنّ المنطويات من دأبهن القلق فيما يتعلق بالجماع، بينما تصاب المنبسطات غالباً باعتقال المهبل أو قمطة الفرج. (أنظر الجماع وقمطة الفرج والبغاء والمشاعية الجنسية والغلمة).



- ٤ -
عسر الجماع
Dyspareunia

يتعذر الجماع على الكثيرين من الأزواج في أي مرحلة من مراحل حياتهم. وتشكو النساء من عسر الجماع أكثر من الرجال، وشكوى النساء قد تكون عضوية كما قد تكون أسبابها نفسية. وقد تزف الفتاة إلى زوجها وقد يتسبب غشاء البكارة في عسر الجماع، كما قد يعوق الإدخال. وقد تكون الفتاة محل اعتداء واغتصاب في صغرها، وقد يستحدث بها ذلك تهتكاً تظل آثاره معها إلى أن تتزوج. وفي سن الإياس تفقد الأشفار الفرجية مرونتها كما يتعذر على المهبل أن يتجاوب مع الإدخال، ويصغر في الحجم. وفي بعض الأحيان قد ينشأ الألم في الجماع من طريق البظر، والبنات اليوم لا يتختتن فيزيد المفرز الشحمي من قلفة البظر أحياناً ويتجمع تحت الغلفة، وقد يسبب تهيجاً في الجلد وما يشبه الحرقان، فإذا كان الجماع وما يصاحبه من إيقاعات تلامس البظر فإنّ الألم يتزايد، وقد

تتوجع المرأة بشدة وخاصة إذا كانت هناك محاولات للملاطفة من الرجل عن طريق تناول البظر ودلكه.

وتشكو بعض النساء من حرقان أو أكلان أو ألم في المهبل أثناء الجماع أو بعده، وهو ما يجعلهن يعزفن عن الجماع ويكون مبرراً لهن للاعتذار عنه. وهذا العسر للجماع مرده غالباً إلى تلوث المهبل نتيجة الاتصال الجنسي أو ربما بعدوى شرجية، وقد يرجع التلوث إلى عدوى باليد، أو يترتب على إدخال شيء غريب في المهبل، أو يكون بسبب نوع القماش المستخدم كألبسة. وللمهبل درجة خاصة من الحموضة تطهره وتحميه من أي تلوث ميكروبي، واختلال هذه الدرجة يقلل من حماية المهبل ويجعله عرضة للتلوث. وتختل هذه الحموضة خلال الحيض، وخاصة عند استخدام الفوط التي تسد انسياب الدم وتستبقيه في المهبل، ومن شأن ذلك أن يؤثر في الحموضة ويجعل المهبل أقل حماية وأكثر تعرضاً للتلوث، ولعله لهذا السبب فإنّ الله سبحانه وتعالى قد نهى عن الجماع خلال الحيض بالنظر إلى هذا الأذى الذي يمكن أن يلحق بالمرأة.

والبكتيريا هي ما يصيب المهبل بالتلوث، ولكن من الممكن أيضاً أن يكون التلوث بالفطريات، والمعروف أنّ النساء تكثر إصابتهن بالجراثيم المكورة السبحية البرازية والمكورة السبحية المخضرة والجراثيم العضوية المعية escherichia coli وكلها تأتي عن طريق التلوث من خلال الشرج، وأكثر ما يكون ذلك بسبب الجماع الشرجي ثم الجماع المهبلي، وربما كان ذلك أيضاً سبباً للنهي عن الاتصال الشرجي بين الرجل والمرأة. والكثير من شكاوى تلوث المهبل الذي يقاوم العلاج سببها هذا الإيلاج المتكرر للقضيب في الشرج والمهبل معاً والمراوحة بينهما في الجماع مع تلوث القضيب من جراء الإنفاذ في الشرج.

وقد ينقل الرجل التلوث بالجراثيم الوحيدات المشعرة trichomonads إلى المرأة عن طريق وجود هذه الجراثيم تحت غلفة قضيبه إذا لم يكن مختتناً، أو في مجرى البول أو مجرى المني عنده، أو في البروستاتا، وإذا لم يعالج الزوجان منها فإنها قد تكون مصدراً لعسر

الجماع، ولا يمكن علاج الزوجة وحدها منها دون الزوج لأنه سيظل مصدراً للعدوى، وكذلك لا يمكن علاج الزوج وحده دون الزوجة.

وقد تسبب فطريات المونيليا minilia والكانديدا ألبيكانس candida albicans الحرقان والأكلان، وكانت الإصابة بهذه الفطريات تكثر في أواخر الربيع وفي الصيف وأوائل الخريف، ولكنها صارت الآن طوال العام. ومن المستحيل الاستمرار في الجماع بالنسبة للمرأة المصابة بهذه الفطريات، وقد لوحظ أنّ الإصابة بها تزيد بعد العلاج بالمضادات الحيوية لأي سبب آخر، وعندئذ تتنامى هذه الفطريات التي لا يؤثر فيها المضاد الحيوي. والعلاج باستخدام غسيل مهبلي حمضي يعيد للمهبل طبيعته الحمضية ويجعله أقدر على حماية المرأة مهبلياً.

وتتكون لدى بعض النساء حساسية خاصة ضد موانع الحمل الكيمائية من كريمات أو حوامل أو رغاوى. وقد تتعصب بعض النساء ويثيرهن أن يستخدمن اللولب أو أن يستخدم الرجل القراب condom. وقد يعسر الجماع نتيجة هذه الحساسية. وبعض النساء يلجأن إلى الدوش المهبلي بعد الجماع ظناً منهن أنّ ذلك وسيلة صحية ومن باب النظافة، غير أنّ هذا الغسيل من شأنه أن يغير من الطبيعة الحمضية للمهبل فيجعله أقل حماية، ولو تركت المرأة نفسها دون هذا الدوش فإنّ المهبل سرعان ما تعود إليه طبيعته المحمية خلال نحو ست ساعات من إنزال المني داخلها، وكثيراً ما تتأتى الإصابة بالتلوث بعد هذا الغسيل لو تم، بالإضافة إلى أنّ الأدوات والمواد المستخدمة في الغسيل قد تتسبب في التهاب مهبلي من النوع الكيمائي كما يحدث عند استخدام موانع الحمل. وينبغي أن تعرف النساء أنّ الاغتسال بالماء والصابون من الخارج هو كل المطلوب لدواعي النظافة وإزالة بقايا إفرازات الجماع ورائحتها.

وهناك نوع آخر من الشكوى المهبلية توصف بأنها التهاب مهبلي شيخي senile vaginitis، وتترافق هذه الحالة والتقدم في السن حيث يرق جدار المهبل ويضمر والنتيجة أنه لا يتحمل وطأة الجماع ويُجرح ويدمي. وتشكو نساء كثيرات في السن بين الخمسين والسبعين أنهن يشعرن بحرقان شديد وألم يستمر لساعات وأحياناً بضعة أيام بعد الجماع نتيجة ضمور الغشاء المبطن لجدار المهبل.

ولعل أكثر ما يسبب عسر الجماع عند النساء عدم وجود الإفراز المهبلي اللازم الذي يساعد على حركات الإيلاج للقضيب. وهذا الإفراز المهبلي يوازي الانتصاب عند الرجال، وكلما تهيجت المرأة كان هذا الإفراز أكبر، وهو يعني أنّ المرأة متجاوبة وقابلة للجماع، وعدم وجود هذا القدر الكافي من الإفراز المهبلي يجعل الاستمرار في الجماع صعباً إن لم يكن مستحيلاً، ويعني أنّ المرأة ليست مهيأة للجماع وفي وضع يوازي وضع الرجل غير المنتصب بما فيه الكفاية. ولا تفرز المرأة مهبلياً إذا كانت غير راغبة في الجماع أو كارهة لزوجها أو لديها مخاوف جنسية. وقد يفرز مهبلها في أول الجماع ثم سرعان ما يجف. والملاحظ أنّ النساء اللاتي لديهن مخاوف من الحمل أو الفضيحة أو العدوى بمرض تناسلي يتحرجن من الجماع ويؤثر ذلك على إفرازاتهن المهبلية، وقد تستشعر المرأة أنها أقل كفاءة من شريكها فلا تفرز بالشكل الكافي. والنساء بعد سن اليأس لا يفرزن كما كن يفعلن من قبل، ومن اللازم أن يتعاطين ما يعوضهن عن ذلك، وإلاّ فإنّ الألم قد يكون نصيبهن الغالب من الجماع وبعده ولمدة عدة أيام. وقد تكون المرأة ذات ميول جنسية مثلية فيعوزها ذلك الإفراز المهبلي، وقد تضطر إلى المجامعة بحكم أنها زوجة، ولكنها تجامع من غير حماس، ولا يفرز مهبلها، ويكون الألم خلال الجماع وبعده، ثم النفور منه والشجار بينها وبين زوجها عليه. وهذا الصنف من النساء اللواطيات إذا كانت اللواطة بهن ظاهرة فإنهن يتعشقن النساء مثلهن وقد يمارسن السحاق ويتهيجن به تهيجاً شديداً ويفرزن مهبلياً إفرازات غزيرة.

وتشفى النساء من عسر الجماع الذي له أسباب من مخاوف نفسية، وكذلك يمكن شفاء عسر الجماع الذي مرده للتلوث أو الذي يرافق سن الإياس، فإذا كان السبب الكراهية للزوج أو الميول اللواطية أو الاسترجال فما من سبيل لشفاء هذا النوع.

وقد يتسبب تمزق أربطة الرحم في استحداث الألم أثناء الجماع، ومع تكرار التجربة واستمرار الألم بعد الجماع تعزف المرأة عنه، وإذا أُجبرت عليه استشعرت آلاماً ولم تكن لها إفرازات مهبلية تساعد عليه، وشملها الوجع في الظهر والحوض. ويتسبب التمزق في انقلاب الرحم إلى الخلف ويزيد في الحجم، وتنشأ هذه الحالة إما من خطأ في الولادة أو نتيجة إجهاض مفتعل أو كرد فعل لاغتصاب استخدم فيه العنف وامتُهنت به المرأة، وربما واطأها المغتصب في الفرج أو في الشرج وتمزقت في المعركة بينها وبينه بعض أنسجة الحوض وربما المهبل والشرج.

وقد يتسبب عسر الجماع عن وجود التصاقات بالجهاز التناسلي للمرأة تترتب على التهابات أو أورام بالمبيضين أو النفيرين أو بطانة الرحم أو عنقه أو بالصفاق أو الأمعاء أو الثرب omentum أو المثانة. وينشأ الألم من الضغط خلال الجماع والإيلاج العميق، والتوسعة التي تطرأ على دهليز المهبل مع إدخال القضيب، ولا يكون حوض المرأة مستعداً لذلك بتأثير الالتهابات والتليف الذي يمنع الأنسجة من التمدد. وقد تبدأ الالتهابات بعنق الرحم وتمتد إلى ما حوله، فإذا كان الجماع وتحرك العنق تولد الألم. وقد يشمل الالتهاب البطانة أو الجدران العضلية للرحم لدرجة أنّ أي ضغط عليه يتسبب في الألم. وتحدث الالتصاقات نتيجة الأورام بالرحم لدرجة أنّ الثرب والأمعاء قد تلتصق بالجهاز التناسلي ويصبح الجميع كتلة واحدة ملتحمة داخل الحوض وينشأ الألم خلال الجماع نتيجة التيبس الذي يكون عليه الجهاز التناسلي والأورام التي تعوقه أو تتصل به. والعلاج دائماً إما طبي أو جراحي، وتتوقف الحالة على الدرجة التي تبلغها الأورام. وفي حالات استئصال الرحم قد يحدث أن يخطئ الجرايع في

وصله للمهبل بحيث يجعل الندبة المتخلفة إلى أسفل بدلاً من أن تكون إلى أعلى كما كان عنق الرحم عند اتصاله بالمهبل، والنتيجة أنّ أي جماع من بعد يلامس هذه الندبة يتسبب في الألم. وإذا كان هناك استئصال للمبيضين أو أيهما فمن الواجب أن تستعوض المرأة هرموناتها الأنثوية بالتعاطي وإلاّ عانت من اجتفاف المهبل. ومن اللازم دائماً تثقيف المرأة جنسياً وطمأنتها نفسياً في مثل هذه الحالات حتى لا تستشعر عدم الكفاءة. وكذلك يلزم تثقيف الزوج فقد يحسب أنّ المرأة قد استؤصل رحمها ومبيضاها ما عادت تحس جنسياً.

والرجل كالمرأة يمكن أن يصاب بسوء الجماع لأسباب عديدة، وأول الشكاوى حساسية القلفة أو رأس القضيب بحيث يتألم الرجل كلما أولج قضيبه في المهبل واحتواه الأخير، وعندئذ يستشعر الألم، وقد يأتيه عقب الإمناء، وقد لا يقوى الرجل أن يلمس رأس القضيب مجرد اللمس. وتكون هذه الحساسية المفرطة لأسباب صحية بسبب عدم الختان، والذين يشكون هذه الشكوى أغلبهم غير مختونين ولا يغتسلون، فيجتمع الشحم تحت الغرلة وأحياناً يكون هناك تلوث بكتيري أو فطري أو جرثومي تركومي تحت الغرلة، وإذا لم يكن هناك اغتسال بالصابون والماء للقضيب من آن لآخر تكون أمثال هذه الإصابات، والجدير أنّ الإسلام يأمر بهذا الاغتسال عند كل تبول وعند كل جماع.

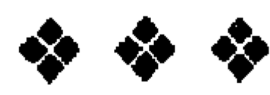
ويشكو البعض عند الانتصاب ألماً بسبب ضيق الغرلة phimosis بحيث أنها لا تنكشف عند الجماع فتسبب عسراً، وقد ينشأ عن تلبسها للرأس دون انحسار أن يحتوي أسفلها على قذارة وتلوث وتصاب بالالتهابات والالتصاقات، ولذلك يأمرنا الرسول بالاختتان. وببعض الناس حساسية لحموضة المهبل، وبمجرد أن يولجوا فيه فإنّ هذه الحموضة تتأثر بها الرأس ويكون الألم، والبعض قد يكون الألم مرجعه التهاب في المبال. ويستحدث مرض بيروني تصلباً وتليفاً في الجسم المتكهف، مما يجعل الانتصاب عسيراً على القضيب فينثني من أمام وينحرف في اتجاهه إلى اليمين أو اليسار ويصعب استكمال الجماع. وقد يصاب

الرجل أثناء حركة عنيفة خلال الجماع كما لو كان القضيب قد انكسر فيه شيء ويسمع له فرقعة، ويتسبب ذلك عن ورم دموي يلتئم ولكنه يسبب اعوجاجاً للقضيب أثناء الانتصاب chordee يترتب عليه ألم خلال الجماع يصعب علاجه جراحياً. وتستحدث هذه الحالة ضربة مفاجئة من المرأة على القضيب، أو بالجماع العنيف، أو أن تجلس المرأة بثقلها فوق القضيب المنتصب. وقد تتسبب الحروب أو الحوادث في تشوه في القضيب ينتج عنه عسر الجماع. وقد يطيل البعض مقدمة الجماع، أو يتهيجون وينتصبون لمدة طويلة دون إمناء فينشأ عن ذلك ألم بالخصيتين، وأكثر ما يكون ذلك عند الشباب ويقل هذا الألم مع التقدم في السن. وقد يشكو الرجل من التهابات وبثور تترتب على تلوث مهبل زوجته، وقد يكون حساساً لموانع الحمل الكيمائية أو للمواد الكيمائية التي يتكون منها الغسيل المهبلي. وفي حالات الإصابة بالسيلان قد تكون هناك التصاقات بالمبال القضيبي فيؤلم القذف وينتشر الألم إلى المثانة والبروستاتا، فإذا امتد التلوث للمثانة أو البروستاتا فإنّ الألم يكون ممضاً خلال الإمناء أو بعده. ويشكو بعض الرجال من كبار السن من تقلصات في البروستاتا خلال الإمناء، ويترتب عليها ألم ينتشر في الحوض أو المثانة، وأحياناً إلى الشرج، وعلاج هذه الحالة بالتعويض بالتستيرون. وقد يكون منشأ الألم في البروستاتا ضمورها الشديد أو إصابتها بالسرطان، وينتشر الألم إلى المثانة والشرج ولكنه يكون ألماً خفيفاً .(MastersJohnson: Human Sexual Inadequacy)

والكثير من عسر الجماع عند الرجل والمرأة تسببه المخاوف، وأغلبها مخاوف تكون بالنساء تجعل العجان تتشنج، وتتقلص عضلات الفخذ المقربة. وقيل إنّ التشنج ينشأ عن استجابة خوف مشروطة كنتيجة لمحاولة إنفاذ جسم غريب داخل المهبل، كأن يكون قضيب الرجل في ظروف صعبة على المرأة أشبه بالمحنة أو الأزمة.

ويعالج عسر الجماع النفسي بطريقة السلب المنظم للحساسية systematic

desensitization، بتدريب المريضة بالتدريج وعلى خطوات ممارسة الفعل الجنسي إلى أن تزول حساسيتها تجاهه، والتي تتسبب لها في أن تنفعل إزاءه بالنفور أو البرود الجنسي. ومن طرق سلب الحساسية طريقة بإنفاذ شمعات bougies زجاجية ذات أقطار متدرجة داخل المهبل ثم سحبها. وفي أول الأمر يقوم المعالج بالإدخال وتقوم المريضة بالسحب، ثم تتدرب المريضة على ذلك في بيتها وتقوم هي بالإدخال والسحب معاً. ويزاد قطر الشمعات إلى أن تبلغ حجم القضيب المنتصب، فإذا تلاشت حساسيتها ولم يعد المهبل يقمط أو يصاب بالاعتقال عند الإدخال يبدأ الزوج بممارسة الفعل الجنسي على خطوات وبالتدريج حتى يتم له الإيلاج. وقد أثمرت هذه الطريقة وكانت لها نتائج باهرة مع كل المريضات اللاتي عولجن بها، مع ملاحظة أنه في حالات النساء اللاتي يكرهن أزواجهن أو المسترجلات فإنه لا تستخدم هذه الطريقة ولا غيرها، إذ أنّ الكراهية أو الاسترجال لا علاج لهما كما أسلفنا. وكذلك فإنه في حالة النساء العصابيات اللاتي بهن خواف أو فوبيا من الجماع فإنّ العلاج النفسي يتوجه إلى العصاب نفسه. وأما العلاج السابق فهو صالح مع قمطة المهبل، أو ما يقال له اعتقال المهبل، ويعالج به النساء من النمط المنطوي حيث تبين أنهن أسرع في التحسن من النساء من النمط المنبسط. (أنظر الجماع وقمطة الفرج وخواف الجماع).



— ٥ —

المهبل المسنن

Vagina Dentata

يذهب فرويد إلى أنّ بعض البنات قد يعوضن عن الشعور بالنقص الذي يتحصل لهن نتيجة اكتشافهن وهن بعد صغيرات أنّ الأولاد يملكون ما لا تملكه البنات وهو القضيب، بأن يمارين نافيات هذا النقص فيهن، ومحتجّات بأنّ القضيب الذي يزهو به الأولاد موجود لديهن أيضاً لكنه بداخل فروجهن، وقد

يصبح ذلك وهماً تعتقد فيه البنت، ثم يشطح بها هذا الوهم فترى في المشابهة بين الفم والفرج أنّ الفرج يمكن أيضاً أن يكون مسنناً، أي تكون له أسنان كالفم، موضعها المهبل. وتشب البنت على هذا الاعتقاد المتوهم، ومن شأن ذلك أن تميل إلى القسوة تجاه الرجال، ويخدمها توهم الأسنان للمهبل أن تستخدم فرجها كأداة لإنزال العقاب بالرجال وليس لتحصيل اللذة الجنسية، أو بمعنى آخر فإنّ لذتها تصبح لذة إنزال الألم بالرجل خلال الجماع، ولذة إيلامه عموماً في معاملاتها اليومية معه. وكذلك يخدم توهمها المزمن بأنها تملك قضيباً داخلياً أكثر من القضيب الذكوري - بدليل تألم الرجل وهو يجامعها، والألم مظهر للأنوثة وليس الذكورة، يخدم هذا التوهم إنكارها للنقص الأنثوي، وللأنوثة ككل التي هي رمز الضعف والاستكانة والدونية. ولربما يكون هذا التوهم موجوداً لدى هذا النوع من النساء على المستويين الشعوري واللاشعوري. ولربما يوجد هذا التوهم عند بعض الرجال أيضاً، وعلى المستويين الشعوري واللاشعوري كذلك، فقد يتوهم الرجل أنّ مهبل المرأة كالفم له أسنان، وأنه يعض، ويمكن أن يقضم القضيب ويكون أداة إخصاء. وقد يحدث أن يخبر هذا النوع من الرجال صنف النساء الذي له هذه الميول السادية، وربما يكون قد عانى فعلاً من قمطة الفرج التي تأتيها المرأة ذات الفرج المسنن (أنظر قمطة الفرج). ويصدر هذا الوهم عند الرجل عموماً من ميول سادية ماسوشية فيه، وتعبر عن مخاوف من الإخصاء تتخلف عنده عن الصراعات الأوديبية في الصغر. وربما قد تدفع هذه المخاوف الرجل السادي إلى الثأر من المرأة بأن يستخدم معها أسنانه الحقيقية استخدامها لأسنان مهبلها المتوهمة، فيعضها خلال الجماع، ويتوجه بعضّه إلى الثديين بالذات باعتبارهما البديلين للقضيب، وكأنه أيضاً يخصيها في ثدييها. والبعض قد يتوجه بالعض للفرج أولاً حتى لتتألم المرأة ألماً كبيراً، وكأنه يتحداها بفمه الحقيقي وأسنانه ضد الفرج المسنن الذي هو عنده كالفم، فيذيقها ألماً يتفوق على الألم الذي تذيقه

له في الجماع من جراء قمطة المهبل عندها (Lorand Feldman: The Symbolism of Teeth in Dreams).



- ٦ -
قمطة المهبل
Vaginismus

قد يحدث أن تتزوج الفتاة ولكن زوجها كلما حاول أن يجامعها يجد أنه لا يستطيع أن يولج فيها، وإذا استطاع فإنه قد يعجز عن الاستمرار في الجماع بسبب ضيق في المهبل يتبين بعد الفحص الطبي أنه نفسي المنشأ، فالطبيب يمكنه أن يدخل إصبعه أو أي مسبر طبي ولكن الزوج يستحيل أن يدخل قضيبه. وهذا الاضطراب الذي نسميه اعتقال المهبل أو قمطة المهبل أو قمطة الفرج يصيب بعض النساء الصغيرات في السن غير المجربات، ويقابل العنة عند الرجل، فالعنين في الرجال هو الذي لا ينتصب، ربما لأنه يخشى الجماع أو لقلق وتوتر به، وكذلك البنت التي يضيق مهبلها وتتقبض عضلات فرجها فلا يتمكن الرجل من إنفاذ قضيبه فيها، أو حتى لا يكون في استطاعته أن يأتي المرأة بالشكل الصحيح، لرفعها فخذيها الواحد على الآخر أو سحبهما باستمرار (أنظر المهبل).

ويحدث تقبض عضلات المهبل بسبب التهابات أو أورام أو تمزقات أو حساسية في الفرج، والأغلب أن يكون السبب انفعالياً حيث تتميز قمطة الفرج أو اعتقال المهبل نفسي المنشأ psychic v. عن غيره مما يرجع إلى أسباب عضوية. وكم من أزواج في شهر العسل قطعوا رحلتهم وعادوا والفشل بادٍ في وجوههم، وعلاقاتهم متوترة للغاية، وجو الطلاق يخيم على أحاديثهم، بسبب ما عانى الزوجان الصغيران نتيجة هذا التقبض العضلي الذي يعتري الزوجة كلما همّ الرجل أن يجامعها، أو كلما ذهب تفكيرها إلى الجماع. وتتأتى المشاكل من الخجل الذي يستشعره الزوجان من الكشف عن حقيقة العلاقات الجنسية بينهما. وقد يحتمل الزوج ولا يفشي السر ويظل يعاني

لسنوات. ولا تشفى الزوجة من هذا التشنج الذي يعتري فرجها طالما لم تعرض نفسها على طبيب، فإذا ظلت كذلك لخمس سنوات أو نحوها فقد يُزمن عجزها ويعزّ الشفاء حتى مع العلاج.وقد يصاب الزوج نفسه بالعنة نتيجة الفشل المستمر معها، وينتهي الزواج إلى الطلاق حتماً.

وهناك تفسيرات كثيرة لهذه الحالة، فالبعض يعتبر هذا القمط من الميكانيزمات الدفاعية كالرَمَش مثلاً تأتيه العينان كلما تهدد العين شيء. والبعض ينسبه إلى ردود الفعل التي تتحصل للبنات إذ أسرفت أمهاتهن في تطبيبهن صغيرات بالحقن الشرجية أو التحاميل. ويرى آخرون أنه ميكانيزم دفاعي ضد الحمل. وقد تكون بالمرأة مخاوف مرضية من الجماع فيما يقال له فوبيا الجماع، أو مخاوف من القضيب نفسه فيما يسمى فوبيا القضيب، باعتبار ما قد يكون للمرأة من خبرات مؤلمة من الصغر يمثل فيها الجماع أو القضيب كتجربة أو كشيء منفّر أو مقزّز أو مؤلم، وربما تكون البنت قد عانت من الاغتصاب أو محاولة الاغتصاب، أو ربما تكون قد عانت خبرة مؤلمة من نوع ما ولكنها أزيحت إلى الجماع لتشابه بينه وبين موضوعات هذه الخبرة. وقد تصاب المرأة بقمطة الفرج لأنها تنكر أنوثتها وترفض الدور الأنثوي في الحياة. وقد يرمز الزوج للأب، بمعنى أن ترى البنت أباها في زوجها فتتأبى عليه باعتباره من المحارم نتيجة نشأة دينية قوية الجذور عندها.

وتذهب مدرسة التحليل النفسي إلى تفسير قمطة الفرج بما تصطلح عليه أنه عقدة الخصاء، بمعنى أنّ البنات وهن صغيرات يكتشفن أنهن ناقصات عن الأولاد، فالولد له قضيب يستطيع أن يبول به ويحركه كيف يشاء، ويعايرها بأنها لا تملك ما يملك، وتحقد البنات على الأولاد ويكون بهن ما يسمى حسد القضيب، فإذا كبرن فقد يعمدن للثأر لأنفسهن بأن تتحصن البنت ضد محاولات الجماع، بأن يقمط مهبلها فتمتنع على الرجل، وكأنها بذلك تقول له إنه برغم أنه يملك قضيباً إلاّ أنها تستطيع أن تجعله غير ذي فائدة. وقد يكون انتقامها بأن تسمح للقضيب

بالولوج ثم تقمط عليه وهو بالداخل فيوجع الرجل، وبعض الرجال يتولد لديهم الوهم بأنّ للفرج أسناناً كالفم، وأنه يعض، ويصيبه الرعب على الحقيقة عندما يجد أنّ المرأة تقمط، وأنّ قضيبه يؤلمه جداً. وتطلق مدرسة التحليل النفسي على هذه الظاهرة اسم الفرج المسنن vagina dentata، وتقوم على أوهام بعض الرجال الذين يعانون من مخاوف من الإخصاء، وعندما يتقبض الفرج بهذه الطريقة فقد يحسبون أنه يشكل خطراً عليهم، وقد يصيبهم بالخصاء. وكذلك قد تتوهم المرأة عندما تشاهد بعينها ما يعاني الرجل، تتوهم أنّ لفرجها أسناناً، وأنها من الممكن أن تخصي ناكحها، وبهذه الطريقة قد تؤكد لنفسها وللرجل أنها أيضاً تملك ما يعادل القضيب ويمكن أن يكون أشد منه، وهو هذه الأسنان المتوهمة. ويميز هذا الوهم النساء ذوات الاتجاهات السادية خصوصاً.

ولربما يُرد القمط إلى الميول الشرجية التي تكون بالنساء اللاتي يتميزن بشخصية شرجية، أي اللاتي يستبقين من المرحلة الشرجية بعض صفاتها الأخلاقية، والمرأة إذ تقمط على قضيب الرجل أثناء الجماع فيستحيل عليه أن يواصله، ويمتنع عليه في نفس الوقت أن يستخرج قضيبه، ربما يكون ذلك منها إزاحة لموقفها من البراز الذي تريد أن تستبقيه بقمط العضلة الشرجية، إلى موقفها من القضيب بالرغبة في استبقائه داخلها، والإمساك عن إفلاته بقمط عضلات الفرج، ويقال لهذه الظاهرة أحياناً القضيب المعتقل penis captivus، وتروى عنها الحكايات المثيرة والغريبة غير أنها غالباً حكايات مبالغ فيها ولا تستند إلى الواقع.

وعموماً فإنّ قمطة المهبل أو الفرج لها صورتان، فإما أنّ المرأة تعاني من حساسية مفرطة في المهبل حتى ليستحيل عليها أن تُدخل أي جسم غريب حتى ولو كان إصبعها هي، وإما أنّ الحساسية تقتصر على الجماع، وفي هذه الحالة بوسع الطبيب أن يكشف على المرأة داخلياً.

وتقدر عدد المصابات باعتقال المهبل بنحو ٥,٨٪ من كل النساء اللاتي يعانين

من عسر الجماع. والغالب أنه من الاضطرابات الجنسية التي تتخلف عبر مراحل النمو النفسي الجنسي، وأنه من نوع المخاوف المرضية أو الفوبيا من استدخال أي جسم إلى المهبل، وإن كان البعض يرده إلى التزمت الديني. وقد يكون رد فعل لعنة مصاب بها الرجل، أو استجابة متعلمة لمحاولات فاشلة منه لإتيانها برغم عنته. وقد يكون استجابة تتحصل للمرأة نتيجة أنها لا ترى في زوجها نمط الرجل الذي كانت تحلم به فتستهين به ويعز عليها أن يكون هو الرجل الذي يفض بكارتها، أو تخاف منه فتظن الجماع الذي يمكن أن يأتيه مثله ليس إلاّ نوعاً من الاعتداء فتتحصن ضده.

وكان المظنون قديماً أنّ البنت التي لا يستطيع زوجها أن يدخل عليها بسبب خوفها من فض بكارتها، من الممكن أن يقوم هو بذلك بإصبعه وبمساعدة أمه وأمها، وهي العادة المتبعة في الريف وفي الصعيد، وفي أوروبا يفعلون ذلك بعملية جراحية، غير أنّ هذه الطرق تزيد من مخاوف البنت ولا تطامنها كرد فعل للمشهد الدرامي الذي يشتمل عليه فض البكارة.

والأسلم أن تعالج البنت بالتحليل النفسي للكشف عن صراعاتها الداخلية بدلاً من العنف الذي يمكن أن يتثبت به العرض، وما يمكن أن يترتب عليه من مخاوف مرضية أخرى قد تمتد فتشمل كل علاقات البنت بجنس الرجال وبالزواج نفسه. وقد تظن أنّ هذه هي طريقة الجماع الوحيدة، وتركن إلى هذا النمط الخاطئ منه، ويداخلها شعور عميق بالنقص، طالما أنها عاجزة عن أن تفعل ما تفعله كل النساء، وقد تصاب من ذلك بالاكتئاب، ومن ثم ينصح بالعلاج بإبطال الحساسية للجماع من خلال جلسات تنويم مغناطيسي، بأن يصور المعالج مشاهد الجماع للمريضة وما يحدث فيها ويطلب منها أن لا تخاف إذا أتاها زوجها، وقد يتطلب منها أن تتصور زوجها عائداً إلى البيت وأنه يغازلها، وفي جلسات أخرى يزيد التصور إلى القبلات دون المضاجعة، ثم يزيد بأن يجعلها تتصوره يحتك بأعضائها الجنسية، ثم يُدخل رأس القضيب في جلسات أخرى، ثم الجماع

الكامل في الجلسات النهائية. وقد يكون الجماع حقيقي بينها وبين زوجها أثناء التنويم، أو من غير التنويم. وفي كل مرة من المرات السابقة يطلب من الزوجين تكرار ما سبق في البيت دون زيادة.

وقد تُعالج المرأة لطمأنتها، ويطلب منها المعالج الاسترخاء تماماً، ثم تحاول هي أن تدخل في المهبل موسعات تبدأ بأصغرها ويتلوه الأكبر فالأكبر في الجلسات التالية، مع تكرار هذه المحاولات في البيت، حتى إذا كان بوسعها إدخال موسّع في حجم القضيب كان ذلك مؤشراً لشفائها وقدرتها على الممارسة الجنسية، بشرط أن يُترك زمام الجماع لها هي دون الزوج، وتأخذ هي الوضع الأعلى ويكون الزوج سلبياً، إلى أن تعتاد على الجماع نهائياً (Masters & Johnson: Studies in Female Sexuality).

(أنظر عقدة الخصاء والفرج المسنن واعتقال القضيب والجماع).



- ٧ -

لعق الفرج

Cunnilinction

الفرج cunnus هو الجزء الظاهر من أعضاء التناسل عند المرأة، ولعقه بمعنى أن يُجري الرجل لسانه على الشفرين والبظر، وقد يكون فعله تقبيلاً، وقد يدخل لسانه إلى المهبل ويحركه داخلاً وخارجاً كالقضيب، وقد يمص البظر بفمه أو يمرر اللسان حوله أو بطوله، وقد يستخدم الرجل كل فمه بحيث يضعه على الفرج ويدخل الشفرين بين شفتيه، وقد يدخل إبهامه إلى المهبل أثناء اللعق فيستثير المرأة أكثر، ولربما يأتي الرجل ذلك مرة فتهيج المرأة ثم لا تهيج من نفس الفعل مرة أخرى أو في زمن آخر، وذلك يعتمد على الحالة النفسية. واللعق بشكل عام لا يلجأ إليه الرجل إلاّ إذا أراد أن تنعظ المرأة لأكثر من مرة، وقد يكون في اللعق خطورة إذا استخدم الرجل فمه لينفخ في الفرج، وذلك يستثير المرأة إلاّ أنه قد يصيب المهبل بالانتفاخ، وقد تموت المرأة من هذه الطريقة، وتكرار فعلها

غير مضمون العواقب ولا ينصح به خصوصاً أثناء الحمل.

ولعق الفرج مسألة عادية بين الثدييات، ولا يخلو مجتمع أو حضارة لم يكن فيهما أمثال هذه الممارسات، إلاّ أنّ لعق الفرج قد انتشر حديثاً بين الطلبة والطالبات وخصوصاً في المراحل الجامعية، وقيل إنّ نحو ٧٢٪ من الطلبة قد يمارسونه ولو لمرة، بينما لا يمارسه من شباب العمال إلاّ نحو ٤٠٪، وقيل أيضاً أنّ عدد من يمارسونه قبل الزواج نحو ١٥٪ بينما عدد من يمارسونه من المتزوجين نحو ٣٠٪. وتأباه المومسات في الأحوال العادية وإن كن يفعلنه أحياناً ويتقاضين عليه أجراً عالياً، ونادراً ما يُمارس لعق الفرج بين العاملات بعضهن البعض، وينتشر بين طالبات المدارس الثانوية خصوصاً، وقيل إنّ نحو ١٤٪ منهن يمارسنه. وكانت سافو وأضرابها يأتينه في جزيرة ليسبوس في اليونان القديمة. وعُرفت عبادة الفرج لدى الكثير من الشعوب، وهي المقابل لعبادة القضيب. ولعق الفرج عند أصحاب مدرسة التحليل النفسي يعني أنّ البظر أو الفرج قد شحن بطاقة شهوية عالية نتيجة لخبرات قديمة من شانها أن تتثبت المرأة خلال نموها النفسي الجنسي على الطور الذي كانت تستشعر فيه لذة من ملامسة البظر، ولربما تكون البنت ذات ميول استرجالية وعندئذ قد تتمثل البظر كالقضيب، وتعقد بينها وبين بنات جنسها علاقات شهوية بحيث تجعلهن يأتينها من بظرها. وقيل إنّ المرأة التي تجعل الرجل يلعق فرجها ربما كانت تعاني من حسد القضيب نتيجة اكتشافها وهي صغيرة أنها لا تملك قضيباً كأخيها، ومن ثم قد تحاول تأكيد أنها ليست أقل منه شأناً وتتصرف مثله، فإذا صارت امرأة صارت ترتدي كالرجال وتسلك سلوكهم وتحاول أن تبرز عليهم. وفي مجال الجنس قد تميل إلى الجنسية المثلية وتغري النساء مثلها بأن يلعقن فرجها، وبرغم أنّ ذلك منها تصرف سلبي لأن تصبح المفعول فيها، إلاّ أنها في الحقيقة لا تأتي اللعق بسلبية، بل هي التي تقود العملية وتطلب أن يتم ذلك وهي واقفة أو مستلقية، فإذا جعلت الرجل هو الذي يقوم باللعق فاختيارها له يكون على أساس أنه رجل

ميوله ماسوشية، بينما هي ذات ميول سادية. وهي تفعل ما تفعل إذلالاً له وانتقاماً من كل الذكور بتأثير عقدة الذكورة التي تعاني منها، فإذا كانت قد اكتشفت صغيرة أنها قد خُصيت، بدليل خلو أعضائها التناسلية من القضيب، فإنها تظل تصر على أنّ لها هذا القضيب وهو بظرها، ثم الذكورة عندها سلوك، ومن ثم تسلك كالذكر. فإذا شبت ونمت وكانت امرأة كان تفكيرها الدائم في بظرها مدعاة لشحنه بالطاقة الشهوية، بالإضافة إلى أنّ إصرارها أن يكون التنفيس الجنسي عندها باللعق يعني أنها تستخدم البظر كالقضيب، وتؤكد بذلك تصورها القديم له، أنّ البظر هو تعويض عن القضيب، أو أنه قضيبها الأنثوي، وتفرض هذا التصور على بعض الرجال، فإذا رضي الرجل أن يفعل ما تطلبه فإنّ ذلك يكون إقراراً منه بانّ بظرها كالقضيب، ومن ثم تستشعر أنها ليست أقل من الذكور في شيء. وفي الفيتيشية قد يتعبّد الرجل للبظر أو الفرج، فيقتني من الأدوات ما يشبههما، وذلك انحراف غير شائع بين النساء إلاّ فيما غبر من الحضارات. (أنظر حسد القضيب وحسد الثدي وعقدة الذكورة وعقدة الأنوثة وعقدة الخصاء).



الفصل الثامن والأربعون

الإنحرافات الجنسية عند الذكور والإناث

- ١ -

الإنحراف الجنسي
Sexual Perversion

المنحرف جنسياً sexual pervert هو الذي يأتي من السلوك النفسي الجنسي المتكرر ما يخرج عن الأنماط المألوفة في مجتمع من المجتمعات له ثقافته الجنسية التي تبيح أو تستحسن أنماطاً من السلوك الجنسي دون أنماط قد تحظرها قانوناً، أو تكون قد نزلت بخصوصها شرائع تحرمها، ومثال ذلك اللواطة فقد كانت من الأعراف الجنسية عند قوم لوط إلى أن جعل التوراة عقوبتها القتل. وهناك الآن من المجتمعات ما لا يحرم اللواطة ولا الكثير من الانحرافات الجنسية، فالزنا أصبح مقنناً وهو تجارة منظمة، والبعض يطلق عليه اسم المعاشرة بدون زواج، تخففاً من تعبير الزنا. والتعري صار متبعاً على عكس الحجاب، والتعري الكامل مباح على المسارح التي تعرضه وتتفنن في عرضه وتصوره في أفلام تشاهد في البيوت بحرية تامة، الأمر الذي جعل البعض يطلق على هذا العصر اسم عصر الثورة الجنسية.

والسلوك الجنسي المنحرف قد يأتيه البعض كمقدمة للجماع الصحيح، وعندئذ لا يعتبر في عرف الطب النفسي انحرافاً إلاّ إذا كان المنحرف يمارسه كهدف وغاية في حد ذاته. ولقد ذكر كينزي في كتابه السلوك الجنسي عند الذكر أنّ نحو ٦٥٪ من الرجال قد مارسوا أو يمارسون لعق الفرج، وأنّ ذلك قد حدث منهم لأكثر من مرة، ولا يعتبر الطب النفسي لعق الفرج شذوذاً طالما أنّ اللعق لا يأتيه منه الإشباع، وإنما يستخدمه لإثارة الطرف الآخر وللتمهيد للمباشرة التي بها يكون استنفاد الشهوة، فإذا كان اللعق يثيره حتى الإنعاظ فهو الشذوذ بعينه لأنه ليس جماعاً صحيحاً.

والانحراف لا يكون انحرافاً إلاّ إذا كان المنحرف يأتيه تلقائياً وقهرياً، بمعنى أنه

يتكرر منه مدفوعاً إليه بعوامل نفسية داخلية تقسره قسراً عليه دون وعي منه بأنه مقسور عليه. والمنحرف لا يرى فيما يفعل انحرافاً ويعيشه بشكل طبيعي، ولذلك قد لا يبدو عليه أنه منحرف ولا ينبئ ظاهره عنه. وحتى الزوجة الطبيعية قد لا تكتشف الشذوذ في زوجها مع أنها أقرب الناس إليه، والتصاقها به مدعاة لأن تلمس بنفسها ما يعاني، إلاّ أنّ السنوات قد تمر قبل أن تتبينه على حقيقته، وربما كان ذلك سماعاً من الآخرين كشائعات تقال حوله أو فضيحة يعلن عنها.

ولم يفهم الناس ديناميات الانحراف إلاّ بعد أن نشر فرويد كتابه «ثلاث مقالات في الجنس» (١٩٠٥) فعرفوا أنّ الجنس موجود فينا منذ المهد إلاّ أنه في حالة من الفوضى أو الإبهام، أو أنه لم يترتب وينظم بعد، وهو ما يقال له الطور قبل التناسلي. والطفل في هذا الطور بمقتضى تعريف الانحراف يعتبر منحرفاً، وانحرافه له كل الأشكال، وشهوته منتشرة فهي في شرجه وقضيبه وفمه وكل جسمه، ولذلك يسميه فرويد بحق المنحرف المتعدد أشكال الانحراف polymorphous pervert، ولذته غير التناسلية تتحصل له بأكثر من طريقة كالمص، والاستعراء، والتطلع، وكل طريقة منها مشبعة جزئياً أو أنها مشبعة لغريزة جزئية، ومع استمرار نموه تتكامل الغرائز الجزئية وتتأدى إلى السيطرة التناسلية عند البالغ ولكنها لا تختفي بالكلية، والكثير منها يستمر في أشكال اشتهاء التقبيل أو التعري أو التطلع قبل الإقدام على الجماع. وقد يحدث أن يتثبت الشخص في نموه النفسي الجنسي عند مرحلة قبل تناسلية فمية أو شرجية أو قضيبية، أو قد يرتد وينكص إليها لسبب من الأسباب، وعندئذ تظل هذه الغرائز الجزئية المصدر الغالب للشهوة، وتكون لجنسيته شكلها الطفولي، أو قد يترتب على ذلك أن ينحرف سلوكه فيتعلق إشباعه الجنسي بها دون غيرها. وإذن فالميل إلى الانحراف نحن مهيأون له، والانحراف كامن فينا، وهناك العديد من العوامل التي يمكن أن تدفعه إلى الظهور وتجعله انحرافاً مكشوفاً، وأبرزها أو أكثرها إعمالاً القلق الذي يسببه الخوف

من الخصاء أو الإخصاء الذي تدفع إليه معاملة الأب لابنه، والصراعات الأوديبية التي تتفجر في نفس الصغير كنتيجة لتراوحه بين الحب والكراهية لأبيه ولأمه، أو لأحدهما دون الآخر، وغير ذلك من المؤثرات التي تحفل بها البيئة العائلية في الطفولة وليس لها مردود طيب على تكوين الطفل نفسياً وجنسياً.

ويعتبر بعض المحللين النفسيين الانحراف شكلاً من أشكال العصاب النفسي بسبب ما يتضمنه من استخدامات للحيل النفسية التي تشبه الحيل المستخدمة في العصاب، وكان فرويد يقول إنه الصورة السالبة من العصاب، بسبب خلوه من عنصر الكبت، باعتبار أنّ الكبت لا بد منه لنشوء العصاب. وفي الانحراف لا يوجد كبت بل تصريف مباشر للجنس، وإذن فهو عصاب منزوع أو مسلوب منه الكبت، إلاّ أنّ المنحرف يظل بخلاف العصابي من حيث أنّ المنحرف يُعرف بشذوذه، ويتقبله ويعمل به ولا يرفضه، بينما العصابي يأتي الأعراض العصابية وله السمات الخلقية العصابية ويمارسها دون وعي منه ويماري أنه عصابي. ثم أنّ العصابي لا يتحقق له من أعراضه إشباع جنسي، بخلاف المنحرف جنسياً الذي يتحقق له هذا الإشباع بممارسة انحرافه. ومن ناحية أخرى يتشابه العصابي والمنحرف من حيث وجود رغبات طفولية عند كل منهما، وباعتبار الدفاعات اللاشعورية التي يلجأ إليها الأنا، وعجزهما معاً عن الفصل بين الحب والكراهية، فكلاهما يؤذي محبوبه ويمكن أن يحطمه، ويختاره ليعطيه ويتلقى منه في نفس الوقت الحب ونقيضه.

والانحرافات الجنسية كثيرة، غير أنّ أشهر صورها الكلينيكية اللواط، والسادية وعكسها الماسوشية، أو مركب السادية والماسوشية (إنزال الألم بالغير أو استعذابه من الغير). ومن ذلك أيضاً هتك العرض، والتطلع أو التبصص على الفعل الجنسي أو العرايا، والاستعراء، وإتيان البهائم وتعشق الصغار، واشتهاء الموتى.

وانحرافات الرجال أظهر من انحرافات النساء، والتفاوت أو الاختلاف كلاهما يرجع لنواح وراثية وبيئية

وتكوينية. ولا شك أنّ للإشراط النفسي وللضغوط الاجتماعية تأثيراتها في هذا المجال. ولعل العوامل الوراثية هي أهم العوامل البيولوجية تأثيراً في طبيعة الاستجابة الجنسية، وهي المسؤولة عن التفاوت الموجود بين الناس من حيث البنية الحسية، وكل ما يتعلق بالاستجابة الانفعالية من ميكانيزمات، بل إنّ التفاوت في الاستجابة في حياة الشخص الواحد تحدده عوامل بيولوجية كالسن والتغذية والصحة والتغيرات في الأحوال العصبية إلخ. وكذلك الظروف النفسية لها دورها الكبير في تحديد السلوك عند كل الفقريات التي لها جهاز عصبي متطور، وخاصة في الإنسان، سواء كان من المثقفين أو العمال، فالكل سواء، وإن كانت الثقافة بشكل عام تجعل صاحبها أرهف وأكثر حساسية من غيره، وما يفضله كل شخص من حيث الطريقة المشبعة له جنسياً يتوقف على نوع التجربة الجنسية التي خاضها أول مرة، أو ما يسمى بالمشهد الأولي، أي أول مشاهدة أو احتكاك له بالفعل أو الاستثارة الجنسية. وأيضاً هناك العرف الجنسي والعرف الأخلاقي، وبناءً عليه تفضيل شخص لطريقة عن طريقة للتصريف الجنسي. والكثير من أنماط الممارسة الجنسية هو انعكاس للأنماط الجنسية المستحسنة عند طبقة معينة ينتمي إليها هذا الشخص أو ذاك. ويبدو تأثير الأسرة بالذات على المنحرف. ويبدو أنّ هناك علاقة بين الانحراف وإهمال الأمهات أو تسلطهن على الأبناء، وأنّ هذه المعاملة الخاصة هي التي تهيئ للانحراف من بعد تأثير العجز الذي يصيب الطفل من جرائها فلا يستطيع أن تكون له علاقات سوية بالآخرين، ويضطرب انتماؤه الجنسي وتتولد عنده كراهية وتزيد صراعاته الأوديبية وتتنامى عدوانيته. وثبت كذلك أنّ عائلة المنحرف غالباً تمارس الانحراف، أو أنّ طرقه لا تكون مستهجنة عند أفرادها ويتعاملون معها بالتسامح، وينشأ الصغير من ثم لا يجد في الانحراف غضاضة. وقد يحدث أن تشجع الأم ابنها على أن يتعين بها فينشأ على الأنوثة ويميل إلى أن يقوم بتمثيل الدور الأنثوي في المسائل الجنسية، ولعل ذلك

هو السبب في عدم الاستبصار لدى المنحرفين من حيث تمييزهم بين السلوك الأنثوي والسلوك الذكوري، وما يجب للذكر وما ينبغي للأنثى. والمنحرف عموماً يظن دائماً أنه على صواب، وأنّ أسلوبه في التصريف الجنسي هو الأفضل، وأنّ الممارسة الطبيعية للجنس من شان الحيوانات وحدها، وأما الإنسان فللثقافة دورها في سلوكه، وهي خروج عن المألوف في السلوك، وخاصة في الجنس، والتغيير مطلوب دائماً. وهناك من الأسوياء من يطالب بالتغيير ويصر عليه لأنه يثير المشاعر ويجدد الطاقة، ولذلك كانت للمنحرفين غالباً ثقافتهم الفرعية ونواديهم الخاصة أو أماكن تجمعهم. وهم جميعاً يحسبون أنفسهم أكثر ذكاء من غيرهم، غير أنهم عموماً يصدرون عن مشاعر نقص حقيقية، والبعض منهم يعاني من أنواع من الذهان أو العصاب أو الضعف العقلي، أو حتى ما يسمى بالجنون الخلقي الذي يستحيل معه أن يعرف أنّ ما يفعله ليس شذوذاً، ومنهم من يمكن علاجه باكتشاف نواحي النقص في شخصياتهم وما يعانونه من مشاكل نفسية، وما إذا كان إتيانهم للانحراف سلوكاً قهرياً، والصراعات الفصامية بهم التي تؤدي بالبعض إلى أن يخرجوا على العرف. غير أنّ ذلك يقتضي الكثير من التحرّي والإلمام بالتاريخ الجنسي للمنحرف، وقد لا يكون المنحرف راغباً أصلاً في العلاج برغم أنّ هذا هو ما توصي به المحاكم في كثير من الدول التي تضبط فيها ممارسات منحرفة، وعندئذ يكون التنبؤ بالشفاء ضعيفاً بسبب عدم وجود الدافع إليه (Lorand et al: Perversions, Psychodynamics and Therapy).



- ٢ -
الهوس الجنسي
Sexual Mania

المهووس جنسياً هو المفرط، ومن أعراض الهوس الجنسي أن تتكاثر أفكار المهووس ويزيد شعوره بالعظمة

وإحساسه بالصحة، ويبدو مرحاً دائماً، ومنشرحاً ومتفائلاً وتيّاهاً بنفسه، وطارحاً مشاعره وأفكاره بالحركة والإشارة واللفتة.

وقد يعني الهوس ولعاً بشيء كهوس التعذيب flagellation mania، وهو سلوك شائع، ويُروى أنّ مواخير التاسع عشر كانت بها عصي وسياط حتى إذا كان الزبون يهوى الضرب فاعلاً أو مفعولاً به كان له ما يريد. ويروى أنّ الأمير ألبرت حفيد ملكة بريطانيا كان مريضاً بهوس التعذيب، وأنّ عدداً من رجال البلاط كانوا بالمثل يمارسون التعذيب بالسياط أو ما يسمى التسوّط، ومنهم لورد سومرت مستشار أمير ويلز (الملك إدوارد السابع فيما بعد). ولم تكن الكنيسة بمنأى عن هذا الاضطراب فيروى أنّ القديس دومينيك الذي تنسب إليه طائفة الدومينيك كان مريضاً بهوس التعذيب أو التسوّط، وأنّ نوبته الحادة استمرت معه في إحدى المرات ستة أيام، وفيها ضرب نفسه ٣٠٠,٠٠٠ مرة، وكان أتباعه يدخلون القرى ويمارسون الضرب على أنفسهم وعلى الناس حتى أنهم يُعرفون بقروحهم التي لا تندمل والتي تنزف الدم دوماً، ويبلغ عددهم في القرن الرابع عشر ٨٠٠,٠٠٠، وهو رقم مذهل وكأنما هذا الاضطراب كالوباء، فأصدر البابا كليمنت أمراً يحظر التسوط ويجعله كفراً.

وهوس الحوريات nymphomania هو الغلمة النسوية نسبة إلى الحورية nymph من إلهات الطبيعة عند اليونان، وهي فاتنة الجبال والمروج والمياه التي تقوم بإغراء الرجال ومضاجعتهم، وتجامع الرجل حتى يسقط إعياء، ويتعاقب عليها الرجال فما تشبع من المضاجعة. وهوس الحوريات إذن هو هوس الجماع عند النساء، والمهووسة بالجماع يطول جماعها فما تشبق، وقد تشبق مرة ومرات ولكن شهوتها لا ترتوي. وكذلك الرجل المهووس بالجماع. ويؤثر بعض العلماء ومنهم كينزي أن يسموا هذا السلوك باسم فرط الجنسية .hypersexuality ولعل من أبرز أعراض الغلمة أو هوس الجماع تلك النرجسية الشديدة التي يكون عليها الرجل الغليم. وقيل إنّ هوس الجماع يأتي ترتيبه في جدول الاضطرابات النفسية رقم ١٨، ومنه

الخلطة أو المشاعية الجنسية تكون أيضاً بين الذكور والإناث، ومن الأخصائيين من يطلق عليها اسم زملة دون جوان Don Juan syndrome أو الدون جوانية. ويتميز الدون جوان برغبة جنسية شديدة وسلوك جنسي فاضح، قيل في تفسيره إنه محاولة منه لإثبات ذكورته أو إثبات أنوثتها. والدون جواني برغم ما يظهره من تودد ولطف فإنه إنسان لا يعرف العاطفة ولا الحب. وهذا الهوس بالجماع قيل إنّ بعض المرضى بالهستيريا أيضاً يكون بهم. وقيل في تفسير هذا الاضطراب إنّ المريض يعاني من عقدة أوديب ويبحث عن الحب الذي افتقده في أمه عند المرأة تلو المرأة، وتوصف الحالة التي به بأنها جوع عاطفي شديد، وبنات الدون جوان، إن كان متزوجاً وله بنات، يصبن عادة بهستيريا القلق من جراء تعرضهن للإثارات الجنسية والغواية من الأب، وسماعهن عن مغامراته المستمرة. وأما المشاعية في النساء فهي أن يبلغ الهوس بالجماع عندهن أن يطلبنه من أي رجل. وتأتي المشتاعة الرجل بعد الرجل، وقيل إنّ ذلك كثير الحدوث بين طالبات الجامعات الأمريكية، والمهووسة بالجماع لا تستطيع السيطرة على غرائزها الجنسية، ولم ينضج عندها الذات، ولا تعرف معنى احترام النفس. والمشتاعة بمجرد أن تتعرف على الرجل توافق فوراً على الجماع، وتأتيه في أي مكان ولو كان ذلك المكان هو المراحيض، ومن مدة وجيزة ضبطوا وزيرة خارجية كينيا في المرحاض بالطائرة المسافرة إلى باريس مع الرجل الذي تصادف جلوسه إلى جوارها. وأحياناً ما يسمى هذا الاضطراب باسم هوس الكيثيرية cytheromania، والكيثيرية Kytheria هي أفروديت معبودة الجنس عند اليونان، وأطلقوا عليها هذا الإسم في جزيرة كيثيرة Kythera في خليج لوكونية، وأسموها القبرصية kypris في جزيرة قبرص، وكان لها معجبون هناك يمارسون طقوسها ويسيرون على منوالها. ولم تكن أفروديت إلاّ امرأة هلوكاً لا تشبع من المضاجعة، حتى أنها ظلت تضاجع أباها بعد أن احتالت على ذلك إلى أن اكتشف أمرها، وأنجبت منه

أدونيس، فلما شبّ عن الطوق وظهرت قوته أغرته أيضاً وضاجعته، وجعلت منه عشيقها إلى أن قتلوه بسببها.

وهوس عشتروت estromania شبيه بما سبق، وعشتروت أو عشتار هي آلهة الحب أو الزواج عند أهل الشام، وتروى عنها القصص أنها كانت غليمة. وأفروديت هي الصيغة اليونانية لها. وهوس عشتروت يقال له أيضاً هوس أفروديت aprhodisomania، وهو جنون الشهوة عند النساء.

وهوس الفرج aedoemania هو الكلف الشديد بالعورة والمحرمات من الجسم، وهو قد يكون مجنوناً بالقضيب أو بالفرج، ومن الناس من يتعبد للقضيب، وكانت هناك عبادة له في القديم، وما زالت هناك طوائف في سوريا والعراق يتعبدون للفرج. وعبادة القضيب وعبادة الفرج كلاهما من ضروب الهوس بالجماع.

وهوس إيروس erotomania هو الغلمة تنسب لإيروس وكان إله الشبق عند الإغريق، عشِق أفروديت مع أنه الصبي، وكانت أفروديت في عمر أمه أو أنها كانت أمه، وجُنّ بنكاح النساء، وقيل لذلك إنّ هوس إيروس هو الحمى الشبقية erotic fever. وقد يطلق على هوس أو جنون إيروس اسم الوَهَس lagnomania، وهو النكاح يتميز بالقسوة والغلظة، والجراف lagenia furor وهو النكاح له وطأة ودعس، وجنة ساتير أو ساطير satyromania، وساتير هو إله الغابات أولع بالعربدة واشتهر بشبقه المفرط.

وهوس دعك القضيب peotillomania لازمة عصبية، والذي يأتيها تراه يشد قضيبه بيده أو يدعكه من حين لآخر، وذلك كثير الحدوث في مجتمعاتنا الشرقية، وقيل إنه استمناء كاذب أو كالاستمناء.

والهوس الرحمي uteromania هو جنون الجماع عند النساء، وكأنّ المرأة عندما تأتيها جنة النكاح يضطرب عليها رحمها ويصيبه الخباط.

وهوس الذكور andromania لهاف يكون بالمرأة ويدفعها دفعاً إلى مصاحبة الرجال، أو هو جنون الجماع عند النساء.

وهوس الحيوانات zoomania الحب الشديد للحيوانات، ويماثل تعشّقها

zoophilia إلاّ أنّ تعشق الحيوانات أخف وطأة من هوس الحيوانات.

وهوس الكتابة الداعرة pornographomania اهتمام شديد بالصور الفاحشة، أو هو ممارسة هذه الكتابة ورسم هذه الصور.

وهوس الكتابة الغرامية erotographomania دافع لكتابة عبارات موضوعاتها جنسية ولكن صياغاتها أخلاقية وتوجهاتها سامية، وغالباً ما يكون لها الطابع الديني، ولا يتوخى بها كاتبها إلى التواصل بامرأة معينة وإنما يكتبها إلى السيدة المجهولة التي يتمناها لنفسه، وهي نمط مثالي ربما تكون خلاصة الثقافة الدينية مختلطة بصور من الطفولة والتثبيتات الجنسية من المرحلة الأوديبية.

وهوس النساء gynecomania هو الولع الشديد بالنساء والرغبة المستعرة في مضاجعتهن، وكان دون جوان مهووساً بالنساء، وكذلك كازانوفا، وفي القصص الديني في التوراة كان داود وسليمان، ويُروى أنّ داود كانت له [illegible] امرأة، ويُروى أيضاً أنّ الحسن بن علي كانت له ألف امرأة.

وهوس الجمال callomania هو غرور الجمال أو جنونه كجنون العظمة وجنون الخُيَلاء، والمهووس بالجمال قد يطلبه ويتكلف له، والمرأة المهووسة بالجمال قد تطلبه في طفل تلده وتتخيله على صورة معينة تتملكها وتعيش لها، اعتقاداً في قدرة التفكير السحري على صنعه على الهيئة التي ترجوها، وهي تظن أنها كلما حاصرت نفسها بهذا التفكير فإنّ الجنين لا محالة سيشكل كما تهوى، واعتقادها من الاعتقادات البدائية أو التفكير البدائي الذي يلازم بعض المرضى بالفصام.

وهوس البذاء coprolalomania هو أن يولع الشخص بالفحش والتفحش في القول والفعل، فيأتيهما قسراً عنه وكأنهما الأفعال القهرية compulsions، وهو في المعنى الأصلي للمصطلح الكلف الشديد بتشبيه كل شيء بالخراء وما يتصل بذلك من سباب، وقد تكون هناك مماثلة بين الخراء والكلام حيث كلاهما له مخرج، أحدهما الشرج والآخر الفم، ودائماً يشبهون الفم بالشرج. وقد يكره المريض شخصاً فيحب أن يخري عليه، ونحن في

الكلام العادي أحياناً نسمع الناس يقولون «اخرِ عليه وخَرى عليه»، وقد يستبدل الشخص الخراء بالكلام فيسبه بدلاً من أن يخري عليه، وسبابه يستخدم فيه مع ذلك ألفاظاً منها الخراء، ومثل ذلك نصادفه كثيراً عند المرضى بالفصام، وهم يحبون أن يلهوا بالكلمات الوسخة حبهم للهو بالخراء.

وهوس القماءة cretomania نمط الجنون الذي يرتبط أحياناً بحالات الإصابة بالقماءة، فتنتاب المريض حالات هياج مصحوبة برغبات جنسية ملحة وانتصاب دائم وغلمة نهمة.

والهوس الشيطاني demonomania جنون التلبس بالشياطين أو العفاريت، فتستحوذ على الممسوس أو المهووس الهواجس وتلح عليه أفكار معينة لا يملك نفسه إزاءها، ويعتقد أنه قد صار عفريتاً أو شيطاناً، أو أنّ شيطاناً يتقمصه، ويرجع فرويد هذا الهوس أساساً إلى كبت اللذة المصاحبة للإستمناء، فتتحول إلى قلق هو نوع من العقاب يستشعره الشخص من تلقاء نفسها، ويحمل في طياته الإحساس بأنّ ما يعتمل داخله من أحاسيس محرّمة هي من فعل الشياطين ومن همزاتهم، وكلما ألحّت عليه أحاسيسه ورغباته الجنسية كلما كانت لها وطأة، ويكبر شعوره بأنّ الشياطين قد تلبسته، وأن ما بداخله من صراعات مستعرة ومجنونة هو من فعلهم. ويرجع فرويد هذا الاعتقاد في تأثيرات الشياطين وتقمصهم إلى التربية الدينية من الطفولة.

وهوس الظواهر phaneromania من فانيروس اليونانية بمعنى الظاهر، ومنها الفنار لأنه يعلو ويظهر. والظواهر هنا هي بوارز الجسم كالثديين والقضيب والأنف والأذنين والشعر والأطراف، وبوارز الجدل كالثآليل. وهوس الظواهر دافع قهري لتحسس هذه الأجزاء الظاهرة وخاصة النوابت والنواشئ من الجلد والشعر والأظافر. والمهووس قد يعبث بشواربه أو سوالفه أو يقضم أظافره أو ينتف شعر منخاريه أو حاجبيه أو يتخلل أسنانه أو يمسح على شعره أو جبينه أو صدره أو مؤخرته الفينة بعد الفينة، أو يشد على قضيبه الحين بعد الحين، ويأتي ذلك على سبيل العادة، وفعله قهري

ويشبه اللازمة، وقد يكون مسحه على الأنف من وقت لآخر لمماثلة بين الأنف والقضيب، أو بين الأذن والقضيب، وكلاهما بارز أو مدلّى كالقضيب، وكلما استبدت به رغبة جنسية وأراد أن يشد على قضيبه يستمني فإنه يزيح الرغبة إلى الأنف أو الأذن للمشابهة بينهما وبين القضيب، ثم إنّ القضيب محرم ولكن الأنف أو الأذن غير محرمتين. وقد تمسح المرأة المسترجلة على صدرها من آن لآخر وكأنه يضايقها في جسمها الثديان باعتبارهما من علامات الأنوثة، فتُجري عليهما يدها باستمرار ربما تحاول أن تزيل هذه العلامة.

وهوس الموتى necromania رغبة جنونية أن يحاور الشخص الموتى ويعايشهم ويضاجع جثثهم، وهوس الموتى لذلك من الاضطرابات التي يصاب بها الرجال دون النساء، وقد تكون لاشتهاء مضاجعة الموتى طبيعة سادية. وقد يرتبط تعشق القبور taphomania واشتهاء الموتى necrophilia بعادات بدائية من نفس النمط كالاعتياش على جثث الموتى وأكل الجيفة .necrophagia وقد يكون للهوس بالموتى واشتهائهم وسادية الموتى necrosadim أسباب من عجز جنسي لا يريد المهووس أن يكتشفه الأحياء فيه، وبعض الناس قد يكون فيهم هذا الهوس خفيفاً فإن جامع امرأة فقد يهيجه منها أن تقول له أنها تموت فيه، أو أنها تموت شهوة، وقد يطلب منها أن تردد عليه ذلك. وربما كانت للجماع نفسه طبيعة الموت، وينتهي بالسكون بعد الحركة كالموت، وقد يجد المهووس في الجماع لذة الاستنفاد كما لو كان يجرب في الجماع الموت في كل مرة، وقد يتوهم أنه يموت أو مات، وبعض الناس لحظة الإنعاظ يتأوه ويقول باللفظ إنه يموت، وهذا التماوت necromimesis من أعراض هوس الموتى.

وهوس النظم metromania جنون إلقاء الكلام موزوناً أو موقعاً كالشعر، وربما لأنّ النكاح يأتي موقعاً كذلك قيل أنه هوس نكاح أو أنّ هوس النكاح أحد أنواعه، وربما هو فعلاً هوس نكاح لأنّ ميترا في اليونانية معناها الرحم، ثم استعملت مجازاً لتعني الإيقاع، ربما للمشابهة بين النكاح والإيقاع اللذيذ أو عندما يكون

لذيذاً، ولذلك قد تسمع من بعض الناس عبارات التذاذ بالإيقاع الجميل وكأنه يستمتع بالنكاح.

وهوس التفاني devotion mania رغبة عارمة أن يبذل المرء نفسه لخدمة آخر يتفانى في حبه، وربما يكون الدافع إلى ذلك أنه يريد أن يجعل من الآخر موضوعاً له يضفي عليه ما كان به من مشاعر لأبويه في صغره، وربما يكون المهووس أو المفتون قد استدمج أبويه في صغره في الطور الأوديبي فصارت له مشاعر أبويه قوية فيظل يبحث لها عن موضوع في كبره يفرغها عليه. وقد تكون مشاعره الفياضة هذه نحو الآخر رد فعل لأنانية فيوجه بكل طاقته المحبة عنده إلى موضوع خارجي خلاف نفسه، أو أنه يظل يبحث عن الموضوع الذي يتصور أنه يرى فيه نفسه فيضفي عليه هذه المشاعر، وهيهات أن يجده، ومن ثم تجده باستمرار المتفاني في خدمة كل الناس بدلاً من شخص واحد.

وهوس السرقة cleptomania فعل قهري تدفع إليه رغبة لا تقاوم. ويتميز هوس السرقة عن اعتياد السرقة أنّ الفعل الأول لا مبرر له يأتيه المرء تلقائياً ويندفع إليه اندفاعاً، وعندما يُضبط يفاجأ أصحاب المسروقات غالباً بأنّ السارق من علية القوم ولا حاجة به إلى ما سرقه، وقد ينتابه الخوف الشديد ويُسقط في يده ويحار في تعليل إقدامه على السرقة. ويُضبط سنوياً الكثير من الأطفال والكبار يسرقون من المحلات العامة، وأكثرهم سيدات. والسارق قد يُلقي من بعد بما سرق، أو يعيده بالبريد، أو قد يحتفظ به كأثر فيتيشي (أنظر الفيتيشية) يعطيه لذة النظر ومتعة الجنس، وقد ضُبطت عند أحد السارقين مائتا حذاء نسائي، وضبطت عند آخر خمسمائة سروال حريمي، يختزنها جميعاً ويطالعها من آن لآخر ويسعد أيما سعادة بذلك ويستشعر لذة كالشبق، والسارق يشبق وهو يسرق، وفعل السرقة فيه الابتداء، ثم الذروة كالفعل الجنسي، وبعض السارقين ينعظون وهم يسرقون، والسارق يتوتر وينتصب للسرقة، ويحوم حول الشيء المسروق يداعبه بخياله ويخطط للنزو عليه، ثم تمتد إليه يده بسرعة ليخفيه فتكون قمة الإثارة، وبعد

ذلك يولي مدبراً فيكون الاسترخاء. وأكثر السارقين يمزون في السرقة. وتستبد بالسارق الرغبة الجنسية بعد إتمام فعلته، وتعرف الشرطة ذلك، ولذلك يفاجئون السارقين في المواخير وبيوت الدعارة. والمهووس بالسرقة كثيراً ما يكون فيتيشياً أي مصاباً بداء الأثرة، وهو أن يستعيض عن المرأة بشيء يذكر بها كالألبسة الحريمي، فإذا أراد الاستمناء فإنه يفعل ذلك وهو ينام على هذه الألبسة أو يرتديها أو يتحسسها بيد، ويذهب خياله خلال ذلك بعيداً كما لو كان يضاجع. ويشبه هوس السرقة هوس إشعال الحرائق pyromania، وكثيراً ما لا يكون إضرام النيران بسبب الانتقام، والغالب أن نشهد هوس إشعال الحرائق عند المراهقين، ويجتمع المراهقون حول النار وكلما زادت يتنامى هياجهم، ومن السهل لو كانوا عراة أن نتبين أنهم ينتصبون وينعظون، وقد يستمنون بالأيدي. وكذلك الهوس بالسرقة فهو يستشعر لذة جنسية طاغية من فعل السرقة. وقيل إنّ ٩٠٪ من حالات هوس السرقة التي تُضبط لنساء، وتفسير السرقة عندهن أنها فعل ذكوري تأتيه المرأة التي تستشعر النقص، وقد ران في أعماق لاشعورها أنها أُخصيت وهي صغيرة فتنتقم من الرجال بالسرقة وكأنها تخصيهم. ويمثل الشيء المسروق القضيب فهي تستحوذ عليه ليكون لها عوضاً عن القضيب الذي حرمت منه، وكثيراً ما تكون المسروقات أشياء تصلح للرجال أو تشبه الأعضاء الجنسية للرجل. وتواتر سرقة مثل هذه الأشياء برغم عدم حاجتها إليها هو الذي يميزها كمريضة بداء السرقة وليست مجرد سارقة عادية.، ومن النساء من يسرق أشياء نسائية من مقاسات معينة لا تصلح لها، ويجعلها ذلك من ثم أقرب إلى اللواطة، إذ أنها تعرب عن رغبات جنسية مثلية نحو نساء لهن مواصفات خاصة. وداء السرقة عند النساء لهذا السبب هو المقابل للفيتيشية عند الرجال، ومثلما يسرق الفيتيشي أو يشتري أشياء نسائية يشبع بها رغباته الجنسية، فكذلك بعض النساء المريضات بالسرقة.

والسارق، رجلاً أو امرأة أو مراهقاً، يسرق بسبب إحباطات منذ المرحلة

الفمية أو الشرجية أو القضيبية من مراحل تطوره الجنسي النفسي، فالحاجات التي لا تشبع في أي من هذه المراحل تظل معه وتلح عليه وقد تدفعه إلى أن يسرق ما يشبهها طالما أنه لا يستطيع أن يحصل عليها من خلال القنوات الشرعية. وترمز المسروقات إلى المنصرفات الطبيعية التي كان يمكن أن يشبع بها حاجاته، غير أنّ تكرار السرقة دليل على أنّ حاجاته موجودة دائماً ولا تشبع.

ويذهب بعض المحللين إلى أنّ داء السرقة هو طريقة عنيفة للإشباع الجنسي، ويشبه فعل السرقة الاغتصاب، ولذلك فإنّ الكثيرين من المرضى بالسرقة من الذكور يتحولون إلى ممارسة الاغتصاب على الحقيقة. ويبدو من دراسة أغلب حالات المغتصبين أنهم نشأوا في بيئة السرقة فيها سلوك عادي... وربما كان المراهق الذي يستغفل النساء خصوصاً وينشل حقائب أيديهن مدفوعاً بدوافع جنسية لا يستطيع أن يشبعها مباشرة لسبب أو لآخر، فيلجأ إلى فتح الحقائب ويغتصب أثمن ما فيها، ولنلاحظ دلالات «يفتح» و«أثمن» ما «الحقيبة»، وكلها دلالات جنسية، وكأنه يفتح المرأة ويغتصب بكارتها. وكذلك الذي يهوى دخول البيوت من النوافذ وسرقة الألبسة النسائية، والنافذة رمز جنسي. وأيضاً ما نسمعه عن المراهقين الذين يركبون الدراجات البخارية ويخطفون السلاسل الذهبية من فوق صدور البنات، فلا يمكن أن تخفى علينا المعاني الجنسية لهذا الفعل، حيث الذهب على الصدر ليس إلاّ رمزاً للثدي. ولعله لذلك يطلق بعض العلماء على داء السرقة اسم الاستيلاء المشحون بالجنس sexualized taking، والسارق لا يستولي على ما يستولي عليه بهدف اقتصادي كما قلنا ولكنه كأنما يستولي على المرأة ويضاجعها، فهو يأخذ ما يذكّره بالجزء من جسمها الذي يهواه منها ويريده ليشبع رغبات جنسية فيه، أو ليشبع حاجات فمية تثبتت عنده ولم تشبع من المرحلة الفمية وموضوعها الثدي. والسرقة عدوان، والسارق سادي، وبعض السارقين يستخدمون العنف ويلجأون إلى استخدام الأسلحة كالسكاكين والمدي

والخناجر، وبعضهم يغالي فيوجه المدية إلى جسم المرأة في مواضع حساسة منه، وقد يدخل سكينه في فرجها أو يطعنها في ثديها أو بطنها، وتلك أفعال اغتصاب واضحة، الخنجر فيها أو السكين بديل عن القضيب، ولا يفعل السارق ذلك إلاّ في حالة غياب انتصاب قضيبه فيستعيض عنه بالخنجر يولجه في فرج المرأة. وقد يسرق السارق سيارة ويركبها لبعض الوقت ثم يتركها. ويبين الجانب الاستحواذي القهري لهذا الفعل من التكرار الذي يكون عليه هذا العمل. والسارق تستهويه السيارة بجمالها وبجدّتها، وقد يتحدث عنها كما لو كانت فتاة، واستيلاؤه عليها غزو واغتصاب جنسي ويستشعر له لذة الاغتصاب، وهو يركبها وكأنها فتاة، ويقودها ويحركها ويناور بها، وتبلغ به اللذة آنذاك أوجها كما لو كان يمارس الفعل الجنسي، ثم يهدأ بالتدريج فيترك السيارة ويوّلي. وتعطيه سرقة السيارة شعوراً ذكورياً بالقوة. ويبدو أحياناً أنّ هذه القوة هي ما يحتاجه السارق المريض بالسرقة بالنظر إلى ضعفه الواضح حيال دوافعه وعجزه عن كبح جماح نفسه. وربما كان هذا العجز عن السيطرة على النفس أبلغ ما يكون عند المريضات بداء السرقة حيث تزيد بهن نوازع السرقة خلال فترة الحيض، حينما تكون المرأة ضعيفة الإرادة خائرة القوة واهنة العزم، وتحتاج إلى الرعاية وإلى أن تعامل بعطف. وبعض النساء ممن يعانين من الجوع العاطفي أو الجوع الجنسي تشتد بهن الرغبة في السرقة تعبيراً عن هذا الجوع وتلمساً لإشباعه، وربما كانت المرأة التي تحيض وتسرق تريد أن تعوض بالسرقة ما تفقده بالحيض.

وهوس إشعال الحرائق pyromania نزوع لا يقاوم لإشعال الحرائق وإضرام النيران، قيل هو ضرب من الوساوس القهرية وشكل من أشكال الحواز يرجع في المحل الأول لطبيعة سادية وميول عدوانية وانفعالات تجيش بالكراهية تدفع بصاحبها إلى تدمير الملكية الخاصة أو العامة بهذه الطريقة، إما تعبيراً عما في نفسه من مشاعر، أو تحدياً للسلطة أو الشرطة أو القوى الاجتماعية الكبرى، والتي ترمز عنده لا شعورياً للأب أو

سلطته، وأكثر ما يصاب بها الأطفال بين سن السادسة والرشد، وغالباً ما يكون الحدث منحرفاً يحفل تاريخه بالهروب من البيت والمدرسة، وكثيراً ما يكون أمثال هؤلاء الأطفال محرومين عاطفياً، وينحدرون من عائلات مفككة، وينتشر بينهم التبول الليلي، ولا تخفى العلاقة بين التبول (الماء) والحريق، أو المشابهة بين الإحليل وخراطيم الإطفاء، والنار دائماً رمز للشهوة، ونحن نقول إنّ للحب ناراً ولهيباً، ونصف الغيرة بأنها حارقة، وكلها صور من اللاشعور تشير إلى المعاني الجنسية التي للنار. وقد يكون إضرام النار بديلاً للإشباع الجنسي المباشر فيما يسمونه الفيتيشية fetishism، فما لا يستطيع المريض بهوس الحريق امتلاكه مما له علاقة بالجنس، يحرقه بنار كنار رغبته الجنسية، فمثلما تحرقه نار رغبته فإنه يحرق هذا الشيء، أو أنه يحرقه فيمارس عليه سلطته وكأنه يخصه فيتحكم فيه بالإيجاد أو الإعدام كما يشاء. وعلى أي حال فلا شك أنّ لإشعال الحرائق غلمة، والمريض بإشعال الحرائق كلما واجهته مشكلة أو موقف لا يستطيع التعامل معه، أو كلما استغضب يهيج، ولكنه لا ينتصب، ولكي ينتصب ويستطيع أن يمني يُشعل الحريق، ومع تنامي النار يزيد هياجه فيمني أو يستمني بيده، وإمناؤه أو استمناؤه شبيه بالاضطراب الجنسي الذي يكون بالبعض فيجعله حساساً من الناحية الجنسية في إحليله، ويجد لذة في التبول، فكلما تهيج جنسياً تبول، وقد يضرم النار ويجد لذة في إطفائها بالتبول عليها، وبعض البدو بهم هذا الانحراف، ويأتون هذا الفعل كلما أطفأوا النيران التي يشعلونها للطهي أو لغيره، وتشاهد عليهم لذة لذلك، وقد ينتصب الرجل وهو يطفئ النار ببوله، وقد يضاجع بعدها. والإمناء أو الاستمناء باليد بعد إضرام الحريق كالتبول على النار الذي يكون بالبعض فعلاً قهرياً متواتراً، وكلاهما من الأفعال التي يختص بها الذكور دون الإناث. وإذا كان هوس إشعال الحريق قد تأتيه بعض الإناث فإنه قد تبين أنه في مقابل كل مئه ذكر من الذين بهم هذا السلوك، فإنّ أربع عشرة أنثى فقط يمكن أن تأتيه. والمرأة التي تحرك مشاعرها النيران غالباً ما تكون

مصابة بالبرود الجنسي، والنار تستثيرها للتبول، والبرود الجنسي يجعلها تعيش هياج الشهوة بخيالها، ويربط ذهنها بين اشتعال النار واشتعال شهوتها، ومع تنامي النار تزيد بها الشهوة. وكانت الروائية جورج صاند تقول إنّ النار تستثير فيها الرغبة وتجعلها تكثر من التبول، وهي تقرن بين اشتعال الرغبة والميل إلى التبول. ومن رأي جماعة التحليل النفسي أنّ إشعال الحرائق يرتبط بالشبق الإحليلي وله علاقة شعورية أو لاشعورية بعدم التحكم في البول، وأنّ هذا الارتباط وتلك العلاقة يدل عليهما هذا «الحرقان» الذي يستشعره الكثيرون خلال التبول، والإحساس الحارق في الفرج والقضيب خلال الهياج الجنسي، والميل إلى التبول مع الانتصاب. ويمكن أن تكون القوة التدميرية للنار رمزاً للطبيعة القوية للدافع الجنسي.

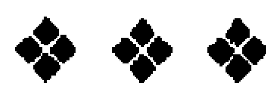
وهوس راي Ray s mania هو الجنون الأخلاقي moral insanity وانقياد الإرادة للأهواء، فيرتكب الشخص مختلف الجرائم وكأنه مغصوب على ارتكابها، ومنها الاغتصاب والدعارة والقوادة وإدمان المخدرات، وقالوا فيه إنه هوس بدون هياج manie sans delire بمعنى أنّ المريض به ينحرف بميوله الأخلاقية ودوافعه ومشاعره ومزاجه والعادات الاجتماعية عن مسارها الاجتماعي دون أن يرافق ذلك اضطراب ملحوظ أو نقص واضح في القوى العقلية للمريض، سواء في إدراكه أو تفكيره. وأطلق عليه آخرون اسم الخبل الأخلاقي moral derangement بمعنى أنه فطري تصاب به الملكات الخلقية بسبب عيب أساسي في التنظيم العقلي لهذه الملكات. ويدرج الجنون أو الخبل الخلقي ضمن مصنف الهوس الانفعالي، بدعوى أنّ المجنون أو المخبول من هذا النمط يرتكب ما يرتكب من جرائم جنسية وغيرها لأسباب لا يعرفها هو ولا يفهمها الآخرون، ومن ثم فقد يكون الدافع إلى ارتكابها دافعاً غريزياً انفعالياً لا يستطيع مقاومته.

وهوس الصور جنون بالصور أو بتشكيلها بالتماثيل والأيقونات وخاصة لموضوعات دينية أو جنسية، ثم عبادتها وتقديسها، وربما كانت رموزاً لشخصيات لها اعتبارها عند المريض. ومن ذلك

هـوس الأوثـان idolomania H, أو جنـون التعبد، وقد يقصد بالوثن مدلوله فعلاً، وقـد يعنـي بـه فكرة أو مبدأ يصنعه أو يصوغه صاحبه ثم يتعبده ويجعله يتحكم فيه. وقد يكون الوثن ما يسمى بالفيتيشي fetich وعنـدئـذ يـكون هـوس الأوثـان هـو الفيتيشية أي عبادة وتعشق المريض شيء مـن مـتـعلـقـات الـمـرأة بـعـامـة (راجـع الـفيتيشيـة). ويـؤلّه الـمريض بـالفصـام الـموجودات الـمادية مـن حوله ويضفي عليها الحياة ويشخصنها ويخاطبها، وفي بعض الحالات العصابية قد يتعشق قفاز حبيبته أو حذاءها كبديل لها.

وهـوس الـنشـوز machlaenomania ، يـقـال نشـزت الـزوجـة إذا اسـتـعـصت وأساءت العشرة، وجنون النشوز هو أن تهوى المرأة من رجلها أن يسيء إليها ويعذبها ويوقع بها الأذى، وتحتمل منه ذلك بل وتقبل عليه، وقد تتلهف منه على سمـاع شتائم معينـة. وقيل فـي تفسير ذلك أنّ المرأة ربما لاقت في طفولتها معـاملـة سيئة من أبيها واستـدمـجتهـا وأصـبـح طـلـبـهـا لـلقسـوة اجـتـراراً أو استعادة لمواقف الطفولة، أو ربما كان إلحاحها على الألم تتحمله حاجة منها إلى العقاب وتكفيراً يرضي الأنا الأعلى عندها الذي هو صورة للأب، وما يعتمل في نفسها ليس إلاّ رجعاً لما كان يعتمل فـي نـفسهـا فـي الـطـفـولـة مـن رغـبـات محرمة نحو الأب تجعلها تستكين له حتى لـتغريه بضربها أو تستعديه عليهـا، تكفيراً عما تشعر به من رغبات محرمة تجاهه.

وهـوس الـتـرحـال poriomania دافع قـهـري لـلسفـر، وكـأن الـمـرء ذاهـل عـن نفسه، والـكثير من الـجرائم الـجنسية وخاصة الاغتصاب تُرتكب من أشخاص يـعـانـون مـن هـذا الـهـوس، وهـو بـخـلاف هـوس السـفـر erotodromomania الـذي يُدفـع إليـه الـبعض هـربـاً مـن الـمواقف الـجنسيـة الـمؤلـمـة، وكـثيـراً مـا نـجـد الـمـحـبـيـن إذا فشلـوا فـإنـهـم يـهـربـون بالسفر.



- ٣ -
الغلمة Satyriasis; Nymphamania

الغلمة هي شدة الشهوة تكون بالذكر كما تكون بالأنثى، وينسب الإغريق الغلمة الذكورية Satyriasis إلى الإله ساطير من آلهة الغابات عندهم ويشبهونه بالفرس الشبق، له ذيله وأذناه، وينسبون الغلمة الأنثوية Nymphamania إلى الحورية Nymph وكانت إلهة من إلهات الغابات أيضاً، قيل إنها كانت تغوي الرجال وتضاجعهم إلى أن يرهقوا ويصابوا بالجنون.

ويقال غلم الرجل إذا هاج وغلبته شهوته فما يرتوي، والغليم satyr هو الشديد الغلمة، والأنثى غليمة nymphomaniac.

وقد نسمع عن خلفاء جمعوا من النساء أجملهن وكانوا يضاجعونهن فرادى وبالجملة، ومن هؤلاء هارون الرشيد، ونسمع أيضاً عن أنبياء لبني إسرائيل ذُكروا في التوراة أنهم كانوا يقتنون من النساء بالمئات وكانوا يحبون الجماع وبهم هذه الغلمة، كالنبي داود. ونقرأ في ألف ليلة وليلة عن قصص كهذه عن نساء كن شديدات الغلمة وبهن هوى غالب للضراب. ومن خطل الرأي أن نقول عن أحد الناس أنه غليم لأنه يفرط في الجماع، فالإفراط من عدمه مسألة نسبية. ولا يوجد المعيار الذي نقيس إليه ونميز به بين المفرط والسوي والمقل. والناس يتباينون في قدراتهم من جميع الأعمار ابتداء من المراهقة وانتهاء بسن الثمانين وما بعدها. وقد يجامع الرجل مرة في الأسبوع، وقد يغالي فيجامع أكثر من خمس وعشرين مرة في الأسبوع. ومن رأي كينزي أنّ نسبة المكثرين من الجماع بين الرجال في السن قبل الثلاثين نحو ١١٪ ثم تتناقص النسبة إلى نحو ٧٪ مع تقدم السن. والرجل قد يجامع زوجته أو تكون له علاقات بأخريات خارج نطاق الزوجية، وكذلك فإنّ المرأة قد تطلب الجماع بلا حدود، ومع أنّ الرجل محكوم بالانتصاب، ولا بد من وقت ينقضي بين الجماع والجماع ليعاود الانتصاب، فإنّ المرأة على العكس قد تستمر تجامع

وتنعظ على التوالي دون حدود إن لم يصبها الإرهاق.

وقد تكون للغلمة أسباب عضوية، وقيل إنّ تلف اللوزة amygdale أسفل الفصين الجبهيين من المخ نتيجة لمرض يلم بالمخ، أو في عقابيل جراحة مخية، قد يظهر أعراض الغلمة، ومع ذلك فليس ثمة ما يدل على أنّ الغلمة تعني أن يكون الغليم مصاباً في مخه. وتبدو أكثر حالات الغلمة لا بسبب عضوي ولكن كإشباع تعويضي عن إحباطات في الحياة، فعندما لا يجد الرجل أو المرأة إشباعاً لحاجاته أو حاجاتها العاطفية والمادية والاجتماعية فربما يتحول إلى الجنس يطفئ به ظمأه الذي لم يرتو من العواطف أو حاجاته الأخرى التي لم تشبع.

والغلمة في نظرية التحليل النفسي دافع شاذ يستنفر الغليم باستمرار إلى السعي للجماع دون تمييز بين امرأة وامرأة. والغليم لا يرتبط بامرأة ولا بزوجة، ولا يخص امرأة بحب، وهو يشتاع دائماً، بمعنى أنه يأتي النساء بصرف النظر عما إذا كانت المرأة التي يأتيها زوجة أبيه أو أخيه أو صديقه أو جاره.

ويذهب بعض المحللين النفسيين إلى تفسير سلوك الغليم بأنه إنسان مصاب بلواطة كامنة تلح عليه، ويجهد باستمرار أن يدلل لنفسه لاشعورياً على أنه رجل، وأنه رغم هذا الميل اللوطي الذي يحاول أن يفسر عن نفسه فيه فإنه ما يزال الفحل الذي يجامع ويكثر من الجماع كما لا يستطيع رجل آخر. ويروي التاريخ قصصاً كثيرة لمن يسمونه باسم زئر النساء، وهو الذي يطلبهن دائماً كما يطلب الفحل الضراب، وهو الدون جوان وكازانوفا، والأول به رقة النساء وله قوامهن ولذلك فهو يريد أن يثبت ذكورته باستمرار، وقيل إنه مصاب بعقدة ذكورة فتراه ينحو إلى الغزو والفتح وإيقاع البنات والنساء في شَرَكه، ويحبك الخطط لذلك وكأنه القائد يهوى الفتح، وأن تسلم له النساء كما تسلم المدن للقائد، إظهاراً لذكورته، والثاني كان قبيح الشكل إلاّ أنّ به جرأة على النساء تعوضه عن شكله، ويبدو أنّ شكله هذا كان ينفر منه أمه في صغره فتحوّل بسبب ذلك إلى كل نساء العالم ينتقم منهن ويفسق بهن ويستحل الحرمات ويعبث بالأعراض، وهو

في كل ما يفعل بالنساء يهدف إلى أن يجعل منهن غوانٍ، وربما كانت به رغبات شبقية بأمه رغم قسوتها عليه، أو ربما كان يتمنى لو يفسق بأمه كنوع من رد الفعل على قسوتها، وهو ما لم يتحقق له فيعوض عنه تعويضاً يستنفد الكثير من طاقته النفسية، ويتوهم أنّ كل النساء أمه ويغرر بهن، وفي ذلك إظهار للسيطرة ولو في صورة مرضية.

وزئر النساء من نوع الكازانوفا كاذب مع كل النساء إلاّ مع البغي أو الغانية لأنه من نمطها، وإن بدا أحياناً أنه من علية القوم، والبغي والغانية مَثَل للمرأة التي تنتقم من الرجال لما عانته من فشل وإحباط في علاقتها بأبيها في طفولتها، وكأنّ البغي هي المقابل للكازانوفا في دنيا النساء، أو كأنّ كازانوفا هو البغي في دنيا الرجال.

وقد تكون الغلمة في بدايتها تقليداً واقتداء بأنماط محل اعتبار من الغليم، وقد يقتدي الغليم بأحد الأبوين أو بصديق أو بنجم سينما أو بطل قصة، وربما يكون سلوك الغليم محاولة لإثبات استقلالية شخصيته، أو ممارسة لشعار الحرية الجنسية، أو مباهاة بالفحولة والقدرة على الغواية، وقد يصبح التقليد عادة متأصلة. وقد تكون نشأة الغليم في بيت سوء فيكبر وتنمو معه رغباته وشهواته والعادات التي يعتاد على أن يشبعها بها، أو قد يتربى في بيت دين وبين أسرة محافظة فيتمرد على التقاليد ويضرب عرض الحائط بالأخلاق ويغالي في ذلك ويفرط.

وقد يأتي الغليم النساء كمهرب من مشاكله ويعتاد على إتيانهن. وقد تدفعه شهوته الملحة إلى أن يشتاع النساء، أو أن ينقلب إلى اللواطة ويدمن المخدرات. وقد تستحيل الغليمة إلى فاجرة شبقة تتسقط الرجال، وهي التي يقال عنها الهلوك، ومعظم النساء من هذا النوع بغايا يوصفن بالبرود الجنسي أو ما يقال عنّة النساء. ولا ترتوي الغليمة البغي أو العنّينة بالجماع ولا تبلغ الهزة فيه، وربما ترجع عنتها إلى كراهية لاشعورية بها لجنس الرجال، مردها تجارب الطفولة أو على الخصوص مواقفها من أبيها التي يقال لها المواقف الأوديبية. وقد تكون المشاعية الجنسية التي تحياها وسيلة

دفاعية تلجأ إليها لكبت هذا الصراع المزمن عندها بين الانفعالات المتناقضة إزاء جنس الرجال، والتي أساسها الصراعات الأوديبية التي كانت تحتدم داخلها تجاه أبيها بين حب وكراهية له، ورغبة فيه ونفور منه، وهي الصراعات التي عاشتها في طفولتها ولم تحسمها أبداً وعممتها من بعد على كل الرجال.

وقد تشتد الغلمة ببعض النساء ويقال لها جنة النكاح grave nymphomania، وقد تتوجه الغلمة بالمرأة إلى النساء من جنسها، والغلمة النسوية المثلية homosexual n. هي أن تشتهي المرأة المرأة وتسرف في اشتهاء النساء، وكانت سافو الشاعرة المشهورة بهذا الانحراف الجنسي تضاجع نحو العشرين امرأة في اليوم الواحد وتختارهن من بين الحسان ورقيق الفيد من الفتيات. والنقيض للغلمة النسوية المثلية هو أن تشتهي المرأة الرجال دائماً وباستمرار، ويقال لذلك الغلمة النسوية الغيرية heterosexual n.. وقد يطلق على الغلمة المثلية اسم الغلمة النسوية المعكوسة inverted n. لأنها بدلاً من أن تتوجه إلى موضوع من الجنس الآخر تكون مقلوبة فتتوجه إلى موضوع من نفس الجنس.

وقد تكون الغلمة نشيطة active n. تدفع بصاحبتها أن تسعى للإشباع الذي لا يأتي أبداً، أو تكون غلمة إسمية platonic n. فتعتمل الشهوة بنفس المرأة وتستبد بها ولكنها لا تنصرف إلى مجامعة الرجال بل تمارس العادة السرية وتسرف فيها، وتتمثل رجلاً بعينه تطالعه بخيالها، وآخر قد تخاطبه وهي تستمني، دون أن تتورط في علاقات حقيقية تفضحها وتكشف عن شهوتها.

والغليمة لها بنية مهزولة خريعة، والعرب يسمونها الهجول لأنها ذات متاع طويل وواسع، ومن صفاتها أنها قِعرة لا تكتفي إلاّ بالمبالغة في الولوج، وقيل قعرة لأنها تجد الغلمة في قعر فرجها، وقيل إنها يُسمع لها صوت عند النكاح ويسمونها لذلك الخبوق، والخبق هو الصوت، وقيل هي تزخ الماء عند الجماع ولا تشبع من الجماع قط، وقيل هي المصوص التي يمص فرجها قضيب الرجل وماءه جميعاً،

وهي الحارقة التي تقمط من شدة الشبق. ووجه الغليمة مسفوط دائماً، وصوتها به جرأة وله رنة فاجرة، وهي كثيرة الحركة، نزقة، ماجنة إذا ضحكت، جهور أي قليلة التستر، ومغناج أي تكثر الغنج أو المجون في النكاح. وقيل أيضاً في الغليم النكاح المربع الذي لا يلبث أن يعاود المرأة، وهو الفِهر الذي يتحول من امرأة إلى أخرى قبل أن يفرغ، وإذا جامع يتمأز أي يشتد نعظه ويمتد، وقيل له غُرمول ضخم، وقيل بل هو الصغير الضامر فإذا انتشر عظم، وهو الشديد العتر والبطيء الفتر والقليل القطر، وقد يكون واسع الصدر ضامر الكشح عضلي التكوين ممصوص الوجه، وهو الضاحك الماجن، والخبيث الفاجر، والداعر الفاحش المعترض للنساء.

ويقدم تنيسي وليامز في مسرحيته «قطة فوق سطح قصدير ساخن» دراسة متعمقة في نفسية الغليمة ويحيط بظروفها وبنيتها وماضيها وحاضرها.

والغلمة تكون بالجماع أو ببدائل الجماع، ففي غلمة الصو[illegible] iconolagny أو شبق الرسوم تكون الل[illegible] الجنسية المتحصلة من اقتناء الصور وتأملها، أو تكون الإثارة الجنسية بالرسوم. ويقتني الغليم مكتبة كاملة من هذه الصور يشبعه جنسياً أن يطالعها، ويقضي بينها الساعات، وينتقل بينها وكأنه يجامع المرأة تلو المرأة، والغالب أنّ هذه الغلمة تكون بالإضافة إلى انحراف جنسي آخر وهو هنا التطلع بالنظر سواء بمشاهدة الأجساد العارية أو تأمل مشاهد الجماع.

وفي غلمة السرقة cleptolagnia تكون الرغبة في السرقة وإتيانها إلحاحاً ممضّاً، ويصاحب فعل السرقة هياج جنسي. وقيل إنّ السرقة التي ليس لها ما يبررها شكل بديل من أشكال الإشباع الجنسي يدفع إليه الكبت أو الحرمان الجنسي. والسارق الغليم يتلذذ بأنه ينزل الأذى بالغير ويحس لذلك بشبق إيلامي يطلق عليه اسم غلمة الألم algolagnia، وهي التلذذ الجنسي من الألم سواء بإيقاع الأذى بالناس واستحداث الألم بهم وهي الغلمة السادية، أو بتلقي الأذى من الغير والتلذذ بالألم يوقعه الغير على المتلذذ وهي الغلمة الماسوشية، والأولى يقال لها غلمة الألم الإيجابية، والثانية غلمة الألم السلبية.

وغلمة النار pyrolagnia انحراف جنسي المريض به يستثار شبقه لدى رؤية النار مشتعلة متأججة، وربما تكون هناك إحالة بين أوار النار وأوار الشهوة المعتملة في جسده. ويصف البعض الحب بأنه نار تأكل الجسد، ويقولون عن العاشق إنه يصلي بنار الحب. وقد تكون للحرائق غلمة، وربما يشبعها لدى المنحرف إشعالها، وربما كانت تلك حال نيرون وهو يضرم النار في روما، وهي حال الكثيرين من مثيري الفتن ومشعلي الحروب.

وغلمة الروائح osphresiolagnia لذة عارمة يستشعرها البعض لروائح معينة، وغليم الروائح تنشأ معه هذه الغلمة من الصغر وترتبط بخبرات جنسية. ويحكي فرويد عن أطفال يميزون الناس من روائحهم، ويكرهونهم ويحبونهم تبعاً لذلك، فإذا أحبوهم فلأنّ روائحهم تستهويهم، ومن ثم تراهم يتشممونهم ويتتبعونهم كالكلاب. وقد ننفر من روائح ويتربى عندنا وسواس من ناحيتها فننسب لأناس ما ليس بهم تبعاً لما نشمه منهم. وقد تكون هذه وسيلتنا أو حيلتنا لنعبر عن ميولنا السادية، أو ننسب السادية للمحيطين بنا ونتهمهم أنهم يطلقون أرياحاً، أو أنّ لأجسامهم روائح يتعمدون بها أن يضايقونا أو يغثونا أو يمرضونا ويقضوا علينا بها. وقد يتحول الغليم بالدافع السادي إلى نفسه، وينسب لنفسه أنه يتعفن من الداخل بدليل ما يطلق من أرياح نتنة أو ما لجسمه من رائحة كريهة (Worden et al: Nymphomania).

وغلمة الحيوانات zoolagnia لذة جنسية تتصل بمداعبة الحيوانات وباقتنائها، وقد يفرط البعض حتى ليقتني من الحيوانات العشرات، وقد نسمع أنّ سيدة كانت تقتني مائة قطة وتركت لرعايتها في وصيتها نصف مليون دولار. وغلمة مداعبة الحيوانات تكون بالأطفال وبالكبار، وقد لا ينام الطفل إلاّ إذا احتضن قطته أو كلبه، وربما يستعيض عن الحيوان بدمية كالحيوان تعطيه نفس اللذة. والبعض قد تبدأ خبرته الجنسية الغيرية بمواقعة الحيوانات، ويذكر كينزي أنّ مواقعة الحيوانات واللذة الجنسية المتحصلة منها ربما تكون في الريف أكثر منها في المدينة، وبين الفلاحين أكثر منها بين العمال والمثقفين، وربما كانت

لذة مواقعة الحيوانات هي اللذة الجنسية الوحيدة التي تتحقق للبعض بالنظر إلى تعذر أن يقيموا علاقة جنسية مع إناث الإنسان. وتتعشق بعض النسوة الحيوانات وأكثر ما يكون ذلك للكلاب، وقد يواقعن الكلاب، ومن أغرب تعشق النساء للحيوان ما قيل من تعشق امرأة لدب، وعلى كلٍ فذلك يدخل ضمن باب آخر هو باب جماع البهائم. وربما تتحصل الغلمة من الربت على الحيوانات وخاصة حيوانات الفراء، والغلمة هنا لمسية، أو تكون بالنظر إليه كالغلمة المتحصلة بالنظر إلى الخيل.

غلمة البغايا pornolagnia هي اشتهاؤهن، وغليم البغايا لا يطلب الجماع إلاّ إذا كان مع بغي، أو قد لا يشبعه الجماع إلاّ ببغي، وربما كان اشتهاء البغايا عن انحراف جنسي آخر، فتكون بالرجل رغبة جنسية مثلية كامنة فلا تظهر لواطته صريحة، ويطلب البغي لأنها موضوع طلب من الرجال، وكأنه باتصاله بها يتصل بأفراد من جنسه. وقيل إنّ الغلمة المتحصلة بإنشاء العلاقات بالبغايا ترضي خيالات البعض سواء من النساء أو الرجال، بالنظر إلى أنّ أوهام البغاء والإغواء هي أكثر ما يأتي المراهقين من أوهام، والكثير من المراهقات يتخيلن أنفسهن موضوع اغتصاب، أو يتخيلن أنفسهن بغايا، والكثير من المراهقين يتوهمون اغتصاب البنات أو النساء أو الاتصال ببغايا إظهاراً للفحولة وطلباً للتعيش على حسابهن. ولطالب البغي سيكولوجية خاصة، وهو مشاعي الجنسية وينفر من الارتباط ويعيش الحرية الجنسية، ولذلك تكون لقصص البغايا غلمة كما لصورهن غلمة.

وغلمة التطلع scopolagnia هي اللذة المتحصلة بالتطلع الجنسي على العرايا أو التبصص على مشاهد الجماع. وبعض المواخير تجعل هناك ثقوب في الأبواب لإشباع هذه النزعة لدى الزبائن الراغبين، والمتطلع ينتصب بالتطلع ويمني أو يستمني باليد. وغلمة التطلع توجد كعرض طبيعي أو كعرض شاذ، وهي كعرض شاذ يطلق عليها اسم التطلع الجنسي voyeurism (أنظر التطلع الجنسي). وقد تتحصل اللذة للمتطلع بالتطلع إلى نفسه في المرآة، وكان نرجس

في الأسطورة اليونانية يتلذذ بالتطلع إلى عريه في الماء، واستغرقه تطلعه واللذة التي تتحصل له منه فاندفع يطول صورته فمات غرقاً. وقد تكون لذة التطلع بمطالعة تعبيرات الغير وهم يطالعونك عارياً، أو وهم يتفحصونك inspectionism، وتتأتى حمرة الخجل من الخوف من أن يكتشف الآخرون ما يعتمل فيك من رغبات محرمة وميول جنسية. والتطلع الطبيعي هو لذة متحصلة بالمشاهدة أياً كانت، والمشاهدة تكون بالنظر، إلاّ أنّ مطالعة الأشياء يمكن أن يكون بالنظر وبأي حس، وبعض الناس تكون لذة التطلع عندهم أقوى بحس عن بقية الحواس، فقد يكون التطلع سمعياً فهو التسمع. والتسمع يمكن أن يكون جنسياً كما أنّ التطلع قد يكون جنسياً. والتطلع قد يكون شمياً فهو التشمم الجنسي، ويكون مذاقياً فهو التذوق الجنسي، ويكون لمسياً فيكون التحسس الجنسي، وتفسير ذلك أنّ الحس الأقوى يحدث له فرط حس .sensitization والتطلع الطبيعي هو الذي يرتقي ويتسامى عند البعض فتكون لذته المتحصلة جمالية (التطلع للصور أو رسم الصور) أو تكون معرفية (التطلع بالتعرف إلى مكونات الأشياء وماهيتها وهو أساس المعرفة والعلم).

وغلمة البراز coprolagnia لذة تتحصل بتناول البراز باليد أو مشاهدة براز الآخرين. وشبيه بها غلمة التبول urolagnia. وفي بعض اضطرابات الذهان قد يتناول المريض برازه أو يشرب بوله. وبعض المرضى يكنزون برازهم ويحافظون عليه كشيء ثمين. وغلمة البراز من بقايا المرحلة الشرجية وفيها تتركز اللذة في الشرج وتتحصل للطفل لذة شبقية من عملية التبرز وشقاها اثنان، الأول إخراج البراز والثاني استبقاؤه، وقد يتثبت أي من الشقين فتتكون سمات للشخصية إخراجية تتمثل في سماحة الطبع والكرم، او سمات استبقائية فيكون البخيل والاكتناز والانضباط والميل إلى الانطواء. وغلمة التبول من مخلفات المرحلة القضيبية عندما يكون الشحن الجنسي أقوى في القضيب من سائر الأعضاء، فتكون اللذة جنسية. والاستمتاع بالتبول قد يقترب من

الاستمتاع الجنسي، وبعض الناس ينتصبون مع التبول، والبعض قد يمني في الجماع الصحيح ثم يجد رغبة بعدها في التبول. وفي غلمة إشعال الحرائق تفسر اللذة المتحصلة من عملية إطفائها بالماء بأنها لذة تبوّل حيث الماء واحد في العمليتين، وبعض الناس يجدون لذة في إطفاء النار بالتبول عليها، وتشبه النار الرغبة الجنسية، والبول الذي يصب عليها كما لو كان المني (ماء الرجل) يقذفه الرجل إطفاء للرغبة.

ولذة البراز قد تكون بالبعض لذة بالكلام الجنسي القذر الذي يكثر فيه الشخص من ذكر الشرج والبراز والفرج والبول. والكلام الوسخ coprolalia عرض من أعراض الفصام حيث يثرثر المريض به كما لو كان يتناول بيده البراز يلهو به. ويذكر إرنست جونز أنّ الكلام البذيء coprophemia قد يكون فعلاً جنسياً خالصاً يكتفي به الشخص دون الجماع ويتوجه به للمرأة فكلما امتعضت زاد هياجه وزادت بذاءته، وقد يمني دون أن يدري أثناء ذلك (I Jones: International Journal of Psychoanalysis).

والغلمة النفسية psycholagny هي لذة التصور، وهو التصور الجنسي بتخيل مشاهد جنسية وأجسام عارية وأحاديث شبقية. ولذة التصور أو التخيل الجنسي هي التي تستحث الاستمناء باليد، وقد يمني المتلذذ ذاتياً من شدة الإشباق. (أنظر التطلع الجنسي وتعشق البراز وهوس إشعال الحرائق وهوس السرقة).



— ٤ —
اللواط
Sodomy

اللوطي sodomite هو الذكر يأتي الذكران، واللوطية أيضاً هي الأنثى تباشر الإناث، والأفضل أن نطلق على الاثنين اسم المثلي أو المثلية الجنسية homosexual، والمصطلح علمي، ويعنون به الميول الجنسية نحو الأمثال دون غيرهم، فالذكر يميل إلى مرافقة الذكور، والأنثى تهوى الإناث، من homo بمعنى المثيل. واللواط أصلاً انحراف جنسي

يختص به الذكور، فإذا قصدنا إلى ما يخص الإناث قلنا اللواط الأنثوي، ونعني به اللزبيانية lesbianism نسبة إلى جزيرة لزبوس الإغريقية، وكان نساؤها يساحقن ويشيع بينهن السحاق أو اللواط الأنثوي، شيوع اللواط بين قوم لوط في فلسطين، في بلدة يقال لها سدوم Sodom ومنها كان المصطلح Sodomy.

ولقد جاء ذكر قوم لوط في القرآن «ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون» (الأعراف ٨٠-٨١).

واللواط من أكثر الانحرافات الجنسية شيوعاً وأشدها إثارة للجدل، والآراء حوله متضاربة بين العلماء من أهل العلم والعلماء من أهل الدين. ويروى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه الفاعل والمفعول به» (رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن عكرمة عن ابن عباس). وفي سورة النساء «واللذان يأتيانها منكم فآذوهما، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما» (الآية ٢٦)، قيل إنها نزلت في اللواط يكون بين الذكور، مثلما نزلت الآية «واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً» في اللواط يكون بين النساء.

ويتناقض مع الموقف الديني السابق ما كتبه فرويد رداً على سيدة أمريكية أرسلت إليه تستفتيه في أمر ابنها اللوطي، وكان ذلك قبل وفاة فرويد بأربع سنوات فقال لها: فهمت من خطابك أنّ ابنك لوطي. وتأثرت منك أنك لم تذكري ذلك صراحة حيث تجنبت استخدام هذا المصطلح «لوطي». وربما سأسألك لماذا تجنبت أن تصفيه صراحة بهذا الوصف. إنّ اللواطة ليست شيئاً يمكن أن يفاخر به أحد، ولكنها أيضاً ليست شيئاً يمكن أن نستشعر منه الخزي. وليس رذيلة ولا هي بالشيء الذي يجلب على صاحبه العار، ولا يمكن أن ندرجها ضمن الأمراض، وإنما نحن نعتبرها اختلافاً في الوظيفة الجنسية يترتب على تعطل النمو الجنسي. والكثيرون من العصور القديمة والعصر الحالي كانوا يمارسون اللواط ولم يقلل

ذلك من احترام الناس لهم، ومن أبرزهم أفلاطون وميخائيل أنجلو وليوناردو دافنشي. ومن الظلم الفادح أن نقول عن اللواط أنه جريمة، ومن القسوة أن نسمها بهذه السمة، وإن لم تصدقيني فاقرئي كتب العلامة هافلوك إليس. ولقد سألتني ما إذا كان بإمكاني ان أساعدك، وكأنك تطلبين مني كما أظن أن أمحو اللواط من الوجود وأحل محله العلاقات الجنسية العادية بين الرجال والنساء. وجوابي على ما سألت أني لا أستطيع ذلك. وبرغم أني نجحت في عدد محدود من الحالات أن أنمي في اللواطي ما فيه من ميول نحو الجنس الآخر، إلاّ أني في أغلب الحالات عجزت عن إحراز أي تقدم. ويبدو أنّ نتيجة العلاج تتوقف على شخصية المريض وعمره، ومن غير الممكن التكهن بما ستكون عليه من نجاح، وما يمكن أن يفيده التحليل النفسي ليس هو بالضبط ما تطلبينه، فإذا كان ابنك تعيساً أو مريضاً بالعصاب، أو يعاني من الصراعات، أو لا يعيش حياته الاجتماعية بالشكل المطلوب، فقد يصالحه التحليل على نفسه ويعيد إليه السلام الذي يفتقده، ويجعله أكثر توازناً وأقدر على مواجهة الحياة سواء ظل كما هو لوطياً أو تغير...

ونلحظ أنّ فرويد ينبه إلى أنّ اللواط ليس عصاباً ولا يمكن اعتباره جريمة خلقية، ولا إثماً يحاسب عليه اللواطي، ولكنه في نفس الوقت يعترف بعدم جدوى أي علاج يقدم له، وينصح بنوع من العلاج مختلف، به لا يعود اللوطي يستشعر الخجل من اتجاهاته الجنسية، وينخرط في الحياة بكل طاقته من غير أن يشغل بمناقشة ما به ومُداراته عن الناس، فالأولى به أن يكون سعيداً بما هو عليه على أن يقضي عمره في محاولة تغيير نفسه، وذلك موقف تبنته المدرسة الوجودية في علاج اللواط بعد أن فشلت كل محاولات العلاج وتبين تعذر، بل استعصاء، هذا الاضطراب على كل أنواع العلاج، سواء النفسية أو السلوكية أو البيولوجية، برغم بعض التقدم الذي أحرزته بعض البحوث وإن كانت تحتاج إلى المراجعة، وذلك يرجح الحل الاجتماعي للواط والذي يطرحه الدين، فقد يكون في العقاب نوع من العلاج قد لا

تقره المذاهب النفسية صراحة، إلاّ أنها تقول بما يشبهه، فالعلاج بالتنفير يقوم على إيذاء اللوطي لرغباته خلال الجلسة بواسطة صدمة كهربية، وتشجيعه على العكس أن يتبنى رغبات سوية وينطبع بها سلوكه، ولم يثبت من المتابعة أنّ هذا العلاج قد أفلح نهائياً، في حين أنّ العلاج بالعقاب قد تواترت الأخبار منذ القدم بنجاحه، وإن كان ذلك يستلزم أيضاً الكثير من الوقت ويرافقه باستمرار علاج ديني مساعد.

واللواطة مشكلة عالمية. ولا توجد بلد أكثر من بلد، ولا جنساً أكثر من جنس فيما يخص انتشار اللواط، وإنما هو العرف قد يتغاضى أو يتجهم للممارسات اللوطية، ففي قوم لوط كان ذلك شيئاً عادياً حتى أنهم جملة لاحقوا ضيفيه، ويهول لوط ما يريدونه فيعرض عليهم أن يزوجهم من بناته، واستلزم إنقاذهما تدخل السماء، فأنزل الله بهم العقاب الذي ما تزال آثاره موجودة بسدوم حتى اليوم.

واللواط يمكن اكتشافه مبكراً في الأولاد، فالطفل تظهر عليه الميول اللوطية من نحو سن الرابعة من خلال الألعاب الإيهامية، غير أنّ العلامات الأكيدة تكون في نحو الرابعة عشرة عندما يتعلق بالأولاد الأكبر سناً، ولا يميل إلى الألعاب التي تتطلب احتكاكاً جسمياً، ويحب الملابس النسائية الداخلية والعطور الحريمي، وعادة ما يحصل عليها سراً من دولاب أخته الكبرى أو أمه، وذلك دليل كلينيكي على تعين بالأم يشابه ما يصنعه في سن الخامسة مثلاً عندما يجرب أن يلبس حذاء أمه عالي الكعب، وقيل إنّ هذا السلوك هو علامة على الاتجاهات اللوطية.

وفي سن الخامسة عشرة قد يستمر الولد في العزوف عن التعرف إلى البنات مع أنه ينبغي أن تكون به رغبات جنسية تدور حولهن، وان تهفو نفسه أن يحب، فإذا لم تكن هناك شكاوى من الولد بهذا الخصوص فقد يكون ذلك مؤشراً خطيراً، وهنا ننبه إلى أنّ بعض الأولاد قد يبدو أنهم غير مهتمين بالبنات، ولكن عدم اهتمامهم ليس بسبب الميول اللوطية وإنما عرض عصابي مداره الخجل.

واللواط لا يورث لسبب بسيط، هو أنّ اللوطي غالباً لا يتزوج، ومن ثم فلا فرصة هناك أن تكون له ذرية تأخذ عنه اللواط كسمة وراثية. وأيضاً فإنّ احتمال الوراثة أمر قائم فيما يخص الناحية الهرمونية، إلاّ أنّ ولادة طفل بخاصية هرمونية معينة لا تتحدد بها اختياراته الجنسية، فمثلاً ثبت أنّ الهرمونات الأنثوية تزيد عند المأبون بينما تزيد الهرمونات الذكرية عند المرأة اللزبيانية، ومع ذلك لا نستطيع الجزم بأنّ هذه الهرمونات الزائدة هي التي تدفع المأبون إلى ما يأتيه الذكران، أو أنها التي تجعل اللزبيانية تباشر الإناث. وكذلك قد يبدو أنّ للمأبون شكلاً جسمياً خاصاً وكأنه البنت، من حيث خلو الجسم من الشعر ورقة الصوت والسمت، ودقة الهيكل العظمي وسعة الحوض وامتلاؤه، وامتلاء الصدر، وذلك صحيح في ٣٠٪ من الحالات، إلاّ أننا أيضاً لا يمكن أن نقول إنّ تكوينه العضوي هو السبب في شذوذه الجنسي، مع أننا نعرف أنّ هذا التكوين هو الذي جعله يعزف عن أن يلعب ألعاب رفاقه الخشنة، وهو الذي جعلهم لا يشركونه معهم، وهذا الاجتناب من جانبه وجانبهم كان له أثره في انحراف سلوكه. والصواب أن نُرجع اللواط إلى الأسباب النفسية. وقيل إنّ اللواط اتجاه يترتب كدفاع نفسي ضد الخوف اللاشعوري من النساء، فيتحول الشخص إلى الذكور للإشباع الجنسي. وهذا الرأي هو خلاصة آراء أصحاب التحليل النفسي. ويتعين الولد الذي سيصبح لوطياً بأمه أو ببدائلها، ومن ثم سيكون عليه أن يبحث كموضوع لحبه عن شخص من بين الذكور، بينما الولد السوي يتعين بأبيه، ويبحث لنفسه عن فتاة يجعلها موضوعاً لحبه والولد اللوطي يبدأ معه الخوف من النساء مبكراً ويتعين بهن طبقاً لميكانيزم «التعين بالمعتدي»، وبسبب أمه المتسلطة وتحييدها لدور الأب في الأسرة يستقر في وجدانه أنّ الذكور لا خوف منهم، وإنما الخوف يكون دائماً من الإناث، بالإضافة إلى أنه ربما كانت هذه الأم المتسلطة تريد بنتاً وتعامله كبنت. وفي حالة البنت اللزبيانية يكون تعيّن البنت بالأب وبجنس الذكر.

والولد الذي ينشأ في بيت منحل خلقياً

يمكن أن يصبح لوطياً لو كان الأب كذلك، ولكن لا تأثير عليه إذا كان معنى الانحلال الخلقي أنّ هناك الكثير من السباب والتفكك العائلي والخلافات والنكت البذيئة والحكايات الجنسية، وذلك جو خلقي يقلل من المحرمات والمحظورات بالنسبة للصبي او البنت، ولكنه لا يجعل منه أو منها لوطياً أو لزبيانية.

والمأبون ليس دائماً كالبنت يتأود ويتقصع، ومن الصعب تمييزه إلاّ إذا كان متشبهاً أي يتصرف تصرفاً معاكساً لجنسه، كأن يسلك سلوك الإناث faggot behaviour، أو تسلك الأنثى سلوك الذكور dyke behaviour. والكثير من المأبونين رياضيون لهم هيئة رجولية، والقلة هي التي لها هذا السمت الأنثوي، وهو ما يجعل الكثيرين يقولون إنّ للمأبون شكلاً خاصاً. والواقع أننا جميعاً بنا عناصر جنسية مثلية وغيرية، وأننا نقترب من الأنوثة أو الرجولة بحسب غلبة أي من هذه العناصر. وهذا المكون الجنسي المثلي هو المسؤول عن الرقة ودماثة الخلق في الرجال، وكذلك فإنّ المكون الجنسي الغيري هو الذي يجعل الرجل يسلك ذكورياً ويدفع المرأة إلى التصرف كالرجل.

وغالباً ما تكون للوطي سمات نفسية، فمثلاً لا يحب المأبون أن يكون معتدياً، ويكره العنف، ويميل نحو الفنون الجميلة، ويطلقون عليه اسم «المرح» gay والحياة المرحة التي يختارها ليس فيها أن يهتم بالغد أو يكنز المال. والمأبون دائماً يحب الضحك والكوميديا والألوان البهيجة والموسيقى الزاعقة. والكثير من المأبونين يمتهن مهناً فيها هذا الاتجاه المرح، كأن يكون المأبون موسيقياً أو رساماً أو خياطاً أو حلاقاً للسيدات.

ولا شك أننا جميعاً بنا مكونات لوطية لاشعورية وذلك لأننا جميعاً ننحدر من أبوين أحدهما ذكر والآخر أنثى. ويذهب التحليل النفسي إلى أنّ حبنا لأحد الوالدين دون الآخر وإيثارنا لأخ أو لأخت دون بقية الإخوة والأخوات، يقوم على أساس لوطي، وهذا الأساس لاشعوري. ولعل هذه الميول الكامنة تظهرها الخمر عندما يجتمع عليها الأصدقاء، فبعد أن تذهب الخمر برؤوسهم تنفك عقدة ألسنتهم وتقل رقابتهم على أنفسهم

وتخرج هذه الميول في شكل أحضان وقبلات بينهم، وشكاوى يتحدث بها المأبون. وقد يتعلق الشاب برجل وتُظن العلاقة بينهما سوية أو قد تبدو كذلك. وقد تخرج اللواطة الكامنة وتعبر عن نفسها صراحة في إعجاب بعضنا بالرجل الأنيق أو المتحدث البارع أو الرياضي المتميز. ولا شك أنّ الرجل الكثير التندّر بحكايات المأبونين والمقلد لهم في حديثهم وحركاتهم أثناء سرد النادرة أو النكتة به لواطة وإن تكن كامنة. وقد تُخطب الفتاة فإذا اقترب موعد الزفاف فقد تفسخ الخطبة لميولها اللوطية الكامنة نحو جنسها والتي تجعلها تنكص عن إتمام زواجها. وقد يكون الخطيب له السمت المتأنث ويميل إلى اللواطة، فيرهب الزفاف لأنه سيفضح ميوله، ويتعلل بمختلف العلل ليؤجل الزواج أو يفسخ الخطبة. والكثيرون من الرجال الذي نسمع عن خطبتهم لمرات عديدة وفسخ الخطبة بعد الأخرى، يعانون من اللواطة الكامنة. وغالباً ما يكون للرجل صديق يستشيره ويأتمر بأمره ويعرف عنه الناس ذلك. وقد نسمع أنّ صديقاً يخون صديقه مع امرأته، ويعرف الزوج بالقصة وقد يتشاجر ولكنه يصنع ذلك في حدود بحيث تستمر العلاقة، وذلك لأنه لا شعورياً كان يرغب أن تكون هذه العلاقة معه هو وليس مع زوجته.

واللواط قد يجعل اللوطي عاجزاً جنسياً مع النساء ولكنه يأتي الذكران. واللوطي قد يتزوج بتأثير الضغوط الاجتماعية، وقد ينجب، وقد تجتمع فيه الرغبات في جنس النساء والرجال معاً، وقد يؤثر أيهما على الآخر، أو قد يؤثر في فترة أحدهما على الآخر، وقد يعاني هذا الشخص الثنائي الجنسية من الصراعات بين الاتجاهين في نفسه. ولربما يجعل العجز الجنسي الرجل لوطياً، وربما يكون العجز الجنسي مترتباً على اللواط، وغالباً ما يكون العجز الجنسي عرضاً عصابياً، وبعض المصابين باللواط يعانون من العصاب النفسي. ويصدق ذلك أيضاً على اللواط الأنثوي، إلاّ أنّ المرأة الباردة جنسياً نادراً ما يدفعها برودها الجنسي مع الرجال إلى ممارسة اللزبيانية مع النساء، وإذا فعلت

ذلك فلأنّ فشلها في الزواج كان بسبب ميولها الكامنة.

واللوطي لا يحب النساء، ولا يفهم بسبب إقبال الرجال على النساء، ويشكو من أن النساء يجذبن الرجال الذين يحب أن تكون علاقته بهم، فلا يتبق إلا أنماط أقل جودة. ويروي جان جانيه أحد مشاهير المسرح الفرنسي الحديث، وهو مأبون، انه كان لا يجد من يعجب به من الرجال إلاّ أنواع البحارة الذي يشكون من قلة المال وبهم عاهات أو تشوهات. وكذلك تكره اللزبيانية الرجال، إلاّ أنّ كراهية اللزبيانات للرجال أشد من كراهية المأبونين للنساء، وذلك أنّ اللزبيانية تنافس الرجل في العمل وتفرض نفسها عليه، بينما المأبون لا يمتهن مهن النساء ولا يدخل في منافسة معهن على العمل.

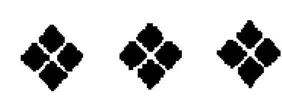
واللوطي قد يحب المأبون، وقد يغار عليه المأبون، وقد يكون حبهما أقوى من الحب السوي بين الرجل والمرأة، وذلك لأنه يخلو من هموم الزواج حول الأولاد ومستقبلهم. وكذلك قد تغار المرأة «الأنثى» على المرأة «الذكر» إلاّ أنه قد لوحظ أنّ الذكور في اللواط قد يملّون بسرعة ويحبون التغيير، بينما النساء في اللواط الأنثوي أكثر استقراراً، وبينما قد يبحث اللوطي يومياً عن شريك فإن اللزبيانية قد لا تكون لها علاقة بأكثر من امرأتين أو أربع طوال حياتها.

واللوطي يُشغل بالجنس أكثر من الأسوياء، والسوي قد يصرف طاقته في عمله، إلاّ أنّ اللوطي بحكم الحياة المرحة التي يحياها ليست له هذه الشواغل الدنيوية، وخاصة المأبون. وهو يرتاد تجمعات أمثاله أو يُدعى إلى حفلاتهم، ودائماً لديهم حفلات واجتماعات وسهرات. واللوطي عموماً لا يستقر على شريك واحد بينما اللوطية أو اللزبيانية قد تكتفي بشريكة واحدة.

ويبدو أنّ هناك علاقة بين اللواطة والإبداع الأدبي أو الفني طالما أننا كلما تعمقنا حياة الكثيرين من الشعراء والكتاب والمفكرين والرسامين نجد أنهم إما لواطتهم سافرة أو يصدرون فيما يبدعون عن لواطة كامنة. وتذهب مدرسة التحليل النفسي إلى تفسير الإبداع بأنه نتيجة للصراعات اللاشعورية التي تعبر

عن نفسها في العمل الفني او الأدبي، وهذه الصراعات جنسية وتميل إلى أن تطبع الأعمال الفنية والأدبية بطابعها الجنسي. واللوطي به الكثير من الاستعراضية، وذلك ما يجعله يحب الألوان الزاهية والسلوك أو المشية التي تلفت إليه الانتباه. ومجال الأدب والفن هو من المجالات التي قد يمارس فيها اللوطي استعراضيته، ولهذا يمتهن الكثير منهم مهنة التمثيل، أو عرض الأزياء، أو الخياطة. وتعجب سيمون دي بوفوار من تفشي اللواطة بين أوساط الفنانين. واللواطة هي التي تجعل الرجال يبزون النساء في المجالات النسائية كالخياطة والطهي، فأعظم الطهاة والخياطين هم من الرجال ويشتهر عنهم اللواطة. وقد نحسب لهذا السبب أنّ اللوطي أكثر ذكاء من غيره وهذا غير صحيح، وإن كانت حياة اللوطي المرحة وشطارته كمحدث وممثل تجعلنا نُبهر به ونحسبه أذكى، إلاّ أنّ نمط حياته والأحاديث التي يتقنها إنما هي في الواقع لا تصدر عن تفكير أعلى بقدر ما تصدر منه كدفاع ضد نبذ المجتمع له.

وعلاج اللواط صعب، ويكاد يكون بلا نتيجة ويستغرق وقتاً، ولا يجدي العلاج بالتنويم، أو بالإيحاء، أو بالإقناع. والعلاج العملي الوحيد هو العلاج النفسي العميق للكشف عن الصراعات العميقة في حياة اللوطي. والعلاج الجماعي باجتماع عدد من أصحاب الممارسات اللوطية تحت إشراف المعالج لمناقشة حياتهم ومشاعرهم واهتماماتهم، غير أنّ اللوطي وحده لا يمكن أن يطلب العلاج وإنما هو يُدفع إليه بضغط من أقاربه، ولهذا لا يجدي العلاج معه، بمعنى أنّ أي علاج نفسي لن يكون بهدف تغيير أسلوب التعبير الجنسي عنده، وإنما يساعده العلاج النفسي ليقلل من قلقه وتوتراته وإحباطاته وشعوره بالقصور، ويجعله أكثر كفاءة وتقبلاً لحياته بحيث تزيد ثقته في نفسه، ويزيد إقباله على التفاعل اجتماعياً مع الناس. وأحياناً يلجأ المعالج إلى وسائل كالعلاج المهني والعلاج بالصدمة والعلاج بالهرمونات (أنظر الجنسية المثلية واللواطة النسوية).



– ٥ –

اللواطة النسوية

Lesbianism

قيل إنّ امرأة تدعى سافو كانت تقرض شعراً في القرن السابع قبل الميلادي في إحدى جزر اليونان ببحر إيجه يقال لها جزيرة لزبوس، وكان شعرها يتغنى بحب النساء وغرامهن. وقيل أنّ سافو هذه كانت تجمع القيان والحسان وتواقعهن مواقعة الذكر للإناث، وأنّ شعرها ذاع لذلك كما يذيع الأدب المنحل، يتندر به الرجال في مجالسهم، أو تتهامس به النساء، وصار اسم لزبوس علماً على هذا الانحراف الجنسي فيقال اللزبيانية نسبة إلى لزبوس، ويقال أيضاً السافية saphism نسبة إلى سافو Sapho، وليس ما يمنع أن يشيع الاسمان في العربية فقد شاع اسم اللواط نسبة إلى قوم لوط الذين كانوا يواقعون الذكران.

وقيل إنّ النساء في جزيرة لزبوس Lesbos كن أكثر من الرجال، وأنّ الزواج عزّ فيها، وأنّ البنات كن يكبرن في العمر بلا زواج حتى يعنسن، وأنّ سافو تصرفت في حدود ما يمكن أن يفعله أي إنسان: في ظروف غير مواتية تجعل سلوكه يشذ أو ينحرف، وأنه في مجتمعاتنا الحديثة وفي أوقات الحروب بالذات ينتشر اللواط بين الذكور في التجمعات الذكورية كما في الجيوش أو السجون، وذلك لأنّ اللواط يكون المنصرف الجنسي المتاح. وكذلك إذا غلب عدد النساء على عدد الرجال، أو إذا خلت القرية أو المدينة أو التجمع السكاني من الرجال كما في الحروب أو في السكن الداخلي للبنات أو الأديرة، فقد يشتد الشبق ببعض الإناث ولا يجدن موضوعاً لشبقهن إلاّ الإناث أمثالهن. ولقد عانت ألمانيا بعد الحربين العالميتين من انتشار اللزبيانية بين النساء حتى صارت من الموضوعات المطروقة في الأدب والسينما. وتذهب بعض الباحثات إلى تفسير انتشار اللواط الأنثوي أو اللزبيانية بين طالبات المدارس والجامعات وفئات المدرسات، وخاصة في المدارس الداخلية أو حيث تكثر مساكنة النساء لبعضهن البعض، إلى تأثير تعاليم التحرر النسائية التي عمت العالم المتحضر، وخاصة

المجتمعات الصناعية، وأدت إلى كراهية المرأة لدورها الأنثوي وتمردها على الاتجاهات الجنسية السائدة وتقاليد الزواج وسلبية النساء المعتادة، الأمر الذي حدا بالمرأة «الجديدة» أن تؤكد إيجابيتها واستكفائها بذاتها، بأن راحت تثبت بمختلف الطرق أنه يمكن أن تعيش في دنيا نسائية وأن تشبع الجنس عندها إشباعاً «مثلياً» أي بواسطة نساء مثلها كتصرف يؤكد تحررها ويخلصها من ربقة الزواج وسيطرة الرجل.

ويقول كينزي إنه من بين العينة التي استقصى فيها حالات اللزبيانية كان ١٧٪ في السن حتى الثلاثين، منهن ١١٪ جربن الإنعاظ ولو لمرة واحدة، وتزيد النسبة إلى ١٩٪ عند النساء في الأربعين، منهن ١٣٪ جربن الإنعاظ أكثر من مرة. ولا تقبل المتزوجات على الخلطة، فبينما كانت ٣٪ من نساء العينة مخالطات مع أنهن متزوجات، فإنه من بين المطلقات كانت ٩٪ مخالطات، أي لزبيانيات.

وقد تستمر هذه اللواطة النسوية بعد الأربعين، وكانت ٤٪ من بين نساء العينة من غير المتزوجات يمارسنها حتى الخمسين. ويقول كينزي إنّ المخالطات أو اللزبيانيات قد يواقعن بعضهن نحواً من سبع مرات في الأسبوع في المتوسط، وأنّ هذه المواقعات ربما تزيد لأكثر من ذلك كلما تقدم السن باللزبيانية، وقد تستغرقهن المواقعات لبعض الوقت، ويعقب ذلك فترة من الامتناع. ونكاح اللزبيانيات من شأنه أن يبلغ بهن الإنعاظ غالباً لأنه نكاح بظري وليس جماعاً مهبلياً كالجماع بين الرجل والمرأة، بمعنى أنّ المرأة قد تمتطي المرأة بوضع عكسي أو قد ترقد إلى جانبها بوضع عكسي كالرقم 96i بحيث تطول كل منهما الأخرى بلسانها، فتمص بظر الأخرى وتلعق حوله، وقد يجعلهما ذلك يبلغن الإنعاظ بسرعة، في حين إنّ إنعاظ الأنثى من الجماع بذكر قد يتحقق متأخراً، وقد لا يتحقق إطلاقاً.

واللزبيانية تُخلص للزبيانية التي تتعشقها، والغالبية منهن لا تكون للواحدة إلاّ عشيقة واحدة في العمر، والقلة قد تجمع بين عشيقتين، ومن النادر أن تكون للزبيانية علاقات متعددة تزيد على الأربع في حياتها، وذلك على عكس اللوطي فهو

دائم التغيير، وقد يكون له علاقات مع عشرات من الرجال، وبعضهم له علاقات يومية بذكور متجددين.

واللزبيانيات يكثرن عدداً مع ارتفاع مستوى التعليم، وأعلى نسبة عددية هي نسبتهن بين خريجات الجامعة. وكذلك تكون اللزبيانية بين نساء الطبقات العالية وتقل بين نساء الطبقة العاملة والعاملات، وبين نساء الحضر عنها بين نساء الريف. ويبدو أنّ الدين يباعد بين المرأة وأن تمارس هذا الانحراف، وأنّ النساء المنحدرات من أوساط متدينة يعصمهن الدين عن ممارسة اللزبيانية حتى لو كانت المرأة عانساً أو مطلقة أو أرملة.

وتلجأ اللزبيانيات في بداية التعرف إلى التقبيل والتحسيس على كل جسم، وقد تزيد المداعبة إلى ذلك الثديين ومصهما ودلك البظر. وفي ٩٥٪ من الحالات قد تشمل المواقعة التقبيل ودلك الثديين والبظر، وفي ٧٧٪ من الحالات قد يكون من التقبيل مص الشفتين واللسان ولعق الفرج وإدخال اللسان في المهبل. وبعض اللزبيانيات يستخدمن حديثاً ما يشبه القضيب تضعه المرأة بحزام حول الحوض وتجامع به كالرجل، ومثلها إذا ضاجعت الأنثى تطلب منها أن تدخل أصابعها في فرجها كبديل للقضيب، ويبدو أنّ هذا النوع ربما يكون إنعاظه من توهم اللذة بالإيلاج. وقد تشعر اللزبيانيات باللذة إذ تدخل شريكتها إصبعها في شرجها أو تلعق حول شرجها بلسانها.

واللزبيانية كمعادل للواط بين الذكور أقل وقوعاً بنسبة النصف تقريباً. وتدين الديانات جميعها اللزبيانات واللواط ويذكر الله تعالى في سورة النساء الآية ١٥ «واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً». ويذهب أهل التفسير إلى أنّ هذه الآية قد وردت في اللزبيانية أو في السحاق كما يحب أن يطلق عليها بعض المفسرين، إلاّ أنّ السحاق tribadism طريقة من طرق إتيان اللزبيانيات لبعضهن البعض، وهو أن تركب المرأة المرأة وكأنها الرجل وتسحق فرجها

بفرج الأخرى، ومن ذلك أيضاً التباظر clitorism وهو أن يحتك منهما البظران، والبظر عند اللزبيانية يتميز بالضخامة وكأنه القضيب، وهو أداة شهوتها وليس المهبل، واللزبيانية تمارس التباظر لهذا السبب وهو أن تدلك المرأة الأخرى بظرها باليد، كالاستمناء باليد عند الذكور. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا« ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد».

ويؤثر الكثيرون استخدام السحاق بمعنى اللزبيانية، ويبدو أنّ السحاق هو الاسم الذي اشتهر حتى الآن في العربية، والأفضل أن نقول الجنسية المثلية الأنثوية female homosexuality (أنظر الجنسية المثلية الأنثوية).

ويبدو أنّ الجنسية المثلية الأنثوية، أو اللزبيانية، أو السحاق قد تدفع إليها أسباب كثيرة، فالبنت التي تنشأ في كنف أم مسيطرة تعتدي على دور الأب في الأسرة وتقلّصه قد تتعين بأمها، وتنشأ البنت على حب الأم وجنس النساء دون جنس الرجال. وقد تنشأ البنت وسط إخوة ذكور فتميل إلى التصرف مثلهم وتعتاد على التنافس مع الذكور وتحب أن تكون لها علاقات بالبنات كما يفعل الأولاد، وقد تخطب ود البنات أو يخطب البنات ودها، وتنفر من أية علاقة جنسية غيرية. وقد يكون السبب في انحراف البنت هذا الانحراف أن تنشأ بين أبوين كانا يتمنيان أن يكون لهما ولد، فلما رزقا بالبنت عاملاها كولد، ولربما كانا يلبسانها كالأولاد، ويطلقان عليها اسم صبي. وتنمو البنت بإحساس الولد، وتوجه في الحياة وجهة الذكور، وتنطبع بالنمط الجنسي الذكوري، فتسعى للإشباع الجنسي من خلال علاقات مع الإناث من أترابها شأنها شأن الأولاد الذكور. ولربما تنطبع البنت بالنمط الجنسي الذكوري بتأثير الأم أو بتأثير الأب وتقلد هذا النمط بالعدوى.

ولربما تختار البنت اللزبيانية أو السحاق لأنها غير مطلوبة من الذكور بسبب دمامتها، وقد يكون السبب خجلها من الذكور أو خوفها من عدوانيتهم أو من

توقع أن تفشل معهم كأنثى، وربما تحس بقصور في شخصيتها، أو قد تنصرف عن اشتهاء الرجال لعدم معرفة بهم لأي سبب من الأسباب، أو لأنها تعيش في مجتمع نسائي مغلق بمعزل عن الرجال، ولو أتيحت لها فرصة أن تتعرف بالرجال لكانت رغباتها الجنسية طبيعية ولما انحرفت هذا الانحراف. ولقد اشتكى لي أحد المشتغلين الثقات بأنه اكتشف انتشار السحاق بين بنات المدارس والشابات المتزوجات في إحدى قرى الصعيد نتيجة هجرة شباب هذه القرية والأزواج صغار السن إلى دول البترول العربية هجرة تكاد تكون جماعية. ويلفت الانتباه في قصة سافو وبناتها أنهن قد غلب عليهم هذا السلوك الجنسي المنحرف بعد أن زاد عدد النساء في مجتمع لزبوس عن عدد الرجال.

وتقول فيليس ليون في كتابها المرجع عن «المرأة اللزبيانية» إنّ الناس يولدون جنسيون وكفى، وهم لا يولدون مثليو الجنسية أو غيريو الجنسية وإنما جنسيون. وتتوقف الاتجاهات الجنسية عند البنت على ظروفها الشخصية وخبرات حياتها وانفعالاتها بهذه الخبرات. وهي تدرك أنها مختلفة بالتدريج وببطء، وتتبين أنها تستجيب جنسياً بطرق تبدو غير مألوفة من الآخرين، وإن بدت لها أنها طبيعية مع نفسها. وقد يبدأ هذا الإدراك معها مبكراً جداً في حياتها، وربما وهي في الخامسة وهي لم تعرف شيئاً بعد عن الفعل الجنسي، ولا يهمها في شيء إلاّ أنها تلاحظ أنها يستهويها البنات الصغيرات أو ربما بنتاً من البنات حولها. وقد تلعب مع الصبية وتحس أنها إذ تلعب معهم وتتواجد بينهم أنهم رفاق وأنها تحبهم، ولكن ما تحسه بالنسبة للبنات أو لهذه البنت بالذات هو شيء مختلف كل الاختلافات عما تحسه للطبية. وتتذكر ديل – رفيقة فيليس ليون – أنها لم تكن وهي صغيرة تجرب ملابس أمها كما تفعل البنات ولم تكن تمثل أنها كبيرة، وأنها على العكس كانت تفتح دولاب ملابس أبيها وترتدي سراويله وتطويها عند القدمين، وتظل تروح وتجيء أمام أفراد الأسرة. وتقول ديل إنّ السروال كان يعني

بالنسبة لي أن أكون رجلاً مسيطراً، يصدر الأوامر ويتسيد على البيت ويتصرف بحرية وكما يشاء، وأذكر أني ذهبت مع فتاتي التي لم أكن قد حاولت معها أي علاقة جنسية - ذهبت معها إلى موعد غرامي بينها وبين شاب، فما أن حاول أن يقبلها حتى وجدت نفسي أهجم عليه وأطرحه أرضاً لأخلص فتاتي منه.

وتضيف المؤلفتان ديل مارتن وفيليس ليون أنّ هناك فرقاً بين اللزبيانية والبغي، فالبغي تريد المال عن طريق الجنس، وقد تفعل ما تفعله اللزبيانية لمتعتها الخاصة بعد أن تزهد ما يفعله بها الرجال طوال اليوم، ولكنها ليس شرطاً أن تكون كل بغي لزبيانية.

وتعاني اللزبيانية صراعات حادة قد تنعكس على تصرفاتها وشخصيتها، وذلك أنّ العرف السائد والذي تنشأ عليه كل النساء أنهن للزواج وللإنجاب، وهي معرضة لذلك أن تعاني باستمرار من كبت رغباتها الجنسية وقمع شهواتها وميولها، ولذلك فقد تتعلم أن تخاف من مشاعرها الجنسية، وقد تتنكر لجنسيتها، وقد تصاب بالبرود الجنسي، وقد تصبح سلبية وتعزف بالكلية عن الجنس. والكثير من اللزبيانيات لم يجربن الجنس إطلاقاً لهذا السبب. والكثير منهن أيضاً يتمردن بالانضمام إلى مجتمعات اللزبيانيات ضد الدعاة الدينيين وضد القول الشائع أنّ اللزبيانية ليست امرأة وأنها عديمة الجنسية.

والعلاقة بين اللزبيانية والأخرى علاقة بين امرأتين، إحداهما لها ميول ذكورية وتسمى «الذكر butch» والأخرى ميولها أنثوية وتسمى «الأنثى femme» وعندما يتعايشان فإنّ «الذكر» هي التي تقود السيارة، بينما الأنثى هي التي تطبخ وتغسل الأواني وتنظف البيت. وقد يحدث أن تساعد «الذكر» «الأنثى» في عملها كما أنّ الرجل قد يساعد زوجته في أعمال البيت.

واللزبيانية الذكر ترتدي ملابس رجولية، بينما الأنثى تلبس كما يلبس النساء، وهي رقيقة بشكل عام بالنسبة «للذكر» وعاطفية ورومانسية، على عكس «الذكر» فإنها مظهراً ومخبراً كالرجال، وهي أضخم جسماً، وأكثر جرأة وتميل إلى العدوانية وتسلك بالنسبة للأنثى

سلوك زئر النساء بالنسبة للنساء، أي تتصيد الإناث، وبظرها أكبر من بظر «الأنثى». وهناك مع ذلك «أشباه الذكر butchy» وهي «الأنثى» التي تسلك كالذكر، وقد تكون الفاعلة أو المفعول بها بحسب شخصية المرأة شريكتها في الفعل الجنسي، فإن كانت الأخرى «ذكراً» كانت هي «أنثى»، وإن كانت «أنثى» كانت هي «ذكراً».

وتتزوج «الأنثى» غالباً أكثر من مرة، ويبدو أنها في كل مرة تحاول ان تؤكد أنها امرأة عادية، ولكن زوجها يسيء إليها، فتسفر عن شذوذها في النهاية، وتختار لها «ذكراً» من اللزبيانيات، وتحاول أن تجعل منها صورة الرجل الذي كانت تتمناه، وغالباً ما تفشل، وينتهي الأمر بالانفصال بينهما، وتحاول من جديد ويبدو أنّ الزواج الذي يمكن أن يقوم بين «الذكر» و«الأنثى» مسألة لا تدوم، وذلك أنّ كلاً منهما تغار على الأخرى بشدة وتحاول أن تؤكد استقلاليتها.

ولربما ينجح العلاج النفسي للزبيانية مع النساء الراغبات في تغيير وضعهن بدافع شخصي وليس بتأثير من المحيطين. ويركز العلاج النفسي على التداعي الحر وتفسير الأحلام بغاية بلوغ الحقيقة حول الصراعات الأوديبية بالمرأة اللزبيانية، وعلاقاتها بوالديها منذ الصغر. غير أنّ العلاج السلوكي يسجل نجاحاً أكبر من العلاج النفسي بطريقة التنفير من اللزبيانية باعتبارها سلوكاً متعلماً ويمكن التخلي عنه واستبداله بآخر أصح. ويذهب العلاج الوجداني إلى استكشاف إخلاص المرأة اللزبيانية في اختيارها لهذه الطريقة في إشباع حاجاتها الجنسية، وذلك لأنّ اتّباع هذه الطريقة دون وعي بمخاطرها في مجتمع لا يقرها قد تكون له مضاعفات نفسية قد تتسبب في تداعي المرأة بالاضطرابات. وتوعية المرأة بمسؤوليتها يفيدها في دعم شخصيتها كليزبيانية، وإلاّ فالأولى بها أن تساعد نفسها على التخلي عن أسلوب في الحياة الجنسية اضطُرت إليه أو اختارته لأسباب ويمكنها أن تختار غيره إذا كان لها الخيار الحقيقي. ويعتمد العلاج الوجودي على تبصير المرأة بموقفها،

وزيادة ثقتها في اختياراتها، وتأكيد احترامها لنفسها بالإخلاص لهذه الاختيارات دون خجل أو مواربة Del).
Martin & Phyllis: Lyon Lesbian Women)



- ٦ -
الجنسية المثلية
Homosexuality

هي أن يأتي الذكر مثله أو تضاجع الأنثى الأنثى مثلها، ويفرق علماء النفس بين العلاقات الجنسية والعلاقات التناسلية، حيث يقصرون العلاقات التناسلية على ما كان منها يستخدم الأعضاء التناسلية، أما العلاقات الجنسية فهي أشمل وقد يكون منها ما هو صريح تناسلياً، كما قد يكون منها ما هو غير مباشر كما في علاقات الصداقة، ومن ثم فالجنس قد تكون له أشكال منحرفة كما قد يطلق على العلاقات السوية، ولذلك قد يكون من المستحسن أيضاً استخدام اصطلاح «التناسلية المثلية homo – genitalism» للدلالة على العلاقات الجنسية المرضية تمييزاً لها عن التعشق المثلي homo – erotism الذي مداره علاقات متسامية بين الذكر والذكر أو بين الأنثى والأنثى. وقيل إنّ أفلاطون في «المأدبة» يكثر من إطراء المحبة بين الرجل والرجل، وهي المحبة المتسامية ويسميها سوليفان «المحبة المثلية isophilia»، وتكون بين الشخصين من نفس الجنس ولكنها تخلو من العنصر التناسلي. والواقع أنّ قصر الجنسية المثلية على علاقات الحب أو بسطها لتشمل العلاقات التناسلية مسألة قد تخضع لعوامل الترقي في الإنسان، ففي المراهقة يكون موضوع الحب ذات الشخص، ثم يرتقي فيتخذ موضوعاً لحبه شخصاً من جنسه، ثم يزيد في الترقي فيكون هذا الموضوع شخصاً من الجنس الآخر، وفي كل من المراحل السابقة يختلف هدفه الجنسي باختلاف المرحلة، وفي المرحلة الجنسية المثلية أي التي يكون فيها موضوع حبه واحداً من جنسه، قد يكون الهدف الصداقة القائمة على التفاهم وتشابه المقاصد والميول

وتبادل الخبرة والثقافة، إلاّ أنّ الهدف قد ينحرف إلى نواحٍ تناسلية نتيجة عوامل كثيرة غير سوية، وقد يتثبت المراهق على هذه الميول وتصطبغ بها شخصيته.

وتتعدد صور العلاقة التناسلية بين الذكور بعضهم وبعض، ومن ذلك العناق والتقبيل والاستعراء وتبادل الاستمناء والدقر (الاحتكاك الجسدي)، وأكثر هذه الصور شيوعاً اللواط sodomy، بإدخال القضيب في الشرج والمواقعة حتى الإمناء، ويسمى الذكر الذي يتخذ الدور الإيجابي اللائط، ويطلق على الآخر الذي يكون دوره دور الأنثى اسم المأبون أو الخول (بفتح الخاء والواو). وكثيراً ما يفهم من الجنسية المثلية عند استخدامها دون تحديد أنها الانحراف الجنسي السلبي عند الذكور أي عند المأبونين.

وكذلك تكون عند الإناث انحرافات جنسية مماثلة كالعناق والتقبيل والاستعراء، وقد تمص الأنثى ثدي الأنثى أو تلعق بظرها، أو يتضاجعان بحيث يحتك منهما الفرجان أو البظران وهو ما يسمى التباظر وأحياناً التساحق.

وأما شكل أو نمط العلاقة بين الذكور أو بين الإناث المصابين بالجنسية المثلية فقد تبين أنها قد تكون على أحد هذه الأحوال الخمسة، فهناك نمط المعاشرة المغلقة close-coupled، بمعنى أنّ الرجل يعاشر الرجل، أو المرأة تعاشر المرأة معاشرة الأزواج، فيتساكنان ويكون بينهما عشق وغرام، ويغار الواحد منهما على الآخر، ولا يقبل أن يشاركه فيه أحد، وكذلك كثيراً ما يكون هناك استقرار في حياتهما الجنسية، ونادراً ما تحدث بينهما قطيعة، وقليلاً ما يقدم أحدهما على خيانة الآخر. وهناك نمط المعاشرة المفتوحة open-coupled فكأنّ العلاقة علاقة رفقة، وكلاهما حر أن تكون له بآخرين علاقات تناسلية كيفما شاء، وكثيراً ما تكون لهما مشاكل لهذا السبب. والنمط الثالث يقال له النمط الوظيفي functional، أي أنّ الجنسية المثلية مرتبطة باضطرابات نفسية وظيفية قد تؤدي إليها وقد تترتب عليها، كأن تكون مع الجنسية المثلية انحرافات واضحة في السلوك وأعراض سيكولوجية مرضية. وأسلوب حياة الشخص من هذا النوع

يختلف كلية عن أسلوب الأنواع السابقة حيث أنه يؤثر الحياة وحيداً، ويكثر من التجوال ليتصيد شركاءه في الفعل الجنسي، ويتردد لذلك على الأماكن التي يظن أنهم يرتادونها، وهو نشيط جنسياً وحذر حتى لا يعرف عنه شذوذه، وليست له مشاكل جنسية تقريباً. والنمط الرابع هو النمط الناشئ شذوذه من سوء الوظيفة التناسلية، ربما نتيجة اضطراب هرموني كأن يكون إفرازه من هرمونات الذكورة ليس بالقدر الذي تتضح معه رجولته، ويكون إفرازه من هرمونات الأنوثة أكبر حتى لتظهر عليه مخايل الإناث وتصرفاتهن، وهذا النوع كثير التصيد لشركائه وكثير الإتيان للجنس، وله مشاكل كثيرة تناسلية وغيرها. والنمط الخامس والأخير هو النمط اللاجنسي asexual، وأحياناً يطلق عليه اسم «الجنس الثالث third sex» و«الجنس المختلط mixed sex» لأنّ أصحابه غير متميزين تناسلياً وتمتزج فيهم الصفات الجنسية والتناسلية للإناث والذكور معاً، أو تجتمع فيهم بعض أعضاء الذكورة والأنوثة معاً كما في الخناث.

ولا يتحتم دائماً أن يكون الجنسي المثلي إما سلبياً أو إيجابياً، فقد تجتمع فيه كذلك صفة الإيجاب أو السلب فيكون لائطاً حيناً ومأبوناً في حين آخر، بحسب الظروف وشخصية شريكه في الفعل الجنسي، وربما قد يكون لائطاً في مرحلة من حياته ثم ينقلب مأبوناً أو بالعكس. وقد تستمر الجنسية المثلية بالشخص لفترة ثم تختفي منه ويكون جنسياً غيرياً، وقد تكون جنسيته المثلية بشكل قوي لا يستطيع معه أن يمارس الجنسية الغيرية، وربما تكون مؤقتة أو رافدة بتأثير الظروف كما في السجون والمستشفيات العقلية والأديرة والمدارس الداخلية والمعسكرات والسفريات الطويلة على البواخر، وتختفي بارتفاع هذه الظروف وعودة الشخص إلى ممارسة حياته الطبيعية.

والجنسية المثلية قديمة في الإنسان شأن كل ما يخص الإنسان من شذوذ أو انحرافات أو أمراض نفسية، وإنما يُنظر إليها باعتبارات المجتمع، فمن المجتمعات ما اعتبرها أو يعتبرها من المسائل البسيطة التي تجعل صاحبها

يبدو مختلفاً، ومنها ما يجعل منها انحرافاً يعاقب عليه، ومنها ما يعتبرها اضطراباً نفسياً. وتمر الحيوانات وخاصة الثديية بمرحلة جنسية مثلية تنتقل منها إلى المرحلة الجنسية الغيرية، إلاّ أنّ الحيوان نفسه يمكن أن يكون غيرياً ثم يصادف الحيوان الأقوى منه من جنيه الذي يظهر له الخضوع ويسلك معه سلوك الأنثى، ويعرف علماء الحيوان أنّ الفأرة عندما تزيد إفرازاتها الهرمونية وقت التبويض وتطلب العشار فإنها قد تقبع على الأرض وتقوس ظهرها بحيث ترتفع مؤخرتها وينتفض جسمها ويتصلب مع رعشة في أذنيها وحركة خفيفة يضطرب لها جسمها، وهذا هو السلوك الذي يصفه علماء الحيوان بأنه ما يميز أنثى الحيوان عموماً في السفاد، إلاّ أنّ نفس الأنثى قد تمر بفأرة فتنزو عليها وتفعل نفس فعل الذكر وتضع فرجها فوق فرج الأنثى الأخرى ويهتز جسمها ويبدو كما لو كانت قد بلغت الهزة، ثم تنزل فإذا بها ترقد وتلعق فرجها كما يفعل الذكر بعد السفاد، وعموماً فإنه في عالم الحيوان يمكن أن يتصرف الحيوان بحسب الظروف فيكون ذكرياً أو أنثوياً، ويمكن أيضاً أن يستجيب لأية استثارة كافية بصرف النظر عما إذا كانت الاستجابة أنثوية أو ذكرية. وكذلك يفعل الأطفال فطالما لم يتعلموا أن يميزوا بين السلوك الذكري والسلوك الأنثوي فإنهم يمكن أن يأتوا من التصرفات ما يمكن أن يعتبر غيرياً أو مثلياً وذلك ما يشاهد بقوة في عالم الحيوان، وأما في عالم الإنسان فالحضارات والثقافة والتربية لها عند البالغين تأثيرها القوي على تفضيل سلوك على سلوك. ونذكر أنّ اللواطة عرفتها الحضارات القديمة برمتها من مصرية إلى إغريقية إلى صينية وهندية، وخبرها أقوام فيهم أمراض اجتماعية كما عند اليهود، وتنسب اللواط إلى قوم لوط، وقد ورد أنّ الله عاقبهم ودمر مدنهم. ومع ذلك تبيح بعض دول أوروبا وأمريكا الجنسية المثلية، وأصدرت من التشريعات ما لا يحظرها، وتمارس الآن فيها بشكل علني سافر، وهناك مظاهرات يقوم بها المؤيدون والمشايعون لهذا الانحراف، ونعرف من الصور المنشورة والإحصائيات أنّ عددهم بالآلاف، ولو

أحصينا في التاريخ الأوروبي عدد العظماء الذين كانوا يمارسون اللواط لهالنا العدد والأسماء، ومنهم فيرجيل، وأوفيد، ولورد بيرون، وفرانز كافكا، وأندريه جيد، وبودلير، وجان جانيه، وكل هؤلاء عبّروا في أدبهم بكشل صريح عن ميول جنسية مثلية وامتدحوا اللواط. وكانت سافو الشاعرة امرأة تتذوق الجمال في الإناث وتحيط نفسها بهن وتمارس معهن السحاق حتى إنه لينسب إليها. وكذلك كان نيرون، ويوليوس قيصر، والإسكندر الأكبر، وإدوارد الثاني، ونابليون، وهتلر من الأباطرة ورؤساء الدول الذين عُرفت عنهم انحرافات من هذا القبيل. واشتهر إدوارد الثاني باسم الملك اللوطي. ويتفشى الشذوذ الجنسي في المدن الكبيرة، حيث يمكن أن يلتقي الشواذ في الحمامات العامة والفنادق والنوادي الخاصة والبارات وعلى الشواطئ بسهولة وحرية دون أن يتعرض لهم أحد ويتناولهم بالتشهير، ولهم مطالب وحقوق وأطلقوا على ذلك اسم «حركة تحرير الخلعاء gay liberation movement». وإذا كانت ألف ليلة وليلة تتعرض لسير الخلعاء أحياناً فإنّ أعمالاً مثل الديكاميرون لبوكاشيو وهي المقابل لألف ليلة وليلة العربية، والإكلوجز لفيرجيل، والميتامورفوسوز لأوفيد، لتحفل بأخبار الشواذ. ويفرد بيترونيوس الصفحات الطوال لوصف مشاهد اللواط، كما أنّ ما يورده أفلاطون عن عشق الرجل للرجل وقوله بأنّ علاقة المحبة بين الرجال أقوى منها بين الإناث لأنها علاقة ليست لها غايات سوى نفسها، لهو دليل على ما كان يحظى به اللواط في اليونان القديمة ثم في روما من احترام بين طبقة المثقفين والحكام، حتى لقد جعلوا الآلهة يتصفون بالثنائية الجنسية، وهو ما يفسره اشتقاق كلمة sex بمعنى جنس، من الفعل اللاتيني secare بمعنى يفصل، والأصل في الخلق هو الثنائية الجنسية، ثم كان أن انفصلت الآلهة الذكور عن الإلهات الإناث، وكذلك بقية المخلوقات. ويروى عن التوراة اليهودية أنّ آدم في البدء كان ثنائي الجنسية، ثم فصل الله حواء من جسمه، ومنهما جاء الذكور والإناث منفصلين. وهناك الكثير من الشواهد في الميدوسا

حيث الثعابين في شعرها ترمز للذكورة، ونلاحظ كذلك في الحورية حيث الرأس والنصف العلوي من الجسم لامرأة، بينما بقية الجسم لسمكة وهي رمز شائع للذكورة. وتوجد في احتفالات أرتميس كورينااليا صور لرقصات خليعة خنثوية كثيرة يفسرها أن تظهر النساء وقد وضعن على أنفسهن الكثير من أعضاء الذكورة التي يصنعنها بأيديهن. وهناك الكثير من القصائد التي تمتدح اللواط صراحة عند شاعر أمريكا الأكبر والت هويتمان. وتكاد تخلو الكتابات العربية صراحة من ذلك إلاّ ما ورد عن أبي نواس والجاحظ وكلاهما محسوب على المسلمين دون أن يكونا كذلك. ويقول الجاحظ في كتابه «مفاخرة الجواري والغلمان» أنّ الغلام مثال الحسن وتُشبّه به المرأة، وأنه إذا كان قدماء الشعراء تغنوا بجمال المرأة فلأنهم أعراب أجلاف ولم يروا غلمان عصره.

وهناك نوعان من الجنسية المثلية، أحدهما كامن ولا شعوري، والآخر مكشوف ويمارسه صاحبه علناً، والنوع الكامن اللاشعوري قد تفضحه جنسيته المثلية رغم ذلك في سلوكه وما يؤثره أو يفضله من أزياء ومهن وموضوعات للحديث. وقد تخلق الجنسية المثلية الكامنة مشاكل اجتماعية ونفسية عويصة، فقد تجد الذكر المثلي الجنسية يدفع زوجته دفعاً إلى التعرف بالرجال، وقد يعلم بأنّ زوجته تخونه فيتغاضى عن ذلك، لأنه يعوضه عن رغباته الكامنة أو اللاشعورية، وكأن فعل الرجل الآخر بزوجته بمثابة الفعل فيه هو. وكذلك قد تتغاضى المرأة التي بها جنسية مثلية كامنة عن سلوك زوجها النسائي، وقد تكون لها بعشيقته علاقات حميمة. وقيل إنّ زئر النساء ربما كان إقباله على الإيقاع بالنساء والتنقل من الواحدة إلى الأخرى هو نوع من الدفاع ضد ميوله الجنسية المثلية الكامنة، ليصرف نفسه عن التفكير فيها، بإيهام نفسه وغيره أنه النقيض مما يعتمل فيه أو ما يبدو عليه. وكذلك فإنّ بعض النساء قد يملن إلى الإيقاع بهن وربما دون أن يدعن الرجل يتمكن منهن، ولكنهن يتصرفن كالغواني، وذلك أيضاً من تأثير جنسية مثلية كامنة تظهر بها المرأة كما لو كانت مفرطة

الأنوثة، إلاّ أنها في الواقع تخفي الحقيقة إلى النساء من جنسها.

وكثيراً ما يكون الدافع إلى الغيرة هو الرغبة في الطرف المتسبب فيها، بمعنى أنّ الذكر قد يستهويه الذكر الآخر الذي له بأنثاه علاقة فيغار عليها، ولكنه في الواقع يغار منها ويتمنى في أعماقه لو كانت له به هذه العلاقة. وكذلك الحال في الغيرة النسائية. وفي رواية تولستوي «كروتزر صوناتا» يتعذب البطل من فكرة خيانة امرأته له مع مدرس الموسيقى، وبرغم غيرته عليها فإنه يشجع المدرس على التردد على بيته، ويتضح أنّ الزوج منجذب لاشعورياً انجذاباً جنسياً مثلياً إلى عشيق امرأته وإن اظهر غيرة جنونية عليها. وإنه لأمر ذو بال أن يتوجه الزوج إلى قتل امرأته مع أنّ المفروض أن يقتل عشيقها الذي يزاحمه عليها، ولكن الحقيقة أنّ الزوجة هي التي تزاحمه على العشيق. وهو يزيحها لاشعورياً ولا يدري أنه إنما يفعل ذلك بتأثير رغباته الجنسية المثلية اللاشعورية تجاه العشيق الذي لا يقربه الزوج بسوء.

وكانت الجنسية المثلية اللاشعورية مثار اهتمام من قِبَل رهط كبير من علماء النفس والطب النفسي، وذلك أنّ الميول الكامنة قد تؤدي بصاحبها إلى إتيان الكثير من الدفاعات التي لها شكل الاضطرابات في السلوك وفي الشخصية، ومنها حالات الذعر وممارسة القسوة والتدمير والشعور بالإضطهاد وبالعزلة والانسحاب. وتلعب الجنسية المثلية الكامنة أكبر الأدوار في تحديد اتجاهات الكثير من الناس. وأثبتت الدراسات التي تمت في هذا المجال أنّ هناك على الأقل أربعة أشخاص من بين كل مئة شخص يمارسون الجنسية المثلية ممارسة كاملة طوال حياتهم، وأنهم يمارسونها صراحة أو أنّ سلوكهم يفضحهم برغم محاولاتهم أن يظهروا على خلاف ذلك، ولعل من أبرز ما يفضح الجنسي المثلي أنه يخاف النساء ويخشى الدخول في علاقات جنسية أو ممارسات تناسلية مع الجنس الآخر، وهذا الخوف أو الذعر من كل ما هو أنثوي horror feminae قد يمتد فيشمل إناث الحيوان كالقطط والكلاب.

وطبقاً لرواية كينزي في بحثه المشهور (Kinsey: Sexual Behaviour in the

Human Male) فإنّ المدينة التي تعدادها نصف مليون يكون الممارسون للواط من سكانها عشرون ألف نسمة. وفي دراسة على الطلبة الجدد المتقدمين لجامعة أكسفورد سنة ١٩٥٩ اعترف ٣٥٪ منهم أنهم خبروا بطريقة أو بأخرى الجنسية المثلية، وأقر ٨٪ منهم أنهم ما يزالون يمارسون اللواط (Spencer: Homosexuality among Oxford Graduates).

وللجنسية المثلية أسباب كثيرة ومتنوعة، وراثية وتكوينية ومكتسبة، تؤثر على النواحي التشريحية أو الوظيفية أو العقلية أو النفسية للفرد من حيث الذكورة أو الأنوثة، فتؤثر بالتالي في دوافعه الجنسية وموضوع الجنس عنده وهدفه، وقد يكون ذلك مبرراً للبعض للتحدث عن شخصية مثلية الجنسية homosexual personality.

وقامت بدراسة الأسباب التكوينية للجنسية المثلية بحوث عديدة وخاصة في حالة ما إذا كانت للمثلي الجنسية إخوة من التوائم، وتبين أنه في حالة التوائم المتماثلة فإنّ الجنسية المثلية إذا كانت بأحدهما فإنها تكون أيضاً بالآخر، ولم يشذ عن ذلك أحد من توائم الدراسة. وذهب بعض العلماء إلى اعتبار الجنسية المثلية صفة وراثية مختلفة مثلها في ذلك مثل استخدام اليد اليسرى بدلاً من اليمنى. وبالإضافة إلى الخصائص البيولوجية، فالجنين يكون في أول الأمر خنثياً، أي تكون به أعضاء الذكورة والأنوثة، ثم يتميز فيه الجنس مع استمرار نمو الأعضاء الخاصة بأحد الجنسين، مع بقاء الأعضاء الخاصة بالجنس الآخر منضمرة، إلاّ أنّ ذلك يختلف في الدرجة من شخص لآخر. وكان فرويد يعتبر الإنسان مخلوقاً ثنائي الجنسية، وأنّ ظهور أحد الاتجاهين الجنسيين على الآخر مسألة تخضع للظروف الاجتماعية والنفسية التي يمر بها الشخص، إلاّ أنّ الخصائص التشريحية الوظيفة التي تميز في الفرد تميل به إلى اتجاه دون اتجاه، وتتعدد هذه الخصائص وتختلف في الدرجة، وعلى سبيل المثال فإنّ هرمون الأندروجين الذي يفرزه لحاء الكظر ويوجد في الجنسين بدرجات متفاوتة، يزيد عند

الرجل فتكون له الرجولة المعهودة وبالتالي يقل عند المرأة. وقد يزيد هذا الهرمون عند المرأة فينحو بها إلى الاسترجال وينمو شاربها ولحيتها ويخشن صوتها وتكون عدوانية وتتأبى على الرجال وتتجه في الإشباع الجنسي إلى النساء. كذلك تختلف الخصائص العقلية والنفسية بين الجنسين وقد يكون للشخص جسم رجل إلاّ أنّ تكوينه النفسي واتجاهاته العقلية هما تكوين واتجاهات امرأة أو العكس، وثمة اختبارات عديدة لقياس سمات الذكورة والأنوثة، وثبت أنه من بين أفراد النوعين من تضعهم نتائج هذه الاختبارات في مكان أقرب إلى أفراد الجنس الآخر.

ومما لا شك فيه أنّ العوامل النفسية لها أيضاً تأثيرها البالغ في الاتجاه بالفرد إلى الجنسية المثلية، وإننا لنلاحظ أنّ أسباب الجنسية المثلية ترجع قبل كل شيء إلى العلاقات التبادلية غير الصحيحة في الطفولة وبواكير المراهقة، والغالب أنّ المثلي الجنسية شخص لم ينجح في التعين بأحد والديه من ذات جنسه ولكنه على العكس تعين بوالده من الجنس الآخر وجدانياً وجنسياً، وعلى سبيل المثال فإنّ الرجل المأبون خلال سنوات تكوينه في الطفولة لا يتعين بأبيه ولكن بأمه، وهو قد يتجه إلى ذلك قطعاً في حالة ما إذا كانت الأم مسيطرة والأب ضعيفاً وسلبياً وليس له دور في حياة الطفل. وفي بعض الأحوال يكون السبب طلاق الأبوين أو وفاة الأب أو تغيب الأب لسبب أو لآخر لمدد طويلة، وعندئذ لا يكون أمام الطفل إلاّ الأم تربيه ويتمثلها ويأخذ عنها، ويتوه عنه معنى الرجولة ويميل إلى أن يتصرف بأنوثة دون أن يدري أنه يفعل ذلك ويصوغ شخصيته لاشعورياً على نمط الأم أي على النمط الأنثوي، ويتعين بها وجدانياً وجنسياً، وتكون له اتجاهات النساء، فإذا كان البلوغ واشتدت به دوافعه الجنسية فإنه يسعى إلى إشباعها بأن يبحث عن الذكر الذي يشبعها فيه كما تفعل الإناث. وأما البنت المثلية الجنسية والتي ترى نفسها في أبيها وتصوغ اتجاهاتها على الأنماط الذكورية، فإنها تسعى للبحث عن النساء اللاتي يمكن أن يشبعن فيها ميولها الذكرية تماماً كما يفعل الرجال. ويخرج

المثلي الجنسية سواء كان رجلاً أو امرأة من سنوات التكوين في الطفولة بتأثيرات صادمة، وينتهي إلى كراهية الأبوين معاً كراهية تتأصل في نفسه بسبب أنهما معاً لم يكونا طبيعيين معه في علاقاتهما به، وأفشلاه وجدانياً، وهو لذلك يحمل كراهيته المتأصلة العميقة الجذور إلى علاقاته بالآخرين من الجنسين، ومن ثم تجده يتحول من حالة الحب لرفيقه إلى حالة البغض ويعامله بخشونة ويقطع صلته به دون سبب، وهذا التراوح بين الإقبال والإدبار والإقدام والإحجام صفة من صفات المثلي الجنسية، فلا يمكن الوثوق به والاطمئنان إلى رضاه أو محبته أو صداقته. وعلاوة على ذلك فإنّ المثلي الجنسية بسبب انصراف أبويه عنه وعدم إشباعهما لحاجاته الانفعالية يتحول لاشعورياً إلى إنسان أناني لا يهمه إلاّ نفسه، وتتضخم حاجاته وتلح عليه، ويشغل بها عمن حوله وتصرفه عن أن تكون له علاقات سليمة بالآخرين، فالمثلي الجنسية في علاقاته بهم يستخدمهم كأدوات يُرضي بهم مشاعره، ويشبع حاجاته الانفعالية، وتتحقق له بهم المتعة، فإذا أظهر التعاطف مع الآخرين أو وضح من سلوكه أنه يفهمهم فإنّ تعاطفه أو فهمه لهم ليس سوى التعاطف والفهم السطحيين، ولذلك فغالباً أن تكون للمثلي الجنسية شخصية يعوض بها عن سطحية علاقاته بالناس، فتجده لطيفاً يُحسن الكلام وينمقّه، ويتأنق في ملبسه، ويُقبل على النواحي البهيجة من الحياة أو كما نقول إنه كثيراً ما يكون «ابن نكتة وابن حظ» ليداري بهذه التصرفات حقيقة أنانيته. ويذهب بعض علماء النفس إلى اعتبار هذه الأنانية عند المثلي الجنسية هي المسؤولة عن اختياره لموضوعاته الجنسية وشركائه في الفعل الجنسي، فهو يختارهم على منواله، بحيث تكون لهم أشكال جسمه وهيئته، وعلى ذلك نجد اللائط والمأبون، كلاهما له اهتماماته بنفسه وببدنه وملبسه وتعبيراته الصوتية، وميولهما متشابهة، ولعل ذلك يفسر اجتماعهما على التردد على أماكن واحدة وتناول موضوعات واحدة إذا تحدثا. وربما قد يبدو أنّ أصحاب هذا الاضطراب يحتمون ببعضهم أو يساعدون بعضهم، في حين

أنه في الحقيقة فلا وجود للرابطة الجمعية بينهم. وهم لا يحسبون أنّ ذلك مدعاة لهم لطلب العلاج النفسي، فالمثلي الجنسية لا يطلب العلاج النفسي من شذوذه ولكنه يطلبه لأسباب أخرى بخلاف ذلك تماماً، كأن يصاب بالاكتئاب مثله مثل أي شخص آخر عندئذ قد يطلب العلاج من الاكتئاب أو من القلق أو من أي من المشاكل الانفعالية الأخرى، ويتجه معظم علماء النفس إلى تأكيد تعذر العلاج المثلية الجنسية حتى لو طال علاج المريض، وذلك لأنها تكون متأصلة في الشخصية وشديدة التوغل في تكوينها، إلاّ أنه من ناحية أخرى يمكن علاج المثلي الجنسية بحيث يتخلص من أية اضطرابات في الشخصية تترتب على اعتبارات المجتمع له، وبذلك يتحقق له نوع من التوافق. ولقد قيل إنه أمكن علاج نحو ٣٠٪ من التوجهات الجنسية للمثلي الجنسية بالعلاج النفسي طويل الأمد، برغم أنّ الكثيرين يشكّون في إمكان إحداث تغيير ضخم كهذا. ويقوم العلاج السلوكي للجنسية المثلية على الإشراط السالب بإطلاع المريض على صور موضوعاتها جنسية غيرية لتثيره جنسياً، وفي نفس الوقت يُحقن بالأبومورفين أو يُعطى صدمة كهربية مؤلمة لتنفيره من المثير المثلي الجنسية، وكانت نتائج هذا العلاج متفاوتة. وأما العلاج بالعقاقير فلم يعرف بعد علاج ناجح للجنسية المثلية، وليس للمهدئات إلاّ تأثير مؤقت على الأعراض النفسية دون تناول المرض نفسه. ولعقاقير الأندروجين أثر معاكس حيث أنها تزيد من قوة الدوافع الجنسية دون أن تغير من توجهاتها. وقيل إنّ العلاج الجماعي يمكن أن تكون له نتائج مفيدة، وبعض المعالجين يجعلون المثلي الجنسية ضمن مجموعة غيرية الجنسية، والبعض يؤثرون أن يكون ضمن مجموعة مثلية الجنسية، غير أنّ ذلك صعب التحقيق لأنه لا يحدث أن يكون هناك آخرون يطلبون العلاج النفسي في نفس الوقت. وعموماً فإنّ المثلي الجنسية قلما يطلب العلاج من حالته، والقلة منهم نادمون على اتجاههم هذه الوجهة الجنسية الشاذة، وقيل إنّ ٤٪ منهم يستشعرون حالات الندم هذه ، ولا يحدث أن يستشعروا هذه الحالة إلاّ عندما

تتحطم بهم حياتهم العائلية، عندما تكتشف الزوجة ميول الزوج أو بالعكس، وقد يتسبب لهم شذوذهم في مواقف شديدة الحرج، وقد يعاملون من الناس والشرطة بقسوة، ويتعرضون لصنوف من المهانات، ويصابون بأمراض تناسلية.

وثبت أنّ العلاج النفسي التحليلي لا يفيد مع المثلي الجنسية إلاّ في حالة ما إذا كان المريض شاباً، أي أنه ما يزال في أول الطريق من حيث الشذوذ، وعلى قدر من الثقافة والذكاء ليستطيع أن يحادث الطبيب ويطرح مشاكله ويتعمقها في ماضيه، ويتفهم تحليلات الطبيب ويطاوعه على ما يقترح من علاج، وعلى قدر من التماسك من حيث الشخصية، ولربما يصحب ذلك الحاجة إلى تصحيح أوضاع المريض الاجتماعية ورفع الضغوط عنه، فقد يكون اتجاهه الجنسي الشاذ نتيجة وقوعه ضحية لشخص أكبر منه ينفق عليه ويغدق المال أو يحميه اجتماعياً، وأما الحالات التي يكون المريض فيها شديد الخجل أو يشكو ما يسمى قصور الشخصية فقد يجدي معه العلاج عندما لا يتعدى سلوكه الجنسي المثلي مجرد ملامسات مثلية أثناء الألعاب الجماعية، أو داخل الحمامات العامة أو المراحيض، وأما الحالات المستعصية فهي التي يكون المثلي الجنسية واضح التكوين النرجسي، ويحب أن يُعجب به الآخرون، وقد يصل به ذلك إلى أن يسترضيهم جنسياً، وأمثاله تكون لهم تصرفات الإناث وغندرتهن، وسلوكهم مع الرجال أشبه بسلوك الغواني، والبعض يكون انحرافه الأصلي أنه متشبه بالإناث، أو تكون الأنثى متشبهة بالرجال، أو يكون به غرام بممتلكات النساء الخاصة فتجد له تصرفات هي خليط من الجنسية المثلية والانحراف الجنسي، وكثيراً ما يشكو المريض من السادية، أو من الماسوشية، ويمارس المثلية الجنسية كمجال يشبع فيه هذه النزعات عنده، وأمثاله لا يمكن علاجهم، ولم يحدث أن ذكر مرجع طبي أنه قد أفاد معه العلاج النفسي أو أي علاج آخر (أنظر اللواطة والجماع واللزبيانية).



- ٧ -
التخنث
Transsexualism

المخنّث أو الخنيث قد يكون رجلاً أو امرأة ولكنه يتصرف بعكس جنسه، فالرجل يسلك كالإناث، برغم جميع علامات الذكورة فيه، والمرأة تسلك كالذكور برغم أنها امرأة على الحقيقة، بخلاف الخنثي الذي قد يجمع في جسمه أعضاء جنسية ذكرية وأنثوية معاً ويتصرف ويسلك بحسب ما يبدو للناس من هذه الأعضاء. والخنثي مثلاً قد يكون له قضيب في الظاهر ويكون له في نفس الوقت رحم وفرج، وقد يعالج بالجراحة لتغليب أحد الجنسين بحسب الأقوى منهما عنده، بينما المخنث أو الخنيث قد يطلب أن تُجرى له الجراحة ليتحول نهائياً إلى الجنس الذي يريده مع أنه ليس فيه الأعضاء الجنسية لهذا الجنس، وهو قد يهدد بالانتحار إن لم تُجر له العملية، وقد يحاول الانتحار فعلاً. والجراحة التي يمكن أن تصطنع للمخنث الذكر للتحول إلى امرأة تكون باستئصال قضيبه وخصيتيه، ويشق له مهبل بين السطوح اللفافية، ويبطن بأغشية مأخوذة من القضيب أو الخصيتين ليكون حساساً وليصبح كالنساء. ويعالج بالإضافة إلى ما سبق بالتحلل الكهربي لإزالة شعر الجسم والوجه، ويعطى الإستروجين لتظهر له السمات الجنسية الأنثوية الثانوية، وتجرى له عمليه لترقيق الحنجرة. وأما الجراحة التي يمكن أن تجرى للمرأة فتشمل استئصال الثديين والرحم، ويصطنع لها قضيب، وتعطى الأندروجين لتكون لها السمات الثانوية للرجال. ولإنشاء قضيب من البلاستيك صعوبات تتجاوز الجراحة أهمها أن يكون للقضيب القدرة على الانتصاب.

وتقدر نسبة الخناثى الطالبين التحول إلى إناث بخمسة أضعاف الطالبات للتحول إلى ذكور. ويلزم دائماً تحديد السن الغالب على الخنيث من قِبل إحدى العيادات المتخصصة، ويطلق عليها «عيادات البحث في الهوية الجنسية» قبل إجراء العملية. ومن الضروري التحرز من الخنوثة hermaphroditism وهي بخلاف التخنث كما أسلفنا.

والمخنث أو الخنيث transsexual يميل عادة إلى الأعمال السهلة، ودرجاته في اختبارات الشخصية أعلى في الاختبارات اللفظية. ويتبين من اختبار رسم الشخص والبيت والشجرة أنه دائم التجنب لرسم أي شخص عار، ويستخلص بعضهم من ذلك أنّ المخنث شديد التقزز من جسمه، ويفسر ذلك عزوفه عن النظر إلى نفسه في المرآة ولهفته إلى ستر ثدييه.

ويبدو أنّ التخنث من تأثير البيئة والتربية. وحتى الخنثي يتصرف وفق ما نشأ عليه، فإن عومل كذكر سلك مسلك الذكور. وقيل إنّ هوية الطفل الجنسية تتحدد بالتنشئة قبل سن الثالثة ثم يصبح من الصعب تغيير ما نشأ الطفل عليه. وقيل أيضاً أنّ الأم تلعب دوراً كبيراً في تعين المخنث، وأم المخنث تفرح برقته ودماثة خلقه وتصرفاته الأنثوية من صغره، وعادة يبدأ التعين بالتخنث في نحو الثانية، ولا تفسر الأم تصرفاته بأنها تخنث ولكنها تحسبها فرط رقة وتشجعها لذلك، ومن ثم تتثبت هذه التصرفات. ويغالي الطفل فيفضل ملابس البنات والأولان التي يحبونها والألعاب التي يأتونها، ولا يبدي اهتماماً بنشاطات الصبية ويحب أن يقرأ أو يشاهد قصصاً وأفلاماً موضوعاتها النساء، وعندما ينضم إلى البنات في ألعابهن يقبله البنات فيما بينهن بحس لديهن أنه منهن، فإذا كان في السن بين الثالثة والخامسة فإنه يتهيج إذا نودي باسم بناتي، ويفاضل بين مختلف الأسماء البناتية ويبدي رغبة في أن ينادى بواحد منها، وقد يفصح عن رغبته أن لا يكون له القضيب، وعندما يجيء وقت الانضمام إلى المدرسة يعاني المخنث، ويثيره الأولاد بتخنثه، ويحاول أن يخفيها، ويرفضه البنات، ولا يجد له صديقاً، ويتخلف دراسياً وتظهر عليه أعراض عصابية عامة بتأثير الضغوط الخارجية المؤلمة، وقد يظن البعض أنّ ما يشكو منه المخنث هو الفصام، طالما أنه برغم تكوينه الذكوري يتهيأ له أنه أنثى، ولكن أعراض الفصام المعروفة لا تتواجد عنده، والاضطراب العصابي الذي يبدو عليه يزول إذا تبين له أنّ المحيطين به يوافقونه على اتجاهاته ولا

يستهجنونها، وإذا لم يعترض عليها الطبيب.

وقيل إنّ أم المخنث لها ماض في الصراع بين هويتها كامرأة وميولها للذكورة، بسبب تفضيل أمها للذكور وبنشأتها في بيئة تؤثر الذكور وانصراف امها عنها وتعيّن ، البنت بأبيها، فإذا كان البلوغ والحيض إلخ لم يعد لها أمل أن تكون ذكراً، وتتزوج عن غير حب، وغالباً ما يكون الرجل الذي تختاره زوجاً به ميول أنثوية ليرضي سلوكها الذكوري، ويقبل أن تسوسه، ودوره لا يعدو الناحية الاقتصادية في البيت، فإذا أنجب الزوجان فالأثر التربوي يكون للأم الذكورية، والأب غالباً مشغول في العمل، ويتعين الولد بأمه دون أبيه، ولمثل هذين الأبوين تكون نشأة المخنث، ولربما يكون للأبوين عدد من الأولاد ولكن واحداً منهم يكون مخنثاً، وذلك أنه غالباً أجمل الأولاد، وتقول كل أمهات المخنثين أنّ أولادهن المخنثين كانوا أجمل الأولاد في الصغر، والأمهات يعجبن بهم. وغالباً ما تكون للمخنث اهتمامات فنية، وذلك يرضي الأم كثيراً وتفخر به، وعندما تظهر عليه مخايل السلوك الأنثوي واضحة فإنها ترضى، أولاً لأنها أنثى ويعجبها أن لا يكون ابنها المفضل له صفات ذكورية تحسده عليها وينافسها بها، ولأنها ثانياً تميل للذكورة فتحب أن يتعلق بها بهذه الصفة شخص من الجنس الآخر وكأنه بالنسبة لها أنثى. وهذه العلاقة الفريدة بين الأم وابنها المخنث كان من الممكن أن يعكرها تدخل الأب، ولكن الأب منصرف تماماً عن الاثنين تاركاً الأم تفعل فعلها التربوي السيء على الطفل، ولا يجد الطفل علاجاً لحالته التي تتأكد باستمرار، وتمر السنوات دون تغيير إلى أن لا يكون هناك أي أمل في التغيير.

ويرجع العلماء السبب في التخنث غالباً إلى عوامل جينية أو هرمونية أو عصبية أو إليها جميعاً إلى جانب العوامل البيئية والتربوية، إلاّ أنّ هذه العوامل لا توجد في أي مجال من المخلوقات سوى الإنسان، وهو الوحيد الذي يطلب بإرادته أن يتحول إلى الجنس الآخر، ولا يوجد في الطبيعة مثل هذا التحول في الحيوان إلاّ في معامل التجارب.

ومن التفسيرات التي تعرض لأسباب

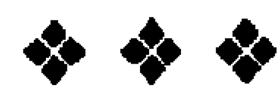
التخنث أنّ الطفل يولد به قوة بيولوجية توجه سلوكه الجنسي، وأنّ هذه القوة في حالة الانحراف الجنسي الأساسي لا تعمل بطريقة سوية، وأنّ المتخنث رغم أعضائه الذكورية وسماته الرجولية فإنه يسلك مسلك الإناث بدافع من هذه القوة البيولوجية التي تعمل عنده بطريقة عكسية.

وقيل إنّ بالمخ تحت المهادي مركزاً يضبط السلوك الجنسي، وأنّ هذا المركز الجنسي أنثوي أساساً في الأجنة، ولكن خلال عملية نمو الجنين وبعدما تظهر له الخصيتان فإنّ هرمون الأندروجين الذي تفرزانه يؤثر في المركز الجنسي الأنثوي، بالمخ ويجعله مركزاً ذكورياً، وقد يحدث أن لا يكون إفراز الأندروجين بالكمية اللازمة، أو قد لا يستجيب المركز الجنسي لتأثيره، وعندئذ يظل هذا المركز أنثوياً ويوجه تصرفات الطفل من بعد وجهة أنثوية برغم أنّ هذا الطفل ذكر من الناحية البدنية.

والخنيث الأنثى هي أكثر ضروب الإناث المسترجلات إتياناً للسلوك الجنسي الذكوري، وهي وإن كانت الناحية التشريحية أنثى إلاّ أنّ تصرفاتها ذكورية منذ الطفولة، وهي تغشى مجتمعات الذكور وتحب صحبتهم وان تظهر بمظهرهم بحيث لا يفرقها شيء عنهم، وتتمنى لو تحولت فعلاً إلى ذكر شكلاً ومضموناً، وكانت وهي صغيرة تلبس ملابس الصبية، ولها اسم صبي وتأتي من النشاطات ما يأتيه الذكور. وهي في مجال الرياضة تمارس الألعاب التي لا ينافسها فيها إلاّ الذكور، فإذا كانت في المراهقة ظنها الكثيرون ولداً من هيئتها ولباسها وسلوكها، ولا يمكن أن تفترق وهي شابة عن أي شاب، وتختار رفيقة لها من بنات جنسها، ورفيقتها ليست امرأة شاذة تهوى النساء ولكنها امرأة متزوجة لها أولاد، وذلك أنها ليست لوطية حتى تهوى اللوطيات، فهي امرأة مسترجلة ولذا تطلب امرأة عادية تكون بالنسبة لها كالرجل بالنسبة للمرأة، وهي في المجاز رجل وتريد لنفسها امراة.

والتخنث في الإناث له أسبابه الفسيولوجية بالإضافة إلى أسبابه النفسية، فالغالب أنّ الخنيث الأنثى تولد قوية وليس لها جمال ورقة البنات، وأمها

لا تستطيع أن ترضعها ربما لمرض الأم، فهي حاضرة وغائبة، وعجز الأم لمرضها يجعل الأب يتولى مهمة رعاية البيت فيتخذ ابنته مساعداً ويترك لها الأمر، ويسعده منها أنها قوية وقادرة وتستطيع أن تنهض بما يناط بها في سهولة ويسر، ويشجعها على ذلك أنها ليست جميلة كالبنات، ولو كانت جميلة فعلاً ما سارعت إلى تلبية ما يراد منها، ولتقاعست عن فعل كل ما فعلته، ولما انسجمت مع هذا الدور الذكوري الذي آثرته على دورها كأنثى. وليس في الكتب العلمية ما يدل على أسباب بيولوجية لهذا الاتجاه الذكوري عند بعض الإناث، ومن غير المعروف ما إذا كان من الممكن علاج هذه الحالات سواء عند النساء أو الرجال بالعلاج السلوكي في المستقبل.



- ٨ -
التشبه الجنسي
Transvestism

التشبه هو أن يتخذ الرجال هيئة النساء، أو أن تتخذ النساء هيئة الرجال، وأكثر ما يكون ذلك في اللباس. واللذة المتحصلة للمتشبه أو المشتبهة تكون بتأثير توهمه أو توهمها أنه من الجنس الآخر. وقد يتخنث المتشبه إلاّ أنّ التشبه بخلاف التخنث، وغالباً ما يتشبه المتشبه دون أن يتخنث. والتخنث هو أن يتوهم المريض به أنه من الجنس الآخر على الحقيقة وليس على المجاز، فيفعل فعله ويتسمى باسمٍ من هذا الجنس الآخر، ويطلب أن يتحول نهائياً إليه بالعقاقير أو بالجراحة أو بالاثنين معاً. وليس شرطاً أن يرتدي المخنث ملابس الجنس الآخر، وأما في الشتبّه فالمريض به لا يفعل سوى أن يأتي هذا الشذوذ، وهو كذكر تكون ذكورته صريحة من حيث مضاجعة النساء، أي أنه غيري الجنسية، إلاّ أنّ شهوته لا تستثار إلاّ إذا وضع على جسمه ثياباً من

ثياب النساء وعندئذ يستطيع أن ينتصب، ولذلك كان أكثر المتشبهين متزوجين، غير أنّ الزوجة التي تقبل أن يفعل زوجها ذلك لا بد أن تكون لها ميول جنسية مثلية، طالما أنّ المضاجع لها له هيئة النساء ويؤثر أن يأتيها بإحساس أنه امرأة وأنها ذكر. ومن ناحية أخرى فقد تكون للمتشبه طبيعة جنسية مزدوجة إذ يغلب التشبه في مرحلة المراهقة بالذات، ويحدث في هذه المرحلة أن يكثر المراهق من الاستمناء باليد، والمراهق المتشبه ربما يرضيه أن يتعين بالنساء بأن يلبس كما يلبسن، وفي نفس الوقت يقوم الاستمناء على طريقة الذكور، فيشعر أنه ذكر وأنثى معاً، أو أنه ذكر يجامع أنثى، أو أنّ الذكر فيه يجامع الأنثى فيه، ويتبادله الدوران الأنثوي والذكوري، وقيل إنّ الازدواجية الجنسية دليل على التأثير للأبوين بحيث لم يستطع أيهما أن يستقطبه إليه كاملاً ليتعين به وليكون له دوره.

والتشبه بخلاف الفيتيشية، لأنّ الفيتيشي يهوى ملابس النساء ويقتني أشياء كثيرة منها، وكذلك الحال مع المتشبه، إلاّ أنّ الفيتيشي تتحصل له اللذة الجنسية كاملة بهذه الأشياء، فهي البديل له عن النساء، وهو يجعلها معه في سريره ويحادثها ويحتضنها إليه فيمني، بينما المتشبه لا يكتفي بالنظر إليها ولا يتحسسها كالفيتيشي، ولكنه يرتديها فيحس بنفسه إحساساً مخالفاً، وأنه بها يكون كاملاً ويستطيع أن يضاجع أو أن يستمني بيده.

ويبدو أنّ التشبه والتخنث والفيتيشية من الاضطرابات الجنسية التي تغلب على الذكور عن الإناث، والمصابون بها من الذكور أضعاف المصابات بها من الإناث، وهناك نحو مئة رجل متشبه لكل ثلاث أو أربع نساء متشبهات.

ويبدأ التشبه، كشذوذ من الطفولة بتأثير التربية أحياناً، وبغواية من الوالدين أحياناً أخرى، فقد يلبس الوالدان طفلهما ملابس البنات أو ملابس الأولاد على عكس طبيعته. وإننا لنلاحظ الآن أنّ التشبه يأتيه الكثيرون بدرجات متفاوتة سواء من الأطفال أو البالغين، بتأثير العصرية في الأزياء والتلاحق المطرد في أشكالها وأنماطها. والجدير

بالملاحظة أنّ المشرفين على تغيرات الموضة غالباً من الرجال المتشبهين أو المتخنثين. وقد تؤثر بعض النساء ارتداء القمصان والسترات الرجالي ولا يرى الناس بأساً في ذلك، إلاّ أنّ الولد أو الرجل الذي قد يرتدي الفستان لا يمكن إلاّ أن يُقابل بالاستهجان، وقد تقبض عليه الشرطة أو يواجه بالضرب من الناس، ومن ثم يلجأ المتشبهون من الرجال إلى إخفاء تشبههم بأن يكتفوا بارتداء الملابس النسائية التحتية. ومن المتشبهين أفراد لا يبالون بأن يجهروا بتشبههم، وهذا هو النمط الإظهاري الاستعراضي من التشبه. وهم غالباً نرجسيون، أي أنهم لا يهمهم الناس، وإنما أنفسهم وأنفسهم فقط، ولربما تكون هذه الميول الإظهارية في المتشبه من أعراض اضطرابات فصامية أكبر، أو ربما كان استعراضه النسائي ليخفي به صراعاته الجنسية المثلية التي تحتدم به على المستوى اللاشعوري، وتريد أن تظهر فيلجأ إلى ملابس النساء يرتديها ليستنزل عليه غضب الذكور فيمارسون عليه ذكورتهم، أو ربما كان استعراضه النسائي مؤشراً على لواطة صريحة به تتوسل بالاستعراض النسائي لغواية الذكور. وأما النمط غير الاستعراضي من المتشبهين فالغالب أنّ ارتداءه لملابس النساء في الخفاء ينبئ عن اضطرابات عصابية ويكشف عن دوافع، كالتي تستعر عند العصابي وتجعله يسرق لمجرد أن يكون هو مالك لما يخص غيره، أو قد يكون مدافعة لاتجاهات اكتئابية وتعبيراً عن شعور هابط نتيجة فقدان الاحترام للذات والثقة بالنفس، ومع ذلك فإنّ التشبه قد يأتيه البعض وخاصة النساء إحساساً بأنهن يصبحن به من الجنس الأقوى، ومن ثم نجد أنّ الغالبية من المتشبهات مسترجلات ويملن إلى منافسة الرجال، ونجد أيضاً أنّ الكثيرات من المتهمات بالسرقة وبالسطو والاتجار في المخدرات وبإدارة البغاء يرتدين كالرجال، ويبدو أنّ تأثير البيئة في أمثال هذه الحالات هو العامل المعول عليه حيث قد أثبتت الدراسات أنّ التشبه فيهن نتيجة نشأتهن في أوساط رجالية، كأن يكون غالبية الإخوة من الذكور، وكذلك أتراب اللعب، ومع ذلك فهناك دراسات

أخرى تبين أنّ العصاب أو الذهان ليس أعلى في نسبة الإصابة به بين المتشبهين والمتشبهات منه بين سائر النساء.

والتشبه كأي انحراف جنسي عرفته الشعوب القديمة، وورد في الأثر عن هيرودوت أنه كان كالوباء في المدن الساحلية للبحر الأسود، ويسجل هيرودوت أنه قد شاهد الكثير من رجال هذه المدن يلبسون كالنساء ويقومون بأعمالهن. والثابت في التاريخ الروماني أنّ الإمبراطور كاليجولا والإمبراطور هليوجابالوس كانا يرتديان كالنساء أحياناً. وتروى عن التشبه الكثير من القصص في كتب الرحلات الحديثة وخاصة في جنوب شرق آسيا وقبائل سيبريا.

ويطلق على التشبه أحياناً اسم «الأيونية» eonism نسبة إلى المدعو شيفالييه الأيوني الذي ذكره عالم النفس هافلوك إليس وقال عنه إنه قضى حياته كلها يلبس كالنساء.

وترد نظريات التحليل النفسي التقليدية التشبه إلى عمليات التقمص لأدوار الكبار التي يقوم بها الأولاد في الصغر بارتداء ما يخص الوالدين والتصرف كأنهم أحد الأبوين. وهذا التقمص وسيلة مفيدة للتعين الاجتماعي وللتعليم، ولكن التشبه إذا استمر بعد سن الثالثة فقد يتحول إلى ظاهرة خطيرة، وخاصة إذا أصر عليه الطفل. وهو عند البنات دليل على فض الأنوثة وعلى عقدة خصاء وما يعرف باسم حسد القضيب، وعند الولد هو وسيلة يتقرب بها للام خاصة إذا كانت قد تمنت أن تنجب بنتاً وتظل تذكر رغبتها على مسمع منه. ويفسر فرويد التشبه بأنه تثبيت على المرحلة التي يكتفي فيها بالجزء كبديل عن الكل، ويزاح فيها الاهتمام من الجسم بعامة إلى الملابس التي تغطيه.

ويفضل العلاج السلوكي في حالات التشبه بالتنفير أو بما يسمى العلاج بالتنفير، وبالتدريب الذي يزيد ثقة المريض بنفسه ويعيد إليه الإحساس بالاحترام لنفسه. ويقوم العلاج بالإشراط المنفر بأن يرى المريض صوراً له وهو بالملابس النسائية، ويعطي أثناء ذلك صدمات كهربية أو يحقن بالأبومورفين مثلاً ليصاب بالغثيان

والقيء كلما شاهد صوره. ومن الممكن أن يعطى الصدمة الكهربية عند ظهور الصورة له في ملابس التشبه، ويعفى من الصدمة عند ظهور صورته بالملابس الرجولية. وقد يترافق ذلك وأن يفرض المعالج نوعاً من السيطرة على بيئة المريض بالاتفاق مثلاً مع زوجته بحيث لا تسمح له بمضاجعتها طالما يرتدي الملابس النسائية (أنظر القضيب وعقدة الخصاء والاضطرابات الجنسية والانحرافات الجنسية).



- ٩ -
الاستعراء الجنسي
Exhibitionism

قد يضبط البعض أمام مدارس البنات وهو يمارس الاستعراء بمعنى أنه يكشف عن عورته فجأة أمام البنات فيثيرهن ذلك وهو ما يبغيه.

والاستعراء أو الاستعراض أو حب الظهور أو الإظهار أو الإفتضاحية، وكلها تقريباً بمعنى واحد، هو فعل يأتيه الشخص قسراً عنه. وهو استعراء وافتضاحية إذا هدف المستعري إلى الكشف عن أعضائه التناسلية فتفاجأ الضحية بما يفعل، ويقصد أن يستحدث بها تأثيراً خاصاً من شأنه أن يهيجه. وهو إظهارية إذا اقتصر على إظهار أو كشف جزء من الجسم بخلاف العورة بدافع جنسي، بقصد أو بدون قصد، كما تفعل النساء العاريات الصدور او اللاتي تجعلن للتنورة فتحة طويلة في الجنب لإظهار جزء من الفخذ. وهو الاستعراض بمعنى حب الظهور والتباهي بشيء من شأن إظهاره لفت نظر الآخرين وانتباههم، كالرياضي الذي يكشف عن صدره وعضلات ذراعيه في استعراض واضح.

وسواء كان استعراء أو إظهارية أو استعراضاً فهو من الأفعال العادية إذا صدر عن الصغار ولكنه يعتبر شذوذاً إذا أتاه الكبار، فالطفل الصغير الذي يفلت من قبضة أمه وهي تغيّر له ملابسه، ويجري منها فرحاً بأنه عريان، وأنّ الآخرين يطالعونه في عريه، يشعر بلذة

لذلك، إلاّ أنّ التذاذه يختلف عن لذة الرجل الكبير الذي يتعرى لطالبات المدارس أو للبنات في الحديقة العامة دون سبب سوى أن يطالع تأثير عريه على وجوههن.

والاستعراء هو الأكثر افتضاحاً من الاستعراض والإظهارية، ويرتبط بالهياج الجنسي الذي ينتهي عادة بالإمناء التلقائي أو الاستمناء باليد، ويأتيه الشخص كفعل قهري يكرره ويعود إليه في نفس المكان الذي مارسه فيه من قبل وتحقق له فيه الإشباع الجنسي، ويقوم به أمام أغراب من الجنس الآخر لا يعرفهن ولا يعرفنه، وغالباً ما يختارهم من البنات الصغيرات، وينتقي لفعله من الأماكن ما يكثر تردد هؤلاء الضحايا عليه كحدائق الحيوان أو الحدائق العامة والمتنزهات والملاهي، وعادة يعاني من مشاعر حادة بالذنب بعد أن ينتهي من فعله وتتحقق له اللذة المنشودة.

وشخصية المستعري أو المستعرض exhibitionist عادة من النوع القاصر، وغالباً ما تكون له ميول سادية وماسوشية، والأثر الذي يخلفه في الضحية يشبع فيه ساديته، والشعور بالذنب الذي يحتدم به بعدها يرضي فيه ماسوشيته.

ويختلف عدد ممارسات المستعري في اليوم الواحد أو في الأسبوع باختلاف قوة الدافع الجنسي عنده. وهو دائماً رجل لأنه لم توجد بعد المرأة المستعرية عمداً وفجأة، وأما الاستعراء الذي عليه النساء على الشواطئ أو الذي يلجأ إليه البعض أحياناً على أسطح المنازل أو حول حمامات السباحة المنزلية فهو بلا شك نوع من ذلك الاستعراء، إلاّ أنه إظهارية أو استعراضية لم تتنام بعد لتكون مرضاً كهذا الاستعراء الرجولي. والملاحظ أنّ الاستعراء يلح على صاحبه فيكون في نفس المكان يومياً أو أسبوعياً، ولكن المرأة التي تستعري على الشاطئ مثلاً فذاك يحدث منها لماماً، واستعراؤها قد يكون على أشكال مختلفة وليس هذا الشكل الأوحد عند المستعري.

والاستعراء لا يستفحل ولا يتنامى ولكنه يتناقص مع الشيخوخة بتناقص قوة الدافع الجنسي إلى أن يزول تماماً.

والمستعري قد يكون جباناً أو شجاعاً، وقد يتراجع عن التعري في آخر لحظة، وقد يقدم عليه رغم مخاطر الافتضاح. وقد يدّعي الغفلة ويظهر أجزاء من عورته بشكل غير متعمد، وقد لا يبالي ويكشف عن عورته كاملة، وقد ينتصب قضيبه أو يظل مرتخياً، وقد يستمني بيده أو بغير ذلك، وقد يخطط لفعلته، وقد يفعلها كالمأخوذ وإن كان لا ينسى تفاصيلها من بعد، وكل ذلك ليس في استعراء النساء أو ليس منه، ولا يقارن عري المرأة باستعراء الرجل.

والاستعراء بمعناه الخاص الذي أسلفنا إليه ينبغي إذن تمييزه عن الاستعراض بمعناه العام حيث الاستعراض أكثر شيوعاً، وربما كان أكثر الناس ممارسة للاستعراض الفنانون، وينافسهم فيه الأشخاص الذين يشكون من الاعتلال النفسي المعروف بالسيكوباتية، وذلك أنّ التنفيس بالاستعراض أشمل من التنفيس بالاستعراء، ولا يقتصر مثله على النواحي الجنسية وحدها وإفراغ التوترات الشبقية.

ولكل مستعر أسلوبه في الاستعراء، ويكرره نمطياً، ويتوقف أسلوبه على الاستجابة الأولى التي حققت له الإشباع فيعود إليها وينطبع بها سلوكه. وتمتد نمطيته إلى المكان الذي تعرى به فيعاود به حتى لو كان في المعاودة خطر القبض عليه. ولا ندري سبباً لهذه الظاهرة، وقد يبدو المريض وكانه يسعى إلى أن يقبضوا عليه مدفوعاً بمشاعر الذنب التي يستشعرها عقب استعرائه. وقد يؤثر التعري في مكان عام، وقد يفضل عليه المكان المغلق كالمسارح ودور السينما. وفي إحدى الدراسات كانت نسبة الذين يمارسون الاستعراء في الحدائق العامة والأماكن المكشوفة وخاصة الساحات أمام مدارس البنات ٣٠٪ من إجمالي المقيدين بمحاضر الشرطة، مقابل ١٣٪ مارسوه داخل المباني العامة، ونحو ١٠٪ من خلال النوافذ، ونحو ٤٧٪ في الشوارع المزدحمة خصوصاً.

وتبلغ نسبة مرتكبي الاستعراء نحو الثلث من جملة مرتكبي الجرائم الجنسية. وبعض المتخصصين يجعلها أكثر من ذلك. ونسبة المعاودة إلى الجرم

بين المستعرين كبيرة، ويقدرها القانونيون بنحو الربع.

والمستعري غالباً من النمط الخجول. وتكشف تصرفاته عن شخصية غير ناضجة، ويبدو شديد التعلق بأمه، وغالباً ما تكون نشأته في أسرة الدور الأول فيها للام، وتنحو الأم نحو السيطرة على أولادها وتستحوذ على طاعتهم وتسيرهم في فلكها. وهو دائماً الخانع الذليل، وكثيراً ما يعاني من شعور بالنقص الاجتماعي والجنسي. وهو لا يأتي ما يأتي من تصرفات جنسية شاذة إلاّ لأنه يشك في رجولته ويخشى المواجهة الجنسية المباشرة مع النساء.

ولا يستعري المستعري لزوجته. وقد يختار ضحاياه من الأطفال ويستعري أمامهم جماعة. وقد يختار لاستعرائه امرأة عجوزاً. وأغلب استعرائه أمام النساء في مقتبل العمر، وفي إحدى الدراسات كانت نسبة المستعرين أمام الجمع من النساء ٦٧٪، وأمام امرأة واحدة ٣٤٪ وأمام الأطفال ٢٥٪.

وقد يكون المستعري ذواقة يختار من النساء ذوات الصدر البضّ أو الساقين الممتلئتين أو الوجه المليح. وقد يستوي الأمر عنده. وإذا حدث وتجاوبت معه الضحية فإنه يتراجع لأنه لا يهدف إلى الفعل الجنسي الكامل الذي تشاركه فيه امرأة مثلاً، لأنّ شرط الاستعراء هو المفاجأة وما يظهر على الضحية من ارتباك وخجل، وكلما أظهرت الخجل وغالت في الارتباك كان هياجه أكبر، وأما أن يتعرى لامرأة فتسرّ بذلك وتدعوه إليها فهذا يصيبه بالقرف منها وينصرف للتو عنها.

والنساء لا يملن إلى الاستعراء كما سبق أن نوهنا، وما يأتينه هو من قبيل الاستعراض، والمرأة فيما ترتديه أو تتزين به أو يصدر عنها من حركات أو أصوات تنحو إلى الاستعراض، ويبدو أنّ هناك معيارين لهذه المسألة، فما قد تعتبره المرأة عادياً لا نظنه كذلك لو أتاه رجل. وعموماً فإنّ من النادر أن تكشف النساء عن عوراتهن بهدف تحصيل اللذة الجنسية، وقد تلتقي بهذا النوع الاستعرائي منهن في الملاهي الليلية دون سواها، والغالبية من النساء لا يملن إلى الكشف عن عوراتهن حتى في الجماع مع

أزواجهن، والغالبية يجامعن في الظلام وقد تطلب المرأة الطلاق لو أصرّ زوجها على الجماع في الضوء أو على الاستحمام معها.

والاستعراء يكون عادة مع مرحلة البلوغ، وتستمر ممارسة المستعري للاستعراء من نحو سن الخامسة عشرة حتى الثلاثين، ويندر أن يأتيه من تجاوز الخامسة والأربعين.

وذكاء الاستعرائي في الغالب متوسط، وتحصيله العلمي أقل من قدراته، والتاركون للدراسة من الاستعرائيين كثيرون ومعظمهم من الطبقة العاملة، وأقلهم من الموظفين، وزواجهم يأتي متأخراً.

وهناك صلة بين الاستعراء والتطلع الجنسي voyeurism لم يعرف سببها. وقد يكون للاستعراء أسباب عضوية أو دوافع نفسية، وقد يكون لتأخر عقلي أو صرع أو ذهان أو تلف بالمخ أو شيخوخة أو للإصابة بالسكر. وقد يكون نذيراً بمرض من هذه الأمراض، وقد يكون بسبب عوامل بنيوية لارتباطه بنمط الجسم شبه الأنثوي.

والاستعراء النفسي عند التحليليين إشباع للمنطقة التناسلية من المناطق الشهوية في الجسم، بمعنى أنّ المستعري قد تكون لذته الجنسية محصورة في عورته فقط، بينما قد تكون لذة البعض في المنطقة الفمية ويكون الاستعراء عند هؤلاء إظهاراً أو استعراضاً للقدرة على التعبير بالكلام أو بالصوت. وقد تزاح اللذة التناسلية إلى سائر الجسم بجميعه ويكون الاستعراض بالملابس والمقتنيات والحركات التمثيلية.

وقد يكون الاستعراء محاولة من البعض لاستبعاد قلق الخصاء عندهم، بأن يؤكد المستعري لنفسه أنّ ما لديه هو قضيب كامل، طالما أنّ النساء حالما يشاهدونه تصيبهن من رؤيته الدهشة، أو يتولاهن الخوف. وربما يكون الاستعراء والاستعراض معاً من الأفعال العدوانية التي يزاح فيها الدافع من الجنس إلى العدوان، ويتخذ شكل السلوك الجنسي العدواني. وقد يكون نتيجة تعلم بالصدفة عممه المريض. وقد يرتبط بالموقف الأوديبي عند المريض من أفراد من جنس عكس جنس المستعري أو

المستعرض.

ولم يفلح التحليل النفسي في علاج الاستعراء، ولربما يفيد العلاج بالتحليل كعلاج مساعد يؤكد به المعالج ثقة المريض في نفسه ويرفع من معنوياته. وإلى هذه الغاية نفسها يهدف العلاج الجماعي والعلاج الشرطي، ويفيد العلاج العائلي في توجيه زوجة المستعري وتبصيرها بأحوال زوجها. وكل ما سبق أنواع من العلاجات لها أثرها على صحة المستعري النفسية والعائلية ولكنها لن تشفيه من الشذوذ نفسه.

وقد أمكن إحراز نجاح حقيقي في علاج الاستعراء بالتنويم والكف المتبادل والتنفير. ويقوم المعالج في العلاج بالتنويم بإرقاد المريض على وسادة وتطمينه ثم تنويمه، ويسأله أن يتذكر ما يتصل بمرضه، ويقدم له التفسيرات مبيناً أنّ الاستعراء فعل جنسي غير مباشر لرغبة جنسية مباشرة لم تجد الإشباع، ولم تأخذ طريقها الصحيح نحو التعبير، وأنّ الاستعراء كاستجابة مشبعة أو لذيذة يكررها المريض وبذلك رسخت كسلوك، وأنّ المريض الآن وقد عرف السبب بوسعه أن يتأبى على هذه العادة وأن يعزم على أن لا يأتيها. ويكرر المعالج هذا الكلام على المريض بصورة أو بأخرى في كل جلسة ليزيد ثقته بنفسه واقتناعه بما يقول. وتستمر الجلسة نحو نصف ساعة أسبوعياً. وقيل أنّ بعض الحالات عولجت من الجلسة الأولى. ويشترط لنجاح العلاج أن تكون إغفاءة المريض عميقة. ويفسر تأثير التنويم على المريض بأنّ للإيحاء تأثيره على إطفاء الاستجابات الشرطية إما بعدم تعزيزها أو بالكف المتبادل.

ويقوم العلاج بالكف المتبادل reciprocal inhibition therapy على أساس أنّ السلوك العصابي هو استجابة متعلمة لا تتناسب وضغوط البيئة، وأنّ إعادة التعلم مطلوبة للتخلص منها. ويتلخص العلاج في عرض المثيرات المحتملة على المريض بالتتابع، وعلى المريض أن يؤشر بيده كلما صادف منها مثيراً يهزه، وعلى المعالج أن يعيد الكرة بادئاً من قِبل المثير الأخير بمثيرين أو ثلاثة، واكتشاف هذا المثير وتكرار عرضه يضعف من تأثيره. وأمكن تطوير هذا العلاج بإعطاء

المريض الصوديوم ميثوهيكسيتال حقناً في الوريد لتحقيق نوع من الاسترخاء الذهني والبدني السريع والعميق، ثم يقوم المعالج بعرض المثيرات المحتملة التي تكف بعضها بعضاً بالتبادل إلاّ ما ينبه إليه المريض فيعاد عرضه حتى يتحقق كفه. والهدف من العلاج بالكف المتبادل هو خفض القلق، ولذلك فهو أصلح للإستعرائيين المصابين بفرط التوتر والعصابية.

والعلاج بالتنفير aversion therapy أو العلاج بالتجنب الإشراطي avoidance conditioning therapy يكون بتدريب المريض على تجنب الاستجابات الشاذة، وهي في الحالة التي نحن بصددها الاستعراء، ويتم ذلك بطريقة فيلدمان المعدلة، بأن يسجل المعالج على بطاقات ما يثير المريض ويدفعه إلى الاستعراء، ثم يعرضها عليه بالتبادل مع بطاقات مسجل عليها عبارات نقيض العبارات الأولى، كأن تكون إحدى البطاقات مسجلاً عليها عبارة تفيد أنّ هناك شابة تجلس وحدها في حديقة عامة، وتكون البطاقة البديلة مكتوباً عليها عبارة تعني تقبيل المريض لزوجته أو ملاطفتها، وإذا تلكأ المريض أمام بطاقة تعبر العبارة فيها عن الانحراف يصاب بصدمة كهربية، وإذا أسرع بالضغط على الزر لرفع البطاقة فإنه يتلافى الصدمة، ويتلو ذلك مباشرة عرض العبارة البديلة. ويلاحظ أنّ العبارات قد صيغت بحيث تزود المريض بالمعلومات التي تكفيه لتكوين صورة ذهنية يملأ ثغراتها بالتفاصيل التي يتمناها. وتبلغ مجموع محاولات المريض بهذه الطريقة عشر محاولات في الجلسة الواحدة لمرة أو مرتين في الأسبوع. وعندما يتأكد المعالج أنّ المريض لم يعد يفكر في الاستعراء لمدة أسبوعين متواليين على الأقل تقلل الجلسات إلى جلسة كل أسبوعين لمدة أسبوعين، ثم جلسة كل شهر تشتمل الواحدة على ثلاث محاولات، ولا يقتصر العلاج على مقابلة واحدة كل ثلاثة أشهر لمدة سنتين.

وقيل إنّ عرض شريط فيديو للاستعراء على المريض يفيد في تنفيره من هذا السلوك، وقيل إنّ دفع المريض للاستعراء أمام معارفه في وقت معين

ومكان معين له نفس الأثر.

ومن المفيد اللجوء للعقاقير لخفض القلق والاكتئاب المحتملين. وللثيوريدازين تأثير كبير على المنحرفين جنسياً لتعطيله للدافع الجنسي لأسباب نجهلها. ولا ينصح بإعطاء هذا الدواء إلاّ في حالة الخوف من معاودة الميول الإظهارية. وقد تحدث الجرعة الزائدة عجزاً جنسياً مؤقتاً أو عجزاً عن القذف. وقد تكون له مضاعفات أخرى منها النعاس وجفاف الفم. ومن الممكن استخدام هذا العقار أو مثيله في حالة الاستعراء الذي يصحبه قذف أو استمناء. وقد ينصح في الحالات الشديدة من الاستعراء والتي تكون فيها ممارسات المريض لعدة مرات في اليوم بجراحة استئصال الخصيتين أو بالعلاج الكهربائي لمناطق المخ الحيوية كالمهاد وتحت المهاد إذا ثبت فشل العلاجات النفسية والسلوكية الأخرى.



– ١٠ –

التطلع الجنسي

Voyeurism; Inspectionism

التنظر أو التفرج الجنسي انحراف يشبع المصاب به نفسه جنسياً باختلاس النظر إلى العرايا ومطالعة الآخرين ومشاهدة الممارسات الجنسية وأخصها الجماع.

واستراق النظر يأتيه الرجال والنساء إلاّ أنه يشيع بين الرجال، وقد يقبل الأطفال على مشاهدة الأفعال المحرمة فلا نجد غضاضة فيما يأتونه عفو الخاطر أو من باب حب الاستطلاع، إلاّ أنه عند الكبار دليل شذوذ، وقد يستعيض به بعضهم عن الإشباع الجنسي المباشر مع طرف من الجنس الآخر، وقد يبلغ بهم الهياج أن يستمنوا أثناء المشاهدة، وقد يستبد بهم شذوذ التطلع الجنسي إلى حد التسلل إلى المنازل ليلاً، ينتهكون حرماتها، أو يسترقون النظر من خلال النوافذ المفتوحة، علّهم يرون المرأة عارية أو تخلع ملابسها، أو زوجين يتضاجعان. وقد تشتد بهم العلة فيرتاد

المريض بالتطلع الجنسي المواخير يطلب استراق النظر إلى عوارت الزبائن ومضاجعاتهم من خلال ثقوب وفتحات يصنعها أصحاب هذه المواخير خصيصاً لهذا الصنف من الانحراف الجنسي ويؤجرونها للمنحرفين.

والواقع أنّ معظمنا به جزء من هذا التطلع، ولا يكاد يوجد منا من لا يداخله السرور من مشاهدة الأفلام الفاضحة أو قراءة الأدب المكشوف والتفرج على المجلات التي تصور العرايا. ولا بأس فيما نفعل إلاّ إذا زادت لذة المشاهدة على لذة الممارسة، وحينئذ يتوجب عرض الأمر على الطبيب النفسي، ومع ذلك فالتفرج الجنسي الكلينيكي نادر هذه الأيام، وربما مرجع ذلك إلى انتشار الوسائل غير المحظورة لإشباع هذه الرغبة عند البعض منا دون التورط في مشاكل قانونية أو بوليسية أو طبية.

والانحراف الجنسي بالتطلع أو التنظر إلى العرايا أو مضاجعاتهم يأتيه خصيصاً النمط الخجول من البالغين، فعندما يكون الشاب خجولاً في علاقاته بالجنس الآخر، ولا يشعر أنه كفء للنساء، فالغالب أن يكون شغوفاً بالمعرفة الجنسية، وقد يقبل على استراق النظر فيشبع حبه للاستطلاع، ويرضي في نفس الوقت حاجاته الجنسية دون أن يلجأ إلى الاحتكاك بالجنس الآخر، وما يمكن أن يجره عليه ذلك من صدمات انفعالية يخشاها كل الخشية ويستشعر منها الإهانة البالغة لشخصه. واستراق النظر يمنحه مشاعر تعويضية بالقوة والتفوق، وبسبب ذلك يستمر المسترق في إتيان هذا الفعل حتى يتثبت عنده كنمط سلوكي. ويتم الاستراق في جو محاط بالسرية ومغلف بالمغامرة والخطورة، فتزيد عنده الاستثارة الانفعالية وتتعزز بها الإثارة الجنسية. وقد يهيج المسترق فيسرع إلى مضاجعة زوجته أو أي من الجنس الآخر، وغالباً ما لا يشبعه الجماع، وقد يكفيه أن يسترق النظر دون جماع، وكثيراً ما يزيد به هياجه جداً حتى لينعظ ويمني، وقد يلجأ إلى الاستمناء باليد، وذلك ما يفعله المراهقون والطلبة والشباب عموماً بعد استراق النظر.

وقد يسترق المتزوج النظر، وغالباً ما يكون كبير السن، وقد يكون رجلاً أو

امرأة، وهو إنسان غير موفق جنسياً في زواجه في معظم الأحيان، وكثيراً ما يجمع به خياله فيتصور نفسه في مكان أحد المتواقعين اللذين يشاهدهما.

وقيل في تفسير التكوين النفسي لمسترق النظر أنه نشأ على مشاهدة أبويه يتناكحان، وكانا يظنان أنه نائم أو أنهما في مأمن من اكتشافهما يتضاجعان، وأنه باستراق النظر يعيد تمثيل مشاهد الطفولة في محاولة للسيطرة على فوضى الانفعالات التي انتابته وقتها.

واستراق النظر ليس من الأفعال اللاجتماعية أو الإجرامية الخطيرة، ويمكن الشفاء منه بالعلاج النفسي قصير الأمد، غير أنه قد يحدث أن يتدرج الاستراق إلى ما هو أخطر من ذلك إذا لم يعالج، كأن يدفع بصاحبه إلى محاولة اغتصاب، أو إلى إشعال الحرائق، وكلاهما من الأفعال التي قد يأتيها بعض المنحرفين عندما يشتد بهم الوجد الجنسي ويضل عنهم الموضوع الذي قد يكون به الإشباع لهذا الهياج. وهذه حالة لمراهق في الرابعة عشرة من عمره استمر يأتي اختلاس النظر الجنسي خلسة، ثم جاهر به مدة خمس سنوات، وكان يصرخ كلما شاهد شيئاً من عورة أو فعل جنسي ليلفت الأنظار، ثم لجأ إلى معاكسة المنظورين، ثم حاول في التاسعة عشرة من عمره أن يغتصب سيدة في الخامسة والأربعين.

ومن الممكن التسامي بدافع التطلع إذا تحول الاهتمام من العورة إلى الجسم ككل، يتأمل منه تكوينه وانسيابه وتناسق أعضائه، ويذهب فرويد إلى أنّ التسامي بهذه الطريقة وسيلة لتصريف الطاقة الشهوية في منصرفات فنية.

وتعشق التطلع الجنسي scopophilia يقابل الاستعراء، كتقابل السادية والماسوشية، ويطلق فرويد على هذه المتقابلات اسم الغرائز المتزاوجة paired instincts.

وتعشق التطلع الجنسي قد يكون من الشخص لنفسه، ويقال له تعشق التطلع الذاتي autoscopophilia، بأن يغرم بالتفرج على نفسه، أو يشاهد عورته أو ينظر نفسه في مرآة يضاجع امراته، أو يستمع إلى تسجيلات لنفسه

يجامعها، فإذا توجّه حب التطلع إلى الآخرين وعوراتهم وممارساتهم الجنسية فهو حب التطلع الموجب، وإذا افتعل الشخص ما من شأنه أن يدفع الآخرين إلى مطالعته والتفرج على عريه وعورته فهو حب تطلع سالب (Freud: Collected Perpers Vol III.).

ويقال للهوس بالتطلع الجنسي أنه غلمة التطلع scopolagnia، وللخواف من مطالعة الناس أنه فوبيا المطالعة scopophobia.

وعلاج استراق النظر الجنسي قد يؤتي ثماره بتدريب المريض تدريباً يزيد ثقته بنفسه ويبطل حساسيته في المواقف التي يكون فيها طرفاً في علاقة مع شخص من الجنس الآخر، او بتنفيره من سلوك استراق النظر بالعلاج السلوكي بالتنفير الذي تعقبه راحة أو بالإشراط المضاد (Jackson: A Case of Voyeurism Treated by Counterconditioning. Behaviou Research and Therapy). (أنظر الغلمة والاغتصاب وهوس إشعال الحرائق).



- ١١ -
الاغتصاب
Rape

هو زنا يقوم على الإكراه فيغضب الرجل المرأة ويقال أنه غاصب rapist، والمرأة مغصوبة أو مغتصبة rapee. والاغتصاب يستهدف به النساء. وليس بمقدور أية امرأة أن تغتصب رجلاً لأنه ما من رجل يمكن أن ينتصب ويباشرها تحت التهديد. والاغتصاب عمل عنيف يقتضي استخدام القوة وهو ما لا تستطيعه امرأة مع رجل. وتحفل مراكز الشرطة ببلاغات عن حوادث اغتصاب لفتيات قاصرات أبكار أو سيدات شابات أو في أعمار متوسطة أو عاتيات في السن، ولم يحدث أن أبلغ شاب عن اغتصاب امرأة له. ويقول كينزي في تقريره «السلوك الجنسي عند الرجل» أنه من بين كل ألف أنثى يتم اغتصاب ٩١ في السن بين العاشرة والتاسعة عشرة، و٢٣٨ في السن بين العشرين والتاسعة والعشرين، و١٠٤ في السن بين الثلاثين والتاسعة والثلاثين، و٤٨ في السن بين الأربعين

والتاسعة والأربعين. وتتضاعف هذه النسب عند الشعوب والمجتمعات المتخلفة، وتختلف من حي إلى حي في المدينة الواحدة، وفي المدن عنها في الأرياف، وتختلف في المجتمع الواحد بحسب أعمار الأفراد.

وهناك علاقة بين انتشار الاغتصاب والحرية الجنسية التي يعيشها الشباب اليوم، والتحلل الأخلاقي المترتب على إلغاء دور البيت والمدرسة في التربية، والإباحية التي تسهم في إشاعتها وسائل الإعلام كالصحف والتلفزيون والفيديو والسينما بما تقدم من قصص وأفلام خليعة تبشر بقيم لا يمكن أن تفرز إلاّ هذا النوع الذي يسعى وراء تصريف الطاقة الجنسية بأي طريقة، حتى لو كان ذلك باستخدام العنف واتباع أسلوب الاغتصاب.

ويقول كينزي إنّ أكثر ما يأتي الاغتصاب من شبان غير متزوجين، وأكثرهم عاطل وسبق اتهامه في جرائم أخرى معظمها جرائم جنسية، وبينما نجد أنّ ٢٢٪ من المغتصبين دون الخامسة والعشرين من أصحاب السوابق، فإنّ هذه النسبة تزيد إلى ٨٧٪ بين المغتصبين في السن بين الخامسة والعشرين والثلاثين، ثم إلى ٩٦٪ بين من بلغوا الثلاثين، أي أنّ الجميع تقريباً في سن الثلاثين الذين يقومون بالاغتصاب أصحاب سوابق، ونصفها تقريباً سوابق جنسية (Kinsey et al: The Sexual Behaviour in the Human Male).

وللغاصب شخصية خاصة يذهب البعض إلى تصنيفها إلى ثلاثة أنماط، الأول يمارس الاغتصاب مدفوعاً بالكبت الجنسي، والثاني هو الغاصب السادي الذي يغتصب لأنه عدواني، ويختار الاغتصاب يصرف فيه عنفه، والثالث هو الغاصب النهّاب الذي يعيش على السطو ويغتصب إذا تسنى له ذلك، ولا فرق عنده إذا سطا على الأملاك أو الأعراض (Reinhart: Sex Perversions and Sex Crimes).

والغاصب من أي نمط من الأنماط السابقة لا بد له من استخدام العنف، إلاّ أنّ العنف الذي يلجأ إليه يختلف بحسب نمط الشخصية، وأكثر العنف يتأتى من النمط السادي، والغاصب من هذا النمط

لا تشبعه المواقعة إن لم يُقسر المرأة عليها، وكلما قاومت تضاعفت لذته من المواقعة. وموقعة الغاصب لا تستغرق الثواني، وقد يمني أثناء مقاومة الضحية، أو قبل أن يولج، أو بعد أن يولج مباشرة. وأما الغاصب النهاب فقد يمارس الاغتصاب بعد أن يسرق، والسرقة عنده تأتي أولاً ثم تكون المضاجعة، ويهدد بالاغتصاب أولاً ليحصل من الضحية على كل ما تستطيع أن تقدمه من مال أو حلى، ثم يمارس الاغتصاب. وهو يعنف إذا رفضت أن تعطيه ما معها، وقد لا يجد معها إلاّ ما هو تافه فلا يتورع عن السطو عليه، وسطوه هو استمرار لممارساته السابقة في السطو، أو ربما للتمويه على الشرطة، فقد يكون الغاصب من النوع الأول المدفوع بالكبت، وعندئذ فقد يخطط لجريمته بحيث تبدو على أن مرتكبها لص يضلل الشرطة عنه.

وتصنف شخصية الغاصب باعتباره لااجتماعياً، واللااجتماعي إنسان معتل النفس، وهو المعني بمصطلح «سيكوباتي» والسيكوباتي له اتجاهات إجرامية وينسب إليه البعض «الجنون الأخلاقي» بمعنى أنّ فهمه يقصر عن استيعاب الأخلاق والعرف، وسلوكه يجافي التقاليد ويشاق الضوابط الاجتماعية، وولاؤه لنفسه، ولا تهمه إلاّ سعادته ولذته، وهو إذ يختار الاغتصاب وسيلة لتحقيق هذه اللذة وتحصيل السعادة فإنه يجعل من النساء أداة لإشباع نهمه الجنسي، وليس أسهل عنده من استخدام العنف إذا قاومته المرأة.

وبعض الذين يلجأون إلى الاغتصاب قد يفعلون ذلك تحت تأثير الخمر، ولكن الخمر لا تدفع كل الناس إلى هذا الفعل إلاّ نفراً منهم تكشف عما بأنفسهم من كراهية وعدوانية لا يجدون متنفساً لهما إلاّ في الاغتصاب.

وهناك نوع من الغاصبين يشهد لهم العارفون بالوداعة والهدوء والخلق، إلاّ أنهم يحذرون نوبات في الهياج تخرجهم عن وعيهم، وهذا النوع شبه فصامي، ورغم هدوئه الظاهري إلاّ أنه يخفي الكثير من الهواجس ويستسلم لأحلام اليقظة، وليس هدوءه إلاّ لأنه متبلد الوجدان بعض الشيء وفي ثورته ينزو على الأعراض.

ويذهب بعض أطباء النفس إلى القول بصنف من الغاصبين يدفعه إلى إتيان الاغتصاب أنه صاحب نظرتين أو معيارين، والنساء عنده إما خيّرات أو فاسقات، ومعاملته تختلف بالنسبة للنوعين، وأخلاقياته مع الخيّرات بخلاف مع الفاسقات، وقد يحلل لنفسه أن ينزو على الفاسقات بدعوى أنهن فاسقات، وبقدر ما تراه مؤدباً مع النوع الأول تراه فاجراً داعراً مع النوع الثاني.

وللضحايا دراسات مستفيضة كالدراسات على الغاصبين، ويطلق عليها الأخصائيون مبحث ضحايا الاغتصاب victimology. والفتاة أو المرأة المغتصبة لها تصرفات تغري الغاصبين على اغتصابها، ويلفت القرآن الكريم النظر إلى مثل ذلك بقول الله تعالى «فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض» (الأحزاب ٣٢) فقد تستخدم المرأة عطراً زاعقاً، أو تلبس ثياباً شديدة البهرجة، أو تضع على وجهها المساحيق بدرجة ملفتة، وقد تمشي تتبختر أو تتحدث لتلفت إليها الأنظار، وقد تكون امرأة سيئة السمعة، ولربما يعرفها الجاني، وغالباً ما لا يتجرأ الرجل على اغتصاب امرأة من غير طبقته، وقد يختارها من نفس الحي الذي يسكنه، ولربما يخرج الغاصب لا يلوي على شيء فتلتقي به امرأة عابرة تسترعي انتباهه بشيء معين فيها، وقد يتصادف أن تسأله إحداهن عن مكتب البريد أو رقم بيت من البيوت فيكون ذلك مدعاة عنده لأن يفكر في اغتصابها. وربما يكون الغاصب قد جالس هذه المرأة لسبب من الأسباب، أو ربما يلمس فيها غباء أو تخلفاً عقلياً أو ينتهز فرصة غياب عقلها بالخمر، أو قد يصدر منها من القول أو الفعل ما يجعله يفهم أنها تدعوه، أو هكذا يتخيل أو يفسر ما يصدر منها، وقد يعول على مضاجعتها فإذا هي تتأبى عليه فيدبر اغتصابها.

ولقد تبين من دراسة الضحايا أنّ أكثر من النصف يسرعن بالاستسلام للجاني حال تهديده لهن، بينما لا تقاومنه إلاّ ٢٧٪ منهن مقاومة لا تذكر، من خلال الكلام وباللجوء إلى البكاء، في حين تستميت في المقاومة ١٨٪ منهن. وربما كان المبرر لهذه المقاومة الضعيفة للغاصب أنّ بالنساء استعداداً لأن يكن مجنيات

عليهن victim proneness أو ضحايا، ويبدو انّ المرأة بفطرتها ضعيفة في بنيتي الجسم والنفس معاً، وأنها لا تستطيع الصمود أمام العنف وسرعان ما تنهار، وربما كان الأقرب لطبيعة المرأة أنها استسلامية.

ورغم أنّ عملية الجماع، لو حدثت على الحقيقة وأولج الغاصب وباشر، لا تستغرق إلاّ ثوان، إلاّ أنه قد تبين أنّ المرأة المغتصبة لا تكون لها البرودة الجنسية التي تجعلها جافة والتي تحول بين الرجل وأن يولج فيها، وهو عكس ما يحدث عندما يحاول الزوج أن يأتي امرأته وتكون كارهة له، فإنّ جفافها يكون بالدرجة التي تمنعه فعلاً أن يولج، وربما يظل الزوج يحاول أن يولج دون فائدة، وقد يضطر أن يستخدم المراهم والكريمات أو أن يبلل قضيبه، إلاّ أنّ الغاصب رغم التوتر والخوف الشديد والعراك والمقاومة وسوء المعاملة والهول الذي ينزل بالمرأة لا يجد صعوبة في الإيلاج بمجرد أن يجد طريقه إلى فرجها، وقيل في تبرير ذلك أنّ الموقف بكل ما فيه من ملابسات قد يكون مثيراً لها، وربما كانت الجنسية في المرأة بشكل عام تستلزم قدراً من القحة والتهجم والجرأة لتتهيج، ولقد كانت النساء في زمان الفروسية وقبل ذلك عندما كان الرجل يضطر إلى خطفها من أبيها وقبيلتها لا تستسلم وتلين إلاّ إذا كان الرجل يبدي من العنف معها ومع أسرتها ما يجعلها تشعر بالمقابل بأنوثتها، وربما كانت هذه النوعيات من النساء اللاتي يغتصبن أو القابلات للاغتصاب تهيجهن هذه الطريقة برغم ما قد يبدين من مقاومة، وكانت هذه النقطة بالذات محل تفكير من كثير من السينمائيين وجعلتهم ينتجون أفلاماً أبطالها وحش مثل كنج كونج يخطف الفتاة فتحبه على الحقيقة برغم وحشيته. وبعض النساء يثيرهن العنف، وقد لا تقبل المرأة الجماع إلاّ إذا ضربت، وربما كانت الوحشية صفة حقيقية لبعض الغاصبين، وهو وحش ضار في كل معاملاته حتى ليلجأ إلى حد إيذاء الضحية بدنياً إلى درجة أنه قد يبول عليها أو فيها تعبيراً عن احتقاره لها، وخاصة إذا كانت امرأة من غير

طبقته، وكان يعرفها من قبل وراودها عن نفسها فتأبت عليه، أو طلب خطبتها فرفضت. والغاصب قد لا يفعل ذلك مع الضحية إلاّ لأنه يشعر أنه أضأل منها قدراً، وهو يخافها لاشعورياً فيعكس الوضع ويثير الرعب في نفسها بالعنف والإيذاء، والاغتصاب نوع من الإيذاء ينزله الرجل بالمرأة كي يثبت لنفسه ولها رجولته وفحولته وسيادته، وربما لا يتخذ الإيذاء الشكل المرضي السابق ولكنه يكون إيذاء صبيانياً، فقد يكون كل ما يفعله بها ان يمسك بخناقها ويشدها من شعرها ويلقيها أرضاً ويرتمي عليها، متلمساً فرجها وثدييها وشفتيها، وقد يدخل بعض أصابعه في فرجها ولكنه لا يولج فيه لأنه عنين، وربما كان دافعه لأن يفعل كل هذا العنف أن يثبت لأقرانه المشتركين معه أنه ند لهم، وربما يثيرهم عنفه معها حتى ليمني بعضهم وهم شهود الموقف، وربما تكون بأحدهم لواطة فيكون الاغتصاب الجماعي فرصة تتبدى فيها هذه الميول، فحالما يشهد اللوطي منهم الغاصب مرتمياً على الفتاة وقد تعرت مؤخرته فقد ينسى نفسه ويعتدي عليه جنسياً مدخلاً قضيبه في دبره.

ومشهد الاغتصاب برمته من المشاهد التي يحوطها العنف، وتجربة الاغتصاب كلها من التجارب التي تلتهب فيها المشاعر وتفرط الأحاسيس، وبعض الناس سواء كانوا غاصبين أو ضحايا لا يجامعون أو يقبلون على الجماع إلاّ إذا سبق ذلك مجهود بدني، وأن يعانوا انفعالات قوية. وهناك زوجات وأزواج لا يأتون الجماع إلاّ إذا كان اغتصاباً، بمعنى أنّ الزوج يشبعه دائماً أن يكون دوره في العلاقة الزوجية هو دور الغاصب الذي يُكره امرأته على أن يجامعها ويباشرها بالقوة، ويشبع الزوجة أن يكون دورها هو دور الضحية التي تُكره على الجماع.

والاغتصاب من المواقف الجنسية التي تُظهر الميول السادية والماسوشية لدى الغاصب والضحية معاً، وتكون الصادية أو السادية بالغاصب بحيث يقسو على الضحية ثم يباشرها بعد ذلك، أو يكتفي بالقسوة عليها إلى حد إشباعه جنسياً دون جماع، وتكون السادية بالضحية فتمتنع عليه وتقاومه وقد تعتدي

بأظافرها على وجهه، وقد تثير مقاومتها ماسوشيته فيستعطفها بعد تجبّر، وتكون الماسوشية بالمرأة فيلذ لها الألم أو التعذيب وتطيل المقاومة ليطول شبقها الألمي ثم تستسلم وتخضع. ومن رأي فرويد أنّ الرجل والمرأة بهما معاً الجانبان السادي والماسوشي، والسادية تعني لذة التعذيب أو الشعور باللذة من تعذيب الغير وإيذائه وإذلاله، والماسوشية عكسها، والرجل عموماً يزيد به الميل إلى السادية بينما المرأة يزيد بها الميل إلى الماسوشية، والغاصب سادي، والمرأة اللعوب التي تغري الناس بها حتى ليطمع فيها الغاصب ماسوشيته والغة في الماسوشية، وسلوكها اللعوب دعوة صريحة لأن يأتيها الرجال بطريق الاغتصاب أي بالتعذيب. والسادي الوالغ في السادية قد يصاحب هتك العرض بإزهاق النفس lust murder، والقتل الذي قد يقوم به قد يأتي عَرَضاً، ولكنه إذا فعله شعورياً أو لاشعورياً فهو عنده دليل على قدرته الجنسية، وهذا الصنف من القتلة تأتيه نوبات القتل أو الجنس في شكل دوري وقهري، فتراه فجأة يبحث عن امرأة يعتدي عليها ويجامعها، وهذا السفاح، أو سفاح النساء كما يسمونه، قد يمثل بضحيته قبل أن يجامعها أو بعد أن يجامعها، وقد يجدع ثدييها أو يثلم فرجها، وينهال على الجروح يلحسها ويمص الدم ويعض ما يثيره من أعضائها وقد يتملكه أن يشرب من دمها (vampirism) أو يأكل من لحمها (cannivalism)، وقد يقذف قبل أن يولج، وقد لا يولج إطلاقاً، وقد تعصف به انفعالاته فيغيب عن وعيه في حمأتها، ثم يعود بعد الاغتصاب شخصاً عادياً إلى أن تأتيه النوبة التالية. وقيل في تفسير سلوك هذا النمط من الغاصبين أنّ ما لديهم من مكونات تدميرية من المرحلة قبل التناسلية لم تستدمج في الشخصية وظلت منفصلة عنها لا سبيل إلى السيطرة عليها، ولهذا فهم هادئون في الأحوال العادية ولكنه الهدوء الظاهري الذي يحمل كل إمكانات المعاودة القهرية للشهوة العارمة التي تجعل منهم شخصيات غاية في الخطورة. ومنهم فريق يتوجه بالاغتصاب إلى جثث الموتى (necrophilia)، فكلما كانت هناك امرأة

متوفاة حديثاً فض الغاصب قبرها وناكحها، وقد يمثل بالجثة ويشوه وجهها بالأحماض، أو قد يأكل من لحمها. ولا شك أنّ هذا الغاصب مصاب بالذهان، ويذهب المحللون إلى تفسير هذا السلوك فيه إلى الخوف الشعوري أو اللاشعوري من الخصاء، بأن يتعين بكل صفات المعتدي الذي يقوم بالإخصاء، فإذا اعتدى وأوغل في الاعتداء وكان اعتداؤه مجرد ضرب وليس فيه خصاء فإنه يطمئن إلى أنّ الخصاء وهم وليس بحقيقة، وأنّ المعتدي لا يقوم بالإخصاء فعلاً بل مجرد قسوة لا خوف منها، وهو يقوم بالتمثيل بجثة الأنثى بسبب هذا الخوف من التأنث، وشبيه بهذا السلوك الذي مصدره الخوف من الخصاء او الخوف من التأنث ما يحدث من بعض المراهقين عندما تنهار لديهم ضوابط الأنا الأعلى فيتسلل المراهق إلى حجرات النساء ليتلف ملابسهن الداخلية ويمزق صورهن (Kopp: The Character Structure of Sex Offenders. Amer. J. Psychother).

والغاصب للنساء غير ذواقة في مسائل الجمال، فهو قد يعتدي على البنت الصغيرة في العشرين، وعلى العجوز الشمطاء في السبعين، وربما يكون الأسهل أن يعتدي على عجائز النساء حيث تكون العجوز وحدها في البيت بعد أن يكون زوجها قد مات ورحل عنها وأولادها، ولا تستطيع مقاومته أو الصراخ (East: Sexual Offemders).

ولقد قلنا إنّ الكثير من الغاصبين متزوجون، فماذا عن زوجة الغاصب، وما هي حقيقة علاقته بها وكيف يتعاملان؟

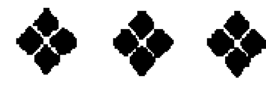
إنّ الغاصب المتزوج يعيش حياة زوجية مضطربة، وزوجته تعاني مثله من اضطرابات خطيرة في الشخصية، وغالباً ما تكون بغياً أو لها باع في بعض المهن التي لها علاقة بطريقة ما بالبغاء او المخدرات، وهي امرأة على قدر من الجمال الحسي الذي يعجب أمثاله، والذي قد يكون مطمعاً للبعض، وتستطيع عن طريقه أن تحقق بعض المكاسب. وهي أيضاً امرأة حرون تتأبى عليه، ولا تنيله نفسها، وترهقه بالمطالب، وتعيّره

بضعفه من حيث قوته البدنية أو سيطرة الآخرين عليه وقلة دخله. ومن ناحيته فهو يختارها لأنها من نفس نوعية أمه، والغالب أنّ الغاصب نشأ في بيت السيطرة فيه للأم ولم يكن فيه من القيم ما يمكن أن يتربى عليه ويكون له بمثابة الضمير الهادي، وكانت أمه أيضاً من النساء اللاتي يتمتعن بقدر من هذا الجمال الحسي مع اتجاهات ذكورية واضحة، وزوجته التي اختارها تشبه أمه وقد تكرر معه خبرات من طفولته. وهو يلجأ إلى الاغتصاب لأنه في الماضي وهو طفل قد اشتهى هذه الأم الحلوة المسيطرة ولم ينل شيئاً، وهو في الحاضر يشتهي زوجته، وهي صورة أمه، ولا يتحقق له مما يشتهي شيء. والاغتصاب الذي يقوم به هو فعل مزاح إلى الفتاة التي يعتدي عليها، من الأم المغرية من الماضي والأم المغرية الحالية (الزوجة) المتأبيتين عليه، وهو يتوجه بعدوانه إلى هذه الفتاة وكأنه يُخضع بعدوانه عليها أمه وزوجته، وتتأتى لذته من رؤية الفزع المرتسم على وجه الفتاة واستسلامها له وقدرته الجنسية عليها.

والغاصب لا ترجى فائدة من علاجه، وذلك لعمق الخلل في شخصيته، وعدم رؤيته لحقيقة ما به، وعدم استبصاره لاضطراباته، وعدم فهمه لما يقال له من تحليلات أو تفسيرات، وعدم تجاوبه لما يطلبه منه العلاج، وهو غير راغب في العلاج ولا يتصور أنه مريض نفسياً، وليست له دوافع لكي يطلب مثل هذا العلاج، ويقاومه بشدة.

ومن الخطورة أن يبقى الغاصب حراً، أو أن يسجن لفترة ويطلق بسراحه من جديد، وذلك لأنه سيعود إلى ما كان يفعل، ولن يحال بينه وأن يكرر التجربة من جديد وباستمرار، وحتى الآن ليس من سبيل لدفع أذاه ووقاية المجتمع من شرّه إلاّ بالسجن مدى الحياة أو الإعدام، وذلك بالنظر إلى الفساد الشديد الذي يلحق بالمجتمع من سلوكه الخطير. وبالرغم من أنه ليست هناك دراسات منشورة تتابع تأثير الاغتصاب على الضحية، إلاّ أنه قد لوحظ أنّ هناك فرقاً بين اغتصاب البنت البكر أو السيدة التي تنتمي لعائلة محترمة واغتصاب الفتيات ذوات السمعة السيئة أو السيدات من

طبقات اجتماعية متدنية. والاغتصاب بالنسبة للنوع الأول بمثابة زلزال يهز نفس البنت أو السيدة المحترمة هزاً عنيفاً، ويكون كالصدمة الشديدة تنهار بعده، ولا بد أن يتابع علاجها طبيب نفسي، وأن تكون هناك لقاءات له بالعائلة كلها ليبين للجميع العلاقات الجديدة التي ينبغي أن تكون لهم بها. وربما يتخلف لدى البنت نتيجة هذه الخبرة المؤلمة ما يجعلها تعاف الجنس وتخشى الجماع وترهب جنس الرجال، وقد تصاب باكتئاب شديد أو بفقدان للذاكرة لبعض الوقت. وكانت هناك محاولة من أحد السينمائيين لتصوير تأثيرات الاغتصاب عن قصة يوسف أدريس عن عمال التراحيل، ولكنه جعل وفاة بطلة القصة عن طريق حمّى النفاس فسقط الفيلم، وكانت هناك محاولة أخرى في فيلم فرنسي بعنوان هيروشيما حبيبي، فساوى بين تأثيرات القنبلة الذرية وردود الفعل للاغتصاب فأجاد في التعبير أيما إجادة. والواقع أنّ الاغتصاب له هذا الفعل التدميري على الضحية. ولا يمكن أن تستطيع البنت بعد هذا الحادث المؤلم غاية في الألم أن تواجه أهلها والجيران والطالبات معها أو الموظفات في عملها. ويضطر أهلها إلى الانتقال إلى مدينة أخرى وتتقطع بهم كل الأسباب بالأقارب والأصدقاء والمعارف، وهذا بعض ما يترتب على الاغتصاب من نتائج مادية، ناهيك عن النتائج النفسية المتصورة. (أنظر الانحراف الجنسي واشتهاء الموتى وأكل لحوم البشر والسادية والماسوشية).



- ١٢ -
البغاء
Prostitution

يُقال بغت المرأة بغاءً بكسر الباء أي فجرت، وهي بغي prostitute، وهي المأجورة على مضاجعة الرجال، والبغاء حرفتها. وليست البغي مجرد زانية أو خُلطة، فالزانية adulteress تواقع بدافع الشهوة، والخُلطة promiscuous هلوك تشتاع الرجال، وأما البغي فابتياغها من

أجل المال وحده، وهي تقتضيه عيناً، والبغاء لذلك انحراف جنسي، وجريمة في نفس الوقت تدرج ضمن جرائم الجنس sex crimes، لأنّ غاية الفعل الجنسي في البغاء تخرج عن نطاق الإشباع الجنسي المقنن وتستوجب العقاب.

والأدب أو الفن الذي يعالج البغايا هو البورنوجرافيا pornography، وهو الأدب المكشوف أو الفن الفاضح. وللبعض ولع مرضي بالفواحش pornolagnia، وهوس بأدب البغايا ومصوراتهن pornographomania.

وقد يحترف الرجل البغاء، وبغاء الذكور غيري الجنسية heterosexual-male p. هو الذي يبيع فيه الرجل طاقته الجنسية للنساء، وهو نادر، والرجل البغي قد يضاجع أكثر من امرأة في اليوم الواحد ويتعمد أن لا يمني، وقد يكون مصاباً بالغلمة، وقد يكون مأبوناً أو لوطياً. وبغاء الذكور مثلي الجنسية homosexual-male p.، وهو الذي يؤجر عليه الرجل فيكون مأبوناً يأتيه الذكران لقاء مال، أو يكون لوطياً يأتي هو الذكران نظير المال. وقد تلحق المواخير بعضاً من هؤلاء بها يكونون تحت الطلب call boys، فلربما يحضر الزبون الذي طُلبته المأبون أو اللوطي. وقد يعملون لحسابهم، وغالباً ما لا يكون لهم قواد. وقد يكون البغي المأبون رفيق يهوى إليه، وقد ينفق عليه. وقد يكون الزبون هو المأبون، وهناك الكثير من الزبائن لبغاء اللواط هذا، وبعضهم من الفنانين والسياسيين. وكانت هناك الكثير من الفضائح في أوروبا التي تورط فيها وزراء ورؤساء وزارات في إنجلترا وغيرها، وفنانون كبار كانوا من المترددين بانتظام على المواخير كزبائن لبغاء اللواط. والبغي اللوطي لا يمني ويسلك مع الزبون مسلكاً رجولياً رغم أنه قد يكون مأبوناً هو نفسه، وهو مضطر أن لا يُظهر أنه مأبون وإلاّ تحطمت صورته عند الزبون الذي يقدم أساساً ليواقع رجلاً غيري الجنسية. وقد يكون البغي الذكر غيري ومثلي الجنسية في نفس الوقت.

والبغاء المثلي الجنسية منه بغاء تتمومس فيه النساء للنساء. وبغاء المساحقات نادر، وقد تفعل البغي

السحاق وإن لم تكن مثلية الجنسية إرضاءً لزبونة مفاحشة.

وقد تتفاضل البغايا فيقال العاهرة housegirl للبغي المرخصة يأتيها الرجال في بيوت الدعارة brothels، وبعض الحكومات تشرف على هذا النوع من البغاء وتتقاضى عليه الضرائب، وتفرض على صاحباته الكشف الطبي الدوري، اعتقاداً أنّ الدعارة المنظمة أسلم للصحة وأصون للأخلاق. والمومس call girl هي الفاجرة جهاراً، من ماست المرأة أي تبخترت واختالت، يستقدمونها عن طريق القوادين procurers أو بالهاتف، وقد تؤم الحانات وتسامر السكارى ولها عمولة على عدد ما يحتسي الزبون من زجاجات الخمر، واسمها عندهم لعوب الخمارة bar girl (B-girl) أو الفتّاحة، لأنها التي تفتح زجاجات الخمر وتغري الزبون على طلبها. وقد تتصيد زبائنها من الشوارع وتسمى السكّاكة street walker، وهي أقل البغايا شأناً، ولا تختار زبائنها ولا تدقق في السعر، وسلوكها مرصود من بوليس الآداب morals police والمومس أعلاهن أجراً (Greenwald: The Elegant Prostitute)

وقد تتخصص بعض البغايا في المصابين بالأمراض النفسية كالسادية والماسوشية. وقد تتجنب بعضهم المباشرة. وقد يقتصر بغاء لعوب الخمارة على القول الفاحش، وقد تمني الزبون بيدها، وقد تستعري أمام الزبائن، وقد تستعرض الجماع مع أحدهم بشهادة الحضور.

وامتهان البغي للبغاء قد يكون من خلال ديوث أو بتأثير إحدى البغايا. وتستغرق إحاطتها بالثقافة المتخصصة للبغايا بضعة شهور. وتتحصل لها أثناء ذلك صورة عن نفسها منبتة الصلة بالصورة القديمة أو تكاد، وتغير اسمها وعاداتها، وتتوثق معرفتها بلغة البغايا وفنونهن وتقاليدهن وأفكارهن وقيمهن المشتركة.

وتحن البغي إلى الحب وتهفو إلى أن تكون محبوبة كشأن الناس جميعاً، وتزيد بها هذه الرغبة كلما بعدت الشقة عن ماضيها وتورطت أكثر في دنياها الجديدة وحذقت أن تتباعد عاطفياً عن زبائنها. وقد تجد الحب غالباً لدى عشيق هو في

نفس الوقت قوادها، وقد تحسبه يبادلها الحب، ويشبع القواد حاجة الحب عندها بالإضافة إلى أنه يجلب لها الزبائن ويدفع عنها الأذى ويرعى شؤونها المالية ويكفلها لو قبضت الشرطة عليها، وقد يشاركها العمل إذا ظهر أنّ الزبون لوطي أو رغب في استعراض جماعها به.

وبوسع البغي أن توزع حياتها فلا تسمح لنفسها بأن تقع في غرام أحد الزبائن أو أن تستجيب في الجماع. وقيل إنها في حياتها الخاصة ومع رجلها قد تستجيب وتبلغ الهزة، وقد تكون سريعة في التجاوب أكثر من النساء العاديات، وقيل إن البغي عنينة (Glover: The Abnormality of Prostitution)، وربما كانت هذه العنة هي سبب احتراف البغاء، ولأنها باردة جنسياً ولا تنفعل بمن تتصل، وهذا هو معنى العنة النسوية، فإنها تستطيع أن تضاجع أكبر عدد من الزبائن في اليوم الواحد، وقيل إنّ بوسعها أن تباشر أكثر من عشرين رجلاً متتابعين.

وقد تتمايز البغايا في الشخصية والدوافع والخلفية الاجتماعية، وبعضهن لهن أسباب عضوية، والكثيرات منهن مصابات بالفصام وباضطرابات في الشخصية، والبعض يتوسل بالبغاء لحيازة ما يتمنين من أطايب الحياة، والبغاء هو اختيارهن الحر لتحصيلها، وبعضهن مدفوعات إليه بسبب إدمان الخمور والمخدرات، وبالبغاء يحصلن على المال اللازم لشراء «الكيف»، وقد يقال لذلك إنّ البغاء، بسبب كل ما أسلفنا، دوافعه اجتماعية واقتصادية أكثر منها نفسية.

وتختلف الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها البغي كاختلاف الطبقة الاجتماعية التي يكون منها الزبون الذي يأتيها، وتتفاوت حظوظ البغايا في الحياة بحسب ذكاء كل واحدة وقدراتها ودوافعها ومستواها الثقافي وصراعاتها.

وتقر البغي بمغايرتها عن بقية النساء، وترد ذلك إلى نمط المجتمع الذي تعيش فيه والذي يجعل للبغاء قيمة مادية أكبر مما لكثير من المهن الفكرية. وهي لا ترفض القيم الاجتماعية وإن كانت لا تعمل بها، وتعلل خروجها على التقاليد بتأثير الظروف، وباضطرارها إزاء إلحاح ضغوط الحياة، وحاجتها لإعالة أسرتها أو

أطفالها الأيتام أو أبويها المسنين. وقد تزعم بعضهن أنهن نشأن على البغاء، أو أنهن ما كنّ ليكن بغايا إلاّ لأنهن لم يعرفن معنى أن تكون لهن أسرة في طفولتهن، ولم يكن لهن من يعولهن أو يكفلهن، أو لأنّ آباءهن وأمهاتهن طلقوا وهن بعد صغار، أو لأنهن كن بنات سفاح.

ويبدو من كل البحوث التي استقصت رأي البغايا في أسباب احترافهن للبغاء، أنّ نشأة البغي الأولى كانت في جو عائلي مضطرب ومشحون بالكراهية، وأنّ طفولتها كانت بائسة ملأت قلبها بالحسرة وبالمرارة، فتمردت على وضعها باحتراف البغاء، غير أنّ الباحثين يجمعون على أنّ الانحراف الجنسي أو سوء الوظيفة الجنسية كان العامل المشترك في اتجاه البغايا إلى الاحتراف. وذكر أحدهم أنّ خمس عشرة حالة من بين ست وعشرين كن مصابات بالجنسية المثلية. ونوه الكثيرون إلى وجود علاقة بين البغاء والجنسية المثلية (WordKassebaus: Women s Pridon).

وقيل إنّ البغي تكره الرجال وتبيع لهم الجنس مقابل المال تعيش عليه. وقد يكون من الطبيعي أن تتجه إلى الجنسية المثلية بوصفها الشكل الأمثل والأنقى في رأيها من كل أشكال العلاقات الجنسية. وتؤكد الاستقصاءات أنّ النساء اللاتي كن غيريات الجنسية قد يتحولن إلى الجنسية المثلية بعد احتراف البغاء، ولم يثبت بعد أنّ البغي التي تتحول إلى الجنسية المثلية بعد اعتزالها البغاء تهجر الجنسية المثلية وتعود إلى الغيرية الجنسية.

وقد يتصل البغاء بأسباب قوية بالتخلف العقلي وضعف المقاومات النفسية وتهافت الأنا الأعلى و سوء التربية والافتقار إلى إطار مرجعي من القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية. وهناك حالات تقسر الأم بناتها على البغاء يوردها القرآن «ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء» (سورة النور الآية ٢٣). وقد تكون البنت قاصراً يعاقب القانون على الاتصال بها باعتبار بغاء القاصر اغتصاباً. وتتساهل القوانين الوضعية عموماً مع البغايا. ويبدو أنّ هذه القوانين أفرزتها الحاجة إلى البغاء في القرن التاسع عشر عند التحول من الاجتماع

الزراعي إلى الاجتماع الصناعي وقيام المدن الكبرى. ووجود فائض من النساء لا يجدن أزواجاً، وتجمعات من العمال يعسر عليهم الإقامة المستقرة والدخل الثابت وإعالة الأسرة.

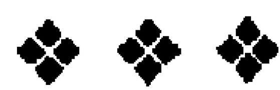
وكثيراً ما يرتبط البغاء بالجريمة بحكم المجتمع المعزول للبغي وثقافتها الخاصة واعتمادها على سماسرة وقوادين تجارتهم الجنس والمخدرات، وقيام مهنتها على الممنوعات والمحظورات.

والبغي الملتزمة هي التي تفيد من البغاء المنظم، وفي المقابل تتقيد بما عليها من إتاوات أقلها ٢٠٪ من أجرها، وربما تتعرض للعقاب إذا حاولت التملص أو أن تعمل لحسابها. وهي عادة لا تسرق إلاّ إذا كانت سكاكة حتى لا يشكوها أحد للشرطة، وإن كانت تعرف أنّ الزبون قد لا يشكوها اتقاء للفضيحة، ولكنها كأي حرفية لا تريد لتجارتها البوار، وترجو أن يعاود الزبون زيارتها لو أعجبته، وقد تتورط البغي كشريكة في جريمة يرتكبها القواد الذي تعمل لحسابه، أو الديوث الذي تحبه، أو العصابة التي تتبعها.

وكثيراً ما يتوجه عتاة المجرمين إلى المواخير أو يتصلون بالبغايا بعد ارتكابهم لجرائمهم مباشرة. وتعرف الشرطة ذلك وتستخدم البغايا للإبلاغ عن مثل هذه الحالات.

وقيل إنّ الرجال يقبلون على البغايا بقصد التنويع الجنسي، أو أنّ من يأتيهن في الغالب هم المعاقون أو كبار السن ممن يشق عليهم مجامعة النساء بطرق اجتماعية مقبولة.

وقد يكون من بين الدوافع إلى تردد الرجال على البغايا نظام الزوجة الواحدة المعمول به في كثير من بلاد العالم، أو العجز حتى عن أن تكون للرجل زوجة واحدة بسبب التعقيد في حياتنا الاقتصادية أو الاجتماعية، والشروط التي تضعها الأسر والبنات للزوج الذي يفضلنه، وبسبب الاضطرابات النفسية التي يصاب بها الكثير من الناس في عصر القلق وما يترتب على ذلك من عجز الكثيرين والكثيرات أن تكون لهم أو لهن علاقات جنسية متكافئة يمكن أن تتصف بالدوام.



- ١٣ -
المشاعية الجنسية
Promiscuity

قد يتشارك الأزواج في زوجاتهم أو تكون النساء على الشيوع في مجتمع من المجتمعات، ويقال للرجل الذي يشتاع النساء أنه إباحي أو خلط (بكسر الخاء) أو عبيث (من العبث بسكون الباء) أو شيع (بتشديد الياء المكسورة) promiscuous، وللمرأة أنها خلطة أو إباحية أو عبثية.

والخلطة (بضم الخاء) أو المشاعية الجنسية خلاف البغاء الذي تؤجر المرأة عليه. والمختلطون قد يتهادون وقد تكون بينهم هبات مالية تبذل للنساء ولكن لا يقال للمرأة أنها بغي، فالبغاء أكبر في مضمونه، والبغي تخالط ولكن المرأة الخلطة لا تكون بغياً لمجرد أنها تخالط أو تتلقى هدايا على مخالطتها، فشرط البغاء أن يكون هناك أجر معلوم يتفق عليه وتتسلمه البغي عيناً، والمرأة الخلطة لا تؤجر على ما تفعل، ولا يقال لها أنها خلطة إلاّ لأنها توجد في مجتمع يقوم على الزواج ويتزوج فيه الرجل من امرأة أو أكثر، ولكن لا يباح فيه للمرأة أن يكون لها أكثر من زوج، فإذا لم يكن المجتمع يسمح بالخلطة، ولم تكن الخلطة من العرف الأخلاقي فإنها تعتبر انحرافاً جنسياً. وعلماء النفس يقولون إنّ نوازع المشاعية الجنسية فطرية في الإنسان، وعندما أراد أفلاطون أن يرد المجتمعات إلى أصولها الفطرية جعل النساء على المشاع، وفي المجتمعات التي كانت تحكمها الأمهات كان النساء يخالطن وينسب الأولاد للنساء وليس للآباء، وفيما بعد اقتصرت المخالطة على الملكات دون غيرهن، ثم لما تحولت المجتمعات إلى سيطرة الرجال صار من حق الرجال وحدهم أن يشتاعوا النساء، وحددت اليهودية للرجل أربع زوجات، وكذلك فعل الإسلام. وقيل في ذلك أنه باقتصار المرأة على زوج واحد لم تعد المسألة في الجنس بهدف تحصيل اللذة ولكنها بهدف الإنجاب وحفظ الأنساب، إلاّ أنه برغم ذلك ظلت الرغبات والممارسات المشاعية في الجنس ملحوظة وظاهرة، وقد لا يتبين حقيقتها البعض ولكنها تدفع بالكثيرين ولو لاشعورياً إلى السلوك

المخالط، غير أنّ المرأة على أي الأحوال وفي كافة المجتمعات تميل بفطرتها إلى أن يكون لها شريك واحد في الجنس، وهي أكثر ميلاً لأن يكون لها بيت وأسرة، وأكثر محافظة على بيتها وأقدر على أن تنأى بنفسها عن كل فعل يورطها جنسياً، وذلك لما قد تجره عليها المشاعية الجنسية من نتائج يترتب عليها إنجاب أولاد من آباء لا ترغب أن تكون لها منهم ذرية، إما لضعف تراه المرأة في هؤلاء الرجال، أو لانحطاط في النسب والشرف. والأسباب النفسية التي تدفع إلى زيادة الخلطة عند الذكور عنها عند الإناث كثيرة، منها أنّ الذكر بفطرته يجد لذة في أن يطالع مختلف الإناث أثناء المضاجعة، وأن يغير باستمرار متوقعاً أن يجد اللذة في تغيير الإناث من حيث بنية المرأة وتكوينها الجنسي وطرق إتيانها واستجاباتها، والرجل بفطرته ذوّاق، وعنده أنّ كل امرأة لها مذاق خاص، ويحب باستمرار أن يجرب ويغير، وذلك لا يناسب المرأة وليس من طبعها غالباً.

ويدفع الرجل إلى المخالطة أنه سيجد في الشريكة الجديدة شيئاً جديداً، ويحب أن يمارس مع الجديدة شيئاً تعلمه مع المرأة السابقة عليها. ويتبيّن من الإحصائيات المختلفة أنّ تجارب الرجل النسائية قبل الزواج وبعده وخلاله أكثر مما يمكن أن تفعله النساء أو أن تطلبه. وهناك من علماء النفس من يرى أنّ الانحرافات الجنسية يُختص بها غالباً الرجال دون المرأة، وأنّ الإباحية أو الشيوعية الجنسية دعوة توفر عليها الرجال أكثر من النساء، وكانت الإباحية إحدى الفرق التي أبطأت قدرة العبد على اجتناب المنهيات وجعلت النساء مشاعاً، ويقال لكل من يحذو حذوهم أنه إباحي. ويعيش الإنسان المعاصر الإباحية والحرية الجنسية ويدعو إلى المخالطة ويحميها بالقانون. ولا يعاقب القانون على أن يتخالط الرجل والمرأة طالما أنّ ذلك كان من خصوصياتهما. ويميل بعض العلماء إلى إطلاق اسم الجنوح الجنسي على الشيوعية الجنسية، والجنوح الجنسي في تعريف هؤلاء هو الحالة التي يشتاع فيها الرجال والفتيات القاصرات دون الثامنة عشرة، وتقوم بقيام الجماع وتنتهي بانتهائه. والرجل المخالط يهمه

أن يجامع ويفضي إلى المرأة ولا يهمه أن تبلغ المرأة الإنعاظ، وغالباً ما لا تبلغ المرأة المخالطة الإنعاظ. والمرأة التي ترضى بهذه الطريقة في الجماع تعاني من اضطرابات نفسية مؤكدة، وهي تدخل التجربة الجنسية مع الرجل تلو الآخر، وكما قيل لا تفعل ذلك إلاّ لأنها تنشد الحب وتفتقد الأمان، وهي في تجاربها المخالطة تحسب أنها في لحظة التماس الجسدي تعوض نفسها عن الصلات الحميمة التي تكون بين المحبين الذين يدخلون تجربة الحب الناضجة فتكون لهم وجاءً عن التردي الجنسي غير المشبع. والمرأة المخالطة تصاب من جراء الفشل المتلاحق في أن تحوز الإشباع الحقيقي بالإحساس بالمهانة وبالوحدة وبالعجز، وتشعر أنها بخلاف غيرها من النساء، ومشاعرها تلك تباعد بينها وبين المجتمع وتزيد إحساسها بالاغتراب والمغايرة. والرجل المخالط الذي يأتي النساء باستمرار، ويدخل تجربة الجنس الواحدة بعد الأخرى ربما يكون هارباً من التزام أعمق وعلاقة أقوى برجال آخرين تدفعه إليهم مشاعر لواطية، وربما يكون المخالط من النوع الذي يقال له زئر النساء، وهذا النمط يتميز بدوافع الكراهية لجنس النساء بسبب علاقات فاشلة له بأمه في مراحل حياته المختلفة. وربما كانت المرأة المخالطة تعاني أيضاً من مشاعر إحباط بأبيها منذ المرحلة الأوديبية، وقد يكون مرجع مخالطتها الدائبة رغبتها في الانتقام من جنس الرجال لهذا السبب.

وقيل في أسباب المخالطة أنّ الأخلاط ينحدرون غالباً من بيوت ينتشر بين أفرادها الإدمان على الخمور والمخدرات، ويشتاع فيها الرجال والنساء، ويكون الآباء فيها نماذج سيئة للأولاد في سلوكهم. وكثيراً ما يكون الخلط مكروهاً من أسرته ويشعر بأنّ أبويه ينبذانه ولا يريدانه، ويحس من ثم بالوحدة، ويصنع منه الحرمان العاطفي جانحاً. فإذا كان الخلط أنثى فقد يدعوها داعي الحب يوماً فتستجيب فوراً لتعوض ما فاتها ولتشعر أنها مطلوبة ومرغوبة، فإذا انزلقت مرة فقد تنزلق بعدها مرات، وتعتاد المخالطة، وتعيش المشاعية الجنسية تماماً حتى ليصعب

علاجها من بعد.

وبعض الأخلاط ينحدرون من عائلات محافظة ولكنهم يتمردون على التزمت الذي ينشأون به، ويشبون على الكراهية، ويأخذون أنفسهم بأن لا يفصحوا عما يجيش بصدورهم من انفعالات، وما يدور في رؤوسهم من أفكار طالما هم صغار لا حول ولا قوة، ويؤجلون ذلك إلى فترة المراهقة، وعندها ينقلبون على سلطة الأبوين ويتمردون على الأخلاق ويستبيحون كل محرّم، وكأنهم في كل ما يصدرون عنه يثأرون لما عانوه وما ظل بهم محبوساً لمدة طويلة.

وربما يكون السلوك المشاعي وسيلة المراهق لمدافعة الإحباط والقلق في حياته، وقد يأتيه المراهق تأكيداً لاستقلاليته فيتورط بالانضمام إلى الجماعات التي لها دعوات تحررية أو راديكالية أو انحلالية، فيمارس المخالطة الجنسية مع أفرادها وكأنه يمارس نشاطاً جماعياً من نوع النشاطات الطقوسية الشائع بين هذه الجماعات، وإذا لم يكن على دراية بمزالق هذا الطريق فقد يضل تماماً ويعتاد المخالطة ويضيع للأبد.

وقد تكون البنت المراهقة على قدر متواضع من الجمال فتحب أن تعوض ما تشعر به من نقص بالمبالغة في التودد إلى الرجال والإيقاع بهم. ولقد ثبت من دراسة ٢٦٧ حالة من المخالطات أنّ معلوماتهن الجنسية هزيلة ومغلوطة، وأنّ أكثر من ٦٠ منهن مصابات بالبرود الجنسي (Lion et Al: An Experiment in the Psychiatric Treatments of Promiscuous Girls). وكذلك ثبت أنّ الكثيرين من المشتاعين جنسياً متأخرون عقلياً سواء كانوا رجالاً أو نساء، وأنّ بعضهم يعاني من استجابات هوس واستجابات لااجتماعية. ويكثر الفصام بين المخالطين وذلك يفسر عجزهم عن السيطرة على انفعالاتهم وشهواتهم. وقد يرجع ضعف قدرتهم على ضبط النفس إلى سوء تكيف انفعالي إلى شديد. وكانت هناك من بين ٥٤ حالة لنساء خلطات بين سن ١٥ وسن ٣٩ ثلاثون حالة مصابة باضطرابات الشخصية. وسبع عشرة حالة مصابة بالفصام، وسبع حالات مصابة بالعصاب، أي أنّ الحالات كلها كانت لنساء مريضات عقلياً ونفسياً

(Cattel: Psychodynamic and Clinical Observations in a Group of Unmarried Mothers).

وهناك نوع من المشاعية الجنسية يطلق عليها اسم المشاعية الجنسية الثلاثية troilism أبطالها ثلاثة، يمكن أن يكونوا ذكوراً فقط، أو إناثاً فقط، أو خليطاً من الذكور والإناث، يشتاعون بعضهم بعضاً في ممارسات جنسية مثلية بين الرجال والرجال، أو ممارسات جنسية غيرية بين الرجال والنساء، أو ممارسات مثلية وغيرية معاً. وقد لا تكون ممارساتهم الجنسية فيما بينهم ولكنهم يؤلفون معاً جماعة تتخذ العنف سلوكاً لها، ويشتركون معاً في عمليات اغتصاب يخططون لها سوياً ويقومون بها جميعهم، وقد تكون مباشرتهم الجنسية لأنفسهم ولغيرهم أيضاً.

ومن الصعب علاج المخالط والمخالطة من حيث أنّ الاضطرابات التي يعانيان منها اضطرابات أصيلة، وليس لديهما الاستبصار بها، ولا يحدث أن يطلبا الخلاص منها. غير أنّ بعض المخالطات ممن تأتين المشاعية الجنسية بتأثير غواية الصاحبات وتحت إلحاح الظروف قد يزهدن بسرعة في تحصيل الجنس من هذا الطريق وينشدن الزواج، وهؤلاء يتربى لديهن الخوف من العواقب الاجتماعية، وربما كان الحضور الأبوي في لاشعورهن أقوى من أن يكون الانزلاق إلى المشاعية هو السبيل إلى منازلة سلطة البيت. وغالباً ما ينحدر هؤلاء من بيوت محافظة، إذ لا سبيل إلى توية المخالط أو المخالطة التي تنشأ في الرذيلة وتتربى عليها، ويتشكل بها ضميرها، وتتخذ منها نماذجها السلوكية.

(أنظر البغاء).



- ١٤ -
الدياثة
Gigolism

الديوث هو القواد الذي يتعيش من فروج النساء، والدياثة أو القوادة هي مصاحبة البغايا يقوم بها الديوث أو القواد بغية الكسب المادي، وهو رجل

فاقد للغيرة ولقيم الشرف والرجولة التي يتمثلها كل منا عن طريق التربية وبالتعين بالوالدين. والديوث لم يجد في محيطه الأب الفاضل الذي يتعين به، ولم يعثر على من يمكن أن يحل محله وأن يكون بديلاً له، وما تمثله ممن حوله هي الدياثة، يتعرف إلى أسرارها منهم، ويأخذها عنهم. والمحيط الذي يتربى فيه هو محيط يمارس المشاعية الجنسية، وذات الديوث لا تعرف الخصوصية، لأنّ الوسط الذي يعيش فيه منذ طفولته الباكرة لا يُختص فيه أي أفراده بشيء منه، فالكل يتبع الكل، وكل أفراده يعيشون لأنفسهم، والجنس مباح قد يمارسه الذكر مع الأنثى أو مع الذكر، والدياثة حرفة، وفي الدول الصناعية هي من نوع الجريمة المنظمة التي لها رئاسة وفروع، وتمارس كتجارة. والديوث نرجسي، ويعاني من اللواطة التي قد تكون كامنة أو صريحة. وهو يقدم النساء للرجال وكانه يقدم نفسه، وعمله لذلك يسعده ويعطيه لذة كاللذة الجنسية، وهو لذلك يتجمل كالنساء ويبدو أحياناً كالمتشبه، إلاّ أنه إما يكون كالمتخنث له جسم امرأة ويهتم بلباسه ويبدو مهندماً أو غندوراً متبرجاً من غير ذوق، وإما يكون واضح الذكورة بالملامح والعضلات، وظاهر العدوانية، ويكثر من ضرب البغايا، وقد يتخذهن وسيلة للسطو على الزبائن وتجريدهم من النقود ومتعلقاتهم. وفي الحالتين هو الإنسان الاعتمادي الذي تلعب النساء دوراً في حياته وفي إعالته. وتبرجه ليس إلاّ محاولة للتجمل لإخفاء حقيقته، وعالمه مغلق، وأفكاره غير ناضجة، وانفعالاته طفلية، وسلوكه لا يتجاوز به العالم الذي يعيش داخله، أو هو في سلوكه العدواني لا يثق فيمن حوله إلاّ في نفسه، ويعبر عن كراهية النساء، ولا يصدر في سوء معاملته لهن عن دوافع جنسية، بقدر ما يصدر عن دوافع تعويضية، نتيجة شعور بنقص الكفاءة الجنسية، فيسلك هذا السلوك ليثبت بالسيطرة التي يحكمها عليهن أنه قادر جنسياً، أو هو قد يزيح كراهيته للناس والنساء والرجال بصفة خاصة، من سوء المعاملة التي كان يلقاها في طفولته إلى هذا الصنف من النسوة الضعيفات من

البغايا، يستغلهن ويدفعهن إلى احتراف البغاء كوسيلة للتكسب.



- ١٥ -
زنا المحارم
Incest

الزنا أدانته كل الأديان والشرائع من قديم الزمان، وزنا المحارم هو نكاح أو جماع المحارم، ومحارم المرء تشملها سورة النساء «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء» و«حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين والمحصنات من النساء». وقيل لذلك أنّ المحارم من النسب سبع، ومن الصهر سبع. ولم يكن نكاح الأنسباء والأصهار الأقربين محرماً في التاريخ القديم. ويحدثنا التوراة أنّ سارة زوج النبي إبراهيم عليه السلام كانت أخته لأبيه، وأنّ ابنتي لوط ضاجعتاه وولدت له الكبرى والصغرى ابنين. وقيل إنّ سبب تحريم نكاح الأقربين ما ينتجه من نسل سيء. ويذهب علماء الحياة إلى أنّ التزاوج بين الأقارب الأقربين قد يحدث تثبيتاً لما يكون بالأسرة من صفات وراثية غير مستحبة. وما لم يكن هناك مرض يخشى انتقاله بالوراثة من السلف إلى الخلف فإنّ التزاوج بين الأقارب الأباعد ليس منه ما يُخشى بأسه.

ولعل أكثر ما يكون بين المحارم هو أن يأتي الأخ أخته، أو الأب ابنته، أو الابن أمه، أو زوج الأم ابنة زوجته، أو زوجة الأب ابن زوجها. وذلك قد يحدث بين السفلة من الناس وبين العلية على السواء، غير أنّ حدوثه بين السفلة أكثر، وخاصة إذا كانت هناك مخالطة بين الصبيان والبنات في النوم قبل وقت المراهقة أو زمنها، وقد نهى الرسول عن ذلك فقال «فرقوا بينهم في المضاجع».

وعادة ما يُقسر الأخ الأكبر سناً أخته الصغيرة على مضاجعته، وهناك عائلات الفسق فيها طبعي، وقيل إنّ منها عائلة أوديب، وقيل إنّ أوديب في الكتابات الأولى عنه، قتل أباه وهو يحاول أن يأتيه. وهو في الأسطورة واقع أمه، وكذلك فعلت جوكاستا حينما واقعت ابنها، وكليتمنسترا وأوريست وإليكترا.

والأب الذي يباشر بناته غالباً ما يكون في الثلاثينات أو الأربعينات، ونادراً ما يبلّغ أحد من أفراد الأسرة عن وقوع جريمة من هذا النوع، وقد يتم الإبلاغ عنها عن طريق طرف ثالث كأن يكون مدرّسة الفصل أو الناظرة أو صديقة البنت أو صديقها أو الأم المطلقة. ولذلك قيل إنّ نسبة الزنا بالمحارم تتراوح بين ٢,٤٪ و٦,٣٪ من كل الجرائم الجنسية، وإن كانت في الحقيقة أكبر من ذلك بكثير، وقيل إنّ ١٥٪ من البنات في إصلاحيات الأحداث من ضحايا الزنا بالمحارم، أو كن يمارسنه. وعادة ما تكون التجربة قاسية بالنسبة للبنت، وقد تنمو لديها بسببها مشاعر ذنب قوية وأحاسيس متضاربة تجاه الجنس، وتستحدث بها نفوراً شديداً من الرجال يرهص بفشل زواجها من بعد. وحتى لو تهاونت البنت فيما يحدث لها أو شاركت في الفعل المحرم، فإنها عندما تعرف من بعد أنّ ما حدث لها أو شاركت في فعله محرم، قد تتخلف لديها زراية بنفسها، وقد تمرض بالقلق وقد تصاب بالاكتئاب والخوافات المختلفة أو الفوبيا.

وكثيراً ما تكون العلاقة المحرمة، وخاصة بين الأب وابنته علامة على تدهور عضوي بالمخ عند الأب بسبب الشيخوخة المبكرة أو بفعل تصلب شرايين المخ الذي يعجل بالشيخوخة، ولذلك مردود نفسي من شأنه أن يتدنى بالشخص المصاب حسه الأخلاقي فيتخفف من الضوابط والنواهي والزواجر وتضطرب لديه معاني الحرام والحلال. وقيل إنّ الراشد الذي يغشى محارمه إنسان مضطرب الشخصية، حتى ولو كان له مظهر المتوافق اجتماعياً، وكثيراً ما تكون شخصيته لااجتماعية، أو يكون بناء شخصيته شبيهاً ببناء شخصية الفصامي، وقد

يكون متخلف العقل، أو واقعاً تحت تأثير الإدمان وقت وقوع جريمته.

وعادة ما تكون النساء اللاتي يجامعن أبناءهن الذكور مصابات بالفصام أو متخلفات عقلياً تخلفاً شديداً. ويروي شتيكل أنّ الأولاد كثيراً ما يمشون أثناء النوم، وقد تقع منهم تجاوزات جنسية مع المحارم أثناء ذلك، وأكثر ما يكون ذلك بين الابن وأمه، أو بين الأخ وأخته، ولا يذكر الولد في الصباح شيئاً مما فعله في الليل.

وعقدة المحارم incest complex عبارة عن رغبات جنسية مكبوتة تجاه المحارم، تكون عند الابن لأمه، أو الأب لابنته، أو الأخ لأخته أو بالعكس، وتحكم تصرفاته وتوجهها، وقد تتسبب عنده في الإصابة بأعراض ومخاوف وأفعال قهرية شديدة التعقيد من شأنها أن تحول بينه وبين تحقق هذه الرغبات، وكثيراً ما تؤدي إلى العنة عند الذكور أو البرود الجنسي عند المرأة وغير ذلك من الظواهر العصابية (Stekel: Encyclopedia Sexualis).



- ١٦ -
الفيتيشية
Fetishism

الفيتيش Fetish كلمة أطلقها البرتغاليون في فتوحاتهم في إفريقيا على الأشياء الطبيعية أو الصناعية التي وجدوا الأهالي يتقنونها أو يتعبدون إليها باعتبارها ذات تأثير سحري. وربما كانت الكلمة إفريقية. والفيتيشية هي الاعتقاد في أشياء كهذه مثل التمائم والطلاسم والرقي. والفيتيشية بخلاف الطوطمية، لأنّ الطوطم حيوان يعتقد الأهالي - وهم بدائيون أيضاً - أنه جدّهم الأكبر. وفي الطب النفسي الفيتيشية حالة مرضية تندرج ضمن الانحرافات الجنسية، يكون فيها التهيج أو الإشباع الجنسي من مشاهدة أو ملامسة جزء من الجسم دون بقية الجسم، كأن يكون الثدي أو المؤخرة أو الفخذين أو الساقين أو الشعر أو الأذن. وقد يستغني المريض بهذا الشذوذ بالملابس الخاصة بأجزاء من الجسم كهذه، كالألبسة التحتية والجوارب والمناديل والقفازات، وقد يغرم المريض

بالروائح العطرية أو مشابك الشعر. والفيتيشية من الاضطرابات التي يلاحظ اقتصار الإصابة بها بين الذكور عنها بين الإناث، أو أنه من النادر أن توجد الفيتيشية بين الإناث. والمريض بها يغالي في تقدير جسم المرأة ككل أو أعضاء منه دون أعضاء، وتميز تلك الحالة الأخيرة بأنها بُضعية partialism، والفرج يطلق عليه البضع، بمعنى أنه جزء من كل أو أنه الجزء الذي يتركز فيه الكل. وفي البضعية قد يكون الفخذ أو الثدي أو الساق أو المؤخرة رمزاً للفرج، ويتعشق المريض هذا العضو كبديل عن الفرج، وقد تشبعه جنسياً مشاهدته، وقد يمني تلقائياً لدى رؤية امرأة بالمواصفات التي يهواها، وقد يلمس هذا البضع منها فيمني، وقد يستغني بصور لهذه الأبضاع يستمني متطلعاً إليها. والفيتيشية الصحيحة هي أن يستغني بأجزاء من ملابس المرأة ترمز لهذه الأبضاع، والمريض يتملكه هوس اقتناء هذه الملابس، وقد تفتش حجرة نومه فتجد خزانات مليئة بها، وقد يرتديها إذا نام وكأنه يضاجعها، أو قد يحملها معه إلى سريره ويستمني متوهماً أو متخيلاً بحسب حالة المريض وإزمان المرض معه. وبعض المرضى يشكون من فيتيشية سمعية acoustic fetishism وهي الغرام المرضي بأصوات نسائية لها طبقة صوتية معينة أو ضحكات خاصة، أو قد يكون غرامهم بسماع القصص الجنسي وتلذذهم بما يحكى لهم منه، فيتعينون بأبطاله ويرون أنفسهم فيهم ويشعرون بما يشعرون به، وتراهم يسألون عن التفاصيل ويستزيدون الراوي منها. ويطلق بعضهم على نوع المرضى الذين يحبون أن يرتدوا الملابس النسائية التي يتعشقونها بحيث تلامس اللحم منهم اسم فيتيشية الالتحام adherent fetishism، فإذا كانت أشياء النساء لا تُلبس، ولكنها تقتنى ليتحسسها أو يتشممها، كخصلات الشعر مثلاً أو الفراء، فإنّ الاضطراب يطلق عليه اسم فيتيشية الالتصاق coherent fetishism. وهناك أيضاً الفيتيشية الحيوانية beast fetishism، بحيث يتلذذ المريض من ملامسة جلد الحيوان ويشعر بحرارته، أو يتحسس فراء الحيوان كما لو كان شعراً

أنسياً. ويطلق بعضهم اسم الريتيفية retifism على نوع الفيتيشية المنتشرة عند بعض الرجال والتي يغرم المرضى بها بالأحذية الحريمي، مثلما كان يفعل مريض فرنسي اشتهر بهذا الانحراف وكان اسمه ريتيف البريطوني Rétif de la Bretonne (١٧٣٤ - ١٩٠٦)، وعنده، وعند الكثيرين من المرضى بهذا الانحراف يرمز الحذاء للفرج.

ومن النظريات المفسرة للفيتيشية أنّ الأثر أو الفيتيش يكون كذلك عند المريض بارتباطه باكراً في خبرته بالاستثارة الجنسية، وذلك شيء يحدث بالصدفة ويتكرر معه فيستقر في وعيه أنّ اللذة الجنسية تصاحب ظهور هذا الأثر، فإذا طلب اللذة بحث عن الأثر، وتصبح هذه الطريقة هي النمط المفضل عنده للتنفيس عن رغباته وإشباع نفسه جنسياً، وقد لا يكون باستطاعته أن يحوز الأثر، وعندئذ قد يلجأ إلى السرقة، أو ربما يلجأ إلى السرقة لا لأنه لا يستطيع أن يشتري الأثر ولكن لأنّ السرقة تزيد من الإثارة في عملية اقتنائه أو حيازته، ولذلك فقد يعمد المراهقون من هذا النوع إلى اختلاس بعض الملابس الداخلية التي تخص أمهاتهم أو أخواتهم ليستمنوا فيها. ثم ترتبط عندهم السرقة واستخدام الملابس الداخلية الحريمي باللذة الجنسية، ومع التكرار تترسخ العادة فيهم وتتأصل كنمط سهل ومضمون من أنماط السلوك الجنسي المنحرف.

ولربما يكون التعلق جنسياً بالأثر أو الفيتيش مسألة متعلمة منذ الصغر، وهناك من الأولاد من يرفض الذهاب إلى النوم إلاّ إذا أُعطي بعضاً من ملابس أمه ليحملها معه إلى سريره فكأنها أمه. وقد يعمد الأطفال الأكبر سناً إلى تقبيل قفاز من يحبونها أو يحتفظون منها بمنديلها، وتراهم شديدي الاحتفال بأشياء من هذا القبيل ويولونها الكثير من اهتمامهم. وقد تزاح الاستثارة الجنسية إلى أثر يرتبط بالصدفة بأول خبرة جنسية للولد. وتمثل الآثار من هذا النوع في نظرية التحليل النفسي كبدائل للموضوعات الجنسية في الطفولة، وقد يتحكم في اختيار الأثر لونه أو رائحته أو شكله إلخ.

وقيل أيضاً أنّ التلف المبكر للفص الصدغي من المخ قد يتحصل بسببه أنّ الطفل لا يميز بين المثير الجنسي الصحيح والمثير الجنسي غير الصحيح، ويظل ذلك معه من بعد، طالما أنّ تلف المخ قد استحدث وانتهى أمره. وقيل أيضاً أنّ الفيتيشية يلجأ إليها الأطفال كمنقذ لهم من قلق الخصاء، فالطفل عندما تعز عليه أمه ويخشى أباه قد يستعيض عنها بجزء من ملابسها أو أشيائها الخاصة. ويقول فرويد إنّ الطفل عندما يكتشف أنّ البنات ليس لهن قضيب فلربما يؤكد له ذلك إمكان أن يحرم هو نفسه من قضيبه، وفي بعض الحالات قد يؤدي ذلك الاكتشاف إلى أن يغفل ما يرى ببصره وينتقل به سريعاً إلى شيء آخر، وقد يتصادف أن يكون هذا الشيء هو الشعر أو الحذاء أو الملابس الداخلية أو أعضاء الجسم الأخرى، ومن ثم يظل هذا الشيء (الشعر أو الثدي أو القميص أو الحذاء) بديلاً لعضو الأنثى وموضوعاً لشبقه. ويرى فرويد أنّ الطفل يحقق بذلك نتيجتين، فهو من ناحية ينكر حرمان الأنثى من القضيب وفي نفس الوقت لا يرى عندها قضيباً، ومن ثم يستحيل في جزء منه واقعياً، وفي جزء غير واقعي، فإذا نما الطفل وشبّ عن الطوق يظل فيتيشياً جزئياً، وينمو جسمياً بشكل سوي جزئياً، أي أنه يظل فيتيشياً إلاّ أنه لا يكون محروماً من الميول الجنسية السوية في نفس الوقت.

وقيل أيضاً أنّ هناك نوعين من المرضى بالفيتيشية، فنوع يسمونه الفيتيشي الرقيق soft fetishist، وهو الذي يهوى أشياء كالفراء والشعر والريش، ونوع يسمونه الفيتيشي الصعب hard fetishist، يحب الأشياء الثقيلة الجلدية أو المطاط. وقيل كذلك أنّ مرض السرقة هو نوع من الفيتيشية، طالما أنّ السارق لا يسرق لأنه يحتاج إلى المسروقات يتعيش منها، ولكنه يفعل ذلك لأنها أشياء مثيرة له جنسياً، أو هي رموز جنسية واللجوء إلى سرقتها يزيد استثارتها الجنسية. وقيل إنّ تعشق إشعال الحرائق أيضاً ضرب من السلوك الفيتيشي، لأنّ مشعل الحرائق يفعل ذلك بتلذذ، وهو عادة يستمني وهو يشاهد الحريق يزيد أواره.

ويفيد العلاج النفسي من حيث زيادة

استبصار المريض بحالته وفهمه لدوافعه، ويصحب ذلك علاج سلوكي بالتنفير، كأن يستحضر الأثر للمريض، فكلما شاهده يعطى صدمة كهربية، وبذلك يتعلم أن ينفر منه بالتدريج، وقد يتلو ذلك أن يشاهد صورة لفتاة جميلة ليس فيها من الأثر الذي كان متعلقاً به شيء بالمرة، وحينئذ لا تكون هناك الصدمة الكهربية بل يصاحب ظهور الصورة موسيقى، ويرغّبه المعالج في أن تكون له بالنساء العلاقة الجنسية المعتادة.



- ١٧ -
الجماع بالبهائم
Zooerasty

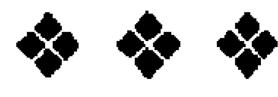
إتيان البهائم منهي عنه في الإسلام، وكذلك في التوراة، غير أنّ الحد الذي يترتب عليه مختلف بشأنه، ففيه التغريد وفيه القتل أيضاً رغم أنه ليس بزنا. ويروي علماء البيولوجيا أنه في دنيا الحيوان والطيور والحشرات قلما تأتي الذكور إناثاً من أنواع أخرى، وقد تحدث مباشرات استثنائية. ولا يدري العلماء سبباً يجعل الثدييات مثلاً لا تأتي إلاّ الثدييات من أنواعها، وحاول بعضهم أن يرد ذلك إلى مثيرات خاصة مرسلة من الذكور ومستبقلة في الإناث، تقتصر في كل حالة على نوع معين دون النوع الآخر، ويبدو أنّ كل نوع قد زوّد بما يخصه بحيث يقتصر التزاوج على أفراده، إلاّ أنّ المباشرة قد تحدث أحياناً بين الأفراد من الأنواع المختلفة بحكم الظروف، وذلك هو التفسير الوحيد لإتيان البهيمة من قِبل أفراد الإنسان، ويكاد ذلك يقتصر على حالات معظمها مكانه الريف حيث يكون الاتصال بالحيوان أكثر منه في المدينة. ويروي كينزي أنّ نحو ٢٩٪ من الأولاد في الريف يباشرون البهائم في سن المراهقة وما بعدها بقليل، وأنّ ١٥٪ من نشاطهم الجنسي يصرّف في هذا المجال، وأنّ المراهق يفعل ذلك مرة على الأقل كل أسبوع. وقد يعتاد البعض ذلك ويستمر فيه إلى سن أكبر، وهناك حالات مواقعة لأشخاص في الخمسينات،

وأحياناً بعد ذلك أيضاً (Kinsey: Sexual Behaviour in the Human Male). وأما في المدينة فالغالب أن تتوجه المباشرة إلى الحيوانات الأليفة وخاصة الكلاب، وكثيراً ما يقع ذلك من أولاد المدينة إذا انتقلوا إلى الأرياف واحتكوا بحيواناته وشاهدوا سفادها مع بعضها. وعموماً فإنّ نسبة المواقعة بين الأولاد والحيوانات في الريف قد تزيد عليها في المدينة بحوالي ٥٠٪، وأحياناً تقل إلى ٣٠٪، وقد يكون الاتصال مباشراً بالإيلاج في مهبل الحيوان، أو بمجرد حك القضيب بالفرج، وأحياناً تكون المباشرة باستثارة الحيوان إلى حد الانتصاب، وأحياناً الاستمناء للحيوان وللمباشر نفسه، ويشمل ذلك الذكور والإناث من الحيوان والإنسان، وأكثر ما يكون ذلك للكلاب الذكور، وقد يحدث أن يشترك عدد من الأولاد معاً في هذا الفعل. ويبدو أنّ السبب في تورط أولاد الريف عن أولاد المدن بالنسبة لإتيان البهائم كثرة ما يشاهدونه من أنواع السفاد بين الحيوانات والطيور في الأرياف، الأمر الذي يستثيرهم جنسياً وقد يغريهم أن يكونوا على فحولة هذا الطير أو ذاك الحيوان، وقد يغري ذلك الصبي أن يحاول أن يستمني الذكر، ويلذه أن يهيجه، وقد يجعله ذلك يستمني هو نفسه، وقد يحاول أن يرى نفسه في هذا الذكر ويفعل فعله مع أنثاه، غير أنّ ذكور الحيوانات تستجيب للاستثارة عن الإناث وخاصة الكلاب، وبعض ذكور الكلاب ترتبط نفسياً بالإنسان الذي يكرر معها ذلك سواء كان ذكراً هو نفسه أو أنثى، وهناك حالات لذكور وإناث من الكلاب ارتبطت بأصحابها حتى أنها استغنت بهم عن جنسها. وقد يغري الصبي حبه للاستطلاع فيحاول بنفسه ما شاهده على الطبيعة. وقد يدفعه إلى ذلك ما يعرفه عن رفاقه في هذا المجال مما يقصونه عليه. ولربما يدفع إلى هذه الممارسات مع البهائم طبيعة الحياة الريفية ذات التقاليد الشديدة المحافظة والملتزمة بتعاليم الدين، ومن ثم فقد يدفع الحرمان الجنسي والتزمت إلى التحول إلى الحيوانات على اعتبار أنّ الحيوان لا يرفض المواقعة ولن يفضح الفاعل. ولربما يكون للتكرار

تأثيره على الممارس وينطبع به نفسياً، وبعد أن يكون إتيان البهائم في أول الأمر نوعاً من التنفيس يصبح مع التكرار الوسيلة المفضلة لتحقيقه، وعندئذ قد يصبح من اليسر الشديد على المراهق أن ينتصب وأن يستمني وأن يعتاد هذا الفعل قبل النوم. وكثيراً ما تأتيه الأحلام بمواقعات مع بهائم، أو قد يتخيل في استمناءاته باليد أنه يواقع إحداها. وأحياناً ما تنشأ علاقة عاطفية بينه وبين حيوان بعينه، وهو شيء كثيراً ما نشاهده في المدينة أيضاً في مضمون العلاقة بين الحيوانات المنزلية الأليفة وأصحاب البيت، حتى إنّ بعض السيدات ليصبن أحياناً بالاكتئاب أو تضطرب أحوالهن النفسية بفقدانهن لكلب او قط عاش معهن لبعض الوقت. والغالب أنّ يتخلص المراهق من هذا الارتباط بالبهائم من حيث النشاط الجنسي ويطلب الإناث من البشر، إلاّ أنه قد يعود إلى مواقعتها إذا كانت الفترة من المراهقة التي ارتبط فيها بهذه البهائم طويلة.

والمواقع للحيوانات عند أصحاب التحليل النفسي إنسان يتجنب العلاقات الجنسية الإنسانية، وقيل إنّ السبب ربما يكون لدوافع نفسية ورغبات مستعرة بأن يأتي المحارم من أقاربه الأقربين، فيصيبه من ذلك جزع، ويتحصل له الشعور بالذنب، ولربما يفرغ رغباته في الحيوانات فتكون بديلاً عن الأم أو الأب أو الأخت، وهذا النوع من الانحراف يروج عند البعض الذين ما يزال بهم بعض التفكير الطوطمي، فيحلون الحيوان محل الشخص المحبوب وبذلك يتخلصون من القلق ومشاعر الذنب، بالإضافة إلى أنّ الحيوان لا يبوح بالسر، وسيظل شريكاً أبكم، ويمكن التحكم فيه، ومن خلاله يمكن تصريف أخطر الانفعالات تجاه الوالدين دون خطر يذكر. وكثيراً ما يكشف استقصاء تاريخ حياة المنحرف أنه في طفولته كان يلعب مع أحد الوالدين لعبة الحيوانات، كأن يتصنع الأب أنه كلب أو حصان أو خروف أو ديك. وقد يكشف التحليل أنه كان كثير المشاهدة للسفاد وتعين بذكر الحيوان أو بأنثاه، ثم تحول إلى الممارسة تمثيلاً

للمشهد الأولي الذي تأثر به. ومن شأن الأنا الأعلى عند هذا المنحرف انه بدائي يعزف عن أي إشباع جنسي بالطريقة الطبيعية. وقد يصاب بهلع حقيقي وخوف من الإخصاء يظل معه طوال حياته نتيجة رفسة من الحيوان او عضة. وهو يأتي الحيوانات في أول الأمر ليؤكد لنفسه أنه سليم جنسياً وكامل الفحولة وليس بالضآلة التي تدخلها في روعه علاقاته الأوديبية بوالديه. وقد تكون في المواقعة فائدة عندما تعز أية طريقة أخرى تعيد إليه ثقته بنفسه، إلاّ أنه بعد فترة لا بد أن يتخلى عن هذا الفعل وإلاّ تثبت عنده وصار به منحرفاً. وربما يتحصل هذا الانحراف إذا أسقط المنحرف الصورة المثالية التي للوالدين عنده على أحد الحيوانات، وعندئذ قد يرى في هذا الحيوان ما يقربه إليه ويحببه فيه، ويجعله يسعى إليه كلما استبدت به الرغبة، ويجد عنده الإشباع. ويترافق ذلك وأن يصنع المنحرف للحيوانات صوراً كالخيالات والتوهمات تأتيه شعورياً ولاشعورياً، وتسهّل له علاقته بالحيوانات. ويتميز المنحرف الذي تثبت عنده إتيان البهائم بعدم النضج الشديد، والعجز عن القيام على المسؤوليات التي يقوم بها وينهض عليها البالغون، كما يتميز بالخوف من الناس وقد يتودد إليهم ولكنه دائماً يحذرهم، واتجاهاته لها الصبغة النرجسية الواضحة، واختياره للحيوان كشريك هو طرح حقيقي للجانب الحيواني الغالب عليه.



- ١٨ -
مص القضيب
Fellatio

قد تشمل الاستثارة الجنسية والتجاوب معها كل مناطق الجسم تقريباً التي تنتشر بها أعصاب اللمس وإن كانت تتركز في المناطق الجنسية وفيما يسمى المناطق الشهوية، إلاّ أنّ أي جزء من الجسم يمكن شحنه شهوياً بحيث يصبح موضع لذة، ويتحصل ذلك لمختلف الناس عند مراحل النمو النفسي

الجنسي، ومن ذلك الشفتان واللسان وداخل الفم، ولكننا بالتعلم الإشراطي قد نعزف عن استخدام هذه المناطق استخداماً جنسياً كاستخدامنا للقضيب أو الفرج بسبب الثقافة، وهناك من الثقافات ما يُقصِر الجنس على هذين العضوين دون سواهما ويعتبر التقبيل مثلاً من المحرمات، أو على الأقل من المحظورات. ولا ينظر علماء النفس والبيولوجيا والأنثروبولوجيا إلى الأنشطة الجنسية غير المباشرة نظرة أخلاقية ولكنهم يردونها إلى طبيعة الإنسان بوصفه من الحيوانات الثديية، وكانت الإنسانية تأتيها دائماً وذلك ما عرفناه من كتب التراث والآثار المصورة عند المصريين والإغريق والصينيين واليابانيين والرومان والهنود وغيرهم. وبسبب التحريم الذي فرضته الأديان الكتابية بخاصة فإنّ الناس حالياً قد لا يستجيبون لممارسات كمص القضيب أو لعق الفرج، وقد يصاب البعض بالغثيان لو فرضت عليه، وتبين أنّ الذكر دائماً هو الذي يذهب إلى هذه الممارسات سواء عند الحيوان أو الإنسان، وطبقاً لتقرير كينزي فإنّ الأنثى في الإنسان هي التي ترفض أن تكون في المباشرة أو في مقدمتها نشاطات تعدها شذوذاً في السلوك الجنسي. ويبدو أنّ المرأة هي بنت العرف عن الرجل، وهي عندما ترضخ لأهواء الرجل فقد تفعل ذلك ولكنها تستشعر الذنب بعد أن تفعله، وفي إحدى الحالات مثلاً أصيبت امرأة بما يسمى انفتال العنق أو الصعر، وعولجت بمختلف العلاجات ولم يصلح معها إلاّ العلاج النفسي، وتبين بالتحليل أنّ تاريخ إصابتها بهذه الحالة جاء مع مباشرة بينها وبين زوجها حيث طلب منها أن تمص قضيبه فرفضت وأشاحت بوجهها عنه بشدة، ولكنه أجبرها على ذلك، فلما انتهت ونامت ظلت رقبتها ملتوية إلى الوضع الذي أشاحت بوجهها إليه في أول رفضها، وقامت في الصباح تشكو هذه الحالة وظلت بها مدة سنتين كاملتين قبل أن يكتشف الطبيب المعالج السبب الحقيقي. وهناك حالات طلاق كثيرة تتم بناء على طلبات من الزوج تعتبرها الزوجة شاذة، وقد يحدث أن يقبل الزوج رفض الزوجة إلاّ أنه يتوجه

إلى إشباع شذوذه من بعد لدى البغايا، وإذا حاول الطبيب أن يقنع الزوج أنّ طلباته ليست إلاّ شذوذاً وينبغي الإقلاع عنها فإنما يقف من الزوج موقفاً أخلاقياً، ولا يعدو أن يكون فيه في دور الواعظ، إلاّ أنّ العلم لا يرى في مص القضيب عملاً فيه ضرر من الناحية البيولوجية وإن كان ذلك ضد القيم الراسخة والمتأصلة في كل المجتمعات تقريباً. وحتى المومسات عندما يقبلن مص القضيب فإنما يفعلن ذلك استجابة لدواعي المكسب المادي ولكنهن في ممارساتهن مع أزواجهن لا يقبلن أبداً هذا الشيء، وإنما يأتين من السلوك ما يتفق مع القيم السائدة في طبقاتهن، والمعروف أنّ المومسات كثيراً ما ينحدرن من أوساط اجتماعية متدنية، وثبت أنّ مص القضيب فعل جنسي معقد لا يأتيه من هذه الطبقة إلا ١١٪ فقط، بينما قد يشيع في الأوساط الطلابية، وخاصة لدى طلبة الجامعات، ويأتيه منهم نحو ٦٥٪. والمص هنا من الإناث للرجال، أما المص من الرجال للرجال فلم تزد نسبته عن ٦٪ وهو من ممارسات اللواط ويعتبر انحرافاً أساسياً.

والمص نفسه له طرق عدة، فقد يكون الرجل واقفاً ثم تركع المرأة على ركبتيها وتتناول قضيب الرجل بشفتيها أو فمها، أو يستلقي الرجل على ظهره وتكون المرأة بين فخذيه، وإذا لم يكن الرجل منتصباً فإنّ المص مع خض القضيب كالخض الذي يكون لضرع البقرة عند الحلب، يجعله ينتصب. وقد يكون المص لعقاً بأن تجري على القضيب بلسانها من الحشفة إلى آخره، أو تدور على الحشفة بلسانها، وقد تضعه في فمها دون أن يصاب من الأسنان وتضغط عليه بشفتيها دخولاً وخروجاً كما في الجماع مع زيادة السرعة بعد فترة، وقد تستدخله حتى ليلامس الرأس زورها، وقد تأتيها من ذلك حالة كالقيء دون أن تقيء فعلاً، وقيؤها ليس قيئاً نفسياً ولكنه انعكاس يتحصل للزور كالذي يقيء باستدخال يده حتى الزور. ولكي يمني الرجل تستمر المرأة في الإمساك بالقضيب بيدها بلطف وتحركه في فمها أو عبر شفتيها أو تخرجه وتضرب به على الشفتين. وقد لا تكون

المرأة مستعدة لتلقي المني في فمها فتتوتر قليلاً لهذا السبب استعداداً للإمناء، وقد تتلقاه في فمها وتحافظ على أن لا يبلغ بلعومها ثم تلفظه من فمها، وقد تبلعه، وبعض النسوة يقلن إنه لذيذ، ولا يكون له طعم في أول الأمر ثم تبدو له ملوحة من بعد. وبعض النساء يسمحن بالمص مقابل لعق الفرج، ويرقد الاثنان متعاكسين بحيث يكون الرجل فوق المرأة ووجهه عند فخذيها، بينما عورته فوق رأسها.

ويذهب أصحاب التحليل النفسي وعلى رأسهم فرويد إلى أنّ مص القضيب من جانب المرأة أو من جانب اللوطي الذي يأتيه لآخر هو فعل من تأثير التثبت على المرحلة الفمية، حيث يكون شحن الشفتين والفم بالطاقة الشهوية عالياً، ويحل القضيب محل حلمة الثدي، ويُستدخل القضيب إلى الفم وكأنه حلمة ثدي الأم قديمتً في الطفولة الباكرة، وتلجأ المرأة أو الرجل اللوطي لذلك لأنّ به حاجات فمية لم تشبع من هذه الطفولة. وأما الرجل الذي يجعل المرأة تمص قضيبه ويتكلف لذلك ولا يجد لذة في الجماع ما لم يبدأ بهذه الطريقة: أو ينحصر الجنس كله في المص فإنه غالباً يعاني من عقدة الثدي، ويجعل المرأة تمص له وكأنّ قضيبه ثدياً، وكأنه يباهي به المرأة كثدي، وتجعل عقدة الثدي الرجل إيجابياً كالحالة السابقة، وقد يجعل المرأة تمص ثديه مقتصراً على ذلك، أو قد تجعل الرجل سلبياً بحيث يطلب الثدي أو البديل له كالقضيب، وقد يجعله ذلك منحرفاً فيهوى حاملات الثديين (السوتيان) ويقتني منها الكثير وهو الاضطراب المسمى بالفيتيشية، أو أنه يصبح مأبوناً ويتعشق قضيب زميله في اللواط.

ومص القضيب يقال له أيضاً لحس القضيب penilingus، والمص يكون بإدخال القضيب في الفم، بينما اللحس يكون بإمرار اللسان عليه من الخارج. وماص القضيب أو اللحاس fellator هو الذي يفعل ذلك لآخر، ويقال له مصاص، ومصان أيضاً، والأغلب أن تفعله المرأة للرجل فيقال لها ماصة القضيب fellatrice واللحاسة والمصاصة والمصاية.

ويطلق على مص القضيب أيضاً اسم الجماع الفمي coitus oralis لأنه جماع ولكن وسيلته ليس الفرج، والكثير من الحيوانات الثديية تأتيه كما عرفنا وخاصة الثدييات العليا وأخصها الإنسان، ولذا فقد يكون إتيانه أحياناً من باب التنويع في الجماع ولكنه شذوذ إذا كان هدفاً في حد ذاته وليس تقدمة للنكاح، أو كان بين ذكر وآخر. والشذوذ فيه أن يصدر عن كلف به، وتعشُّق القضيب قد يستحيل في الحالات المرضية وعند البدائيين إلى عبادة القضيب، والمقصود بعبادة القضيب في التحليل النفسي أن يُشحن القضيب بالشهوة فيصبح مركز اللذة الجنسية وليس أداة تحصيلها بالجماع بين الذكر والأنثى، وعندئذ يأتي الماص عملية المص كنوع من التعبّد، أو يكون المص أهم شعيرة من شعائر عبادة القضيب.

والمص الذاتي للقضيب auto fellatio أو self fellation هو أن يضع الماص قضيبه في فمه ويمارس المص بنفسه، وهو شيء عادي في الحيوانات ولكنه مستحيل في الإنسان، وتأتيه قرود الريسوس والماندريل والشمبانزي، وقد يحاوله الإنسان في المراهقة بشكل تلقائي وبتأثير خلفيته الحيوانية. ويحكي كينزي أنّ اثنين أو ثلاثة في الألف قد ينجحون في المحاولة، وأنه كانت هناك حالة واحدة في العينة التي اختارها لرجل في الخامسة والثلاثين ظل يمارسه منذ المراهقة كنوع من العادة السرية.



- ١٩ -
الدقر الجنسي
Frotteurism

الدَقْر هو التحكك يقوم به الرجل بالنسبة للرجل، وهو سلوك لوطي، أو الرجل بالنسبة لامرأة وذلك من السلوك الجنسي غير الناضج. والدقر في العربية يكون بالتزاحم فيلتصق الدقرارة frotteur بضحية وينتصب ويدقر قضيبه في ظهره أو في إليته أو في جنبه كيفما اتفق، وذلك انحراف يأتيه البعض كسلوك جنسي ثابت، ويكثرون من أجله ارتياد مواقف

السيارات المزدحمة وركوب الباصات والتردد على الأسواق. ويندر أن تفعل النساء الدقر إلاّ لأهداف غير جنسية، كالنشل فهو ييسر للنشالة أن تربك الضحية فتسرقه. والدقرارة قد يكون لوطياً ويختار الأولاد الصغار أو يختار الشبان، وقد يكون جنسياً غيرياً وينتقي النساء السمينات أو المحتشمات أو البنات الصغيرات. وقد تسكت المرأة حياء أو خوفاً، أو قد تشكل الحادثة بالنسبة لها مغامرة مثيرة جنسياً، وإذا كان الرجل والمرأة مخطوبين فقد يعطيها دقره لذة جنسية تتهيج لها. والدقر كثير الحدوث في الرقص الأوروبي، وكانت نسوة كثيرة تشكو من رقصة التانجو وتتأبى على أدائها لما كان يحدث من شريكها من مضايقات من نوع الدقر.

وقد يحدث عفوياً دون قصد، وقد يكون انحرافاً بالشخص يأتيه كسلوك وحيد لكي ينتصب ويستمني. وقد يُخرج قضيبه أثناء الدقر ويحكه في الضحية إلى أن يمني. وهناك حالات ضبطتها الشرطة كانت المرأة فيها تستصرخ الناس عندما يزيد هياج الدقرارة ويشتد احتكاكه بها، أو بعد أن يمني عليها. والدقرارة غالباً ما يكون مريضاً بالاستعراء، وهو من المدمنين للعادة السرية ويأتيها كفعل قهري، وخيالاته سادية. وعلاج الدقر صعب إذا كان قد كال أمد هذا السلوك، وإذا اكتُشف وقُبض على الدقرارة فقد يتضاعف الاضطراب ويعسر العلاج.



الفصل التاسع والأربعون

الجنس والاضطرابات النفسية والعقلية
- ١ -

الجنس والعصاب
Sex & Neurosis

العُصابي في مدرسة التحليل النفسي مريض يعاني من صراع داخلي بين دوافعه ومخاوفه، أو بين متطلبات الهو ومطالب الأنا الأعلى. والدوافع والمخاوف في العُصاب النفسي قد يكون طابعها جنسي، ويحول الصراع دون تحقيق المتطلبات الجنسية للهو، ويكبتها الشعور، والعُصاب الجنسي الطابع قد يُستحدث في الأبناء بتأثير التربية والخلافات العائلية ومركبات النقص. ولربما يكون السبب في العُصاب العزلة التي تفرضها الحياة الحديثة، والقلق الذي قد يساور البعض إذا كان عليه أن يختار في حرية. والقلق هو المصدر العام لكل سلوك عُصابي، والأصل في تكوين العُصاب أنّ المريض لا تتحمل بنيته القلق، وليست لديه الوسائل التي يمكن أن يتعامل معه بها بنجاح وفي عصاب القلق anxiety neurosis مثلاً يكون الصراع بين الجنس والأنا الأعلى شديد الوطأة لا يحتمله المريض، فيتداعى بالسلوك العصابي، وتأتيه نوبات القلق فيروح ويجيء كالحبيس ويحاول الهرب من المواقف الجنسية، وإذا تواجد فيها زادت دقات قلبه حتى ليكاد يسمعها، ويجف ريقه، وتبرد يداه كالثلج، وتتلاحق أنفاسه. وبالنظر إلى الحياة الانفعالية المميزة للنساء فإنهن أكثر تعرضاً للإصابة بعُصاب القلق، وأعراضه الصداع وألم الظهر وأوجاع البطن واضطرابات القلب، وغالباً ما تكون شكوى النساء من التعب المزمن. وفي عُصاب النهك تتداعى النساء للصراعات العاطفية بالتعب، وكذلك قد يتولد النهَك نتيجة استبدال منصرف طبيعي بمنصرف اصطناعي، كأن يستعيض الشاب بالاستمناء باليد عن الجماع. وقد تصاب الزوجة بعصاب النهك نتيجة استمرار العزل الجنسي يمارسه الزوج

منعاً للحمل، فيخرج قبل الإنزال. وفي عصاب ربة البيت housewife s neurosis تتملك الزوجة رغبات عارمة بأن تنظف بيتها المرة تلو المرة وتنهك نفسها، كما لو كانت محبة وعاشقة لزوجها وأولادها، والاتجاه أنّ هذا التفاني في خدمة الزوج ليس إلاّ سلوكاً وسواسياً قهرياً، وتفسيره أنّ الرغبات الجنسية عندما تُكبت وخاصة من الطفولة فإنها قد تفلح في أن تخرج من اللاشعور إلى الشعور في شكل أفعال قهرية ووساوس ملحة ومنتظمة. ومن ذلك اللوازم tics حيث قد يكررها الشخص المعتاد لها كمنصرف للدوافع الجنسية التي يكبتها، والتي يريحه أن يستنفد طاقتها في فعل اللازمة، كأن يرفع يده إلى أذنه يفركها، أو يدعك أنفه، أو يمسح على شعره، وكلها بدائل للرغبة في الاستمناء، أو كدعك القضيب من آن لآخر، أو مصممة الشفايف أو التنشق أو التصعر (لوي الرقبة)، ويُذكر أنّ التصعر قد يكون تعبيراً عن رغبة في التطلّع الجنسي يقاومها المريض.

وتُطلق على الوساوس المَرَضية اسم توهم المرض hypochondria أو عُصاب المرض. ولست شكاوى ربة البيت العصابية إلاّ أوهاماً مرضية. والاكتئاب من أهم سمات متوهم المرض العصابي، والزوج المتزوج حديثاً قد يتوهم أنه أصيب بأمراض تناسلية كعدوى من زوجته، وقد يشكو أوجاعاً بجهازه التناسلي، وقد ينتابه كذلك اكتئاب وهَمّ وقلق. وفي السن بين الأربعين والخمسين، وهي التي توصف بأنها السن الخطرة، قد يشكو الزوجان العصابيان أوجاعاً متوهمة كتبرير للوَهَن الجنسي، وكمنصرف لمشاعر ذنوب جنسية سابقة أو حالية، وأكثر ما يصيب العصاب الأزواج الذين يشكون سوء التوافق في زواجهم، وخاصة النساء اللاتي تترافق هذه الأوهام المرضية عندهن وانقطاع الحيض وذبول الجمال وخروج الأولاد من البيت. وتوهم المرض حيلة دفاعية ضد الصراعات الجنسية اللاشعورية، فقد تُخطب البنت وتريد أن ترحل لبيت زوجها، ولكنها من ناحية أخرى تريد أن تستمر مع والديها لارتباطها بأمها ارتباطاً اعتمادياً، فيدور الصراع في نفسها بين حاجاتها النفسية الاعتمادية

ورغباتها الجنسية. وقد يتمزق الشاب بين حبه لأمه وحبه لفتاته. وقد تصاب البنت بالأوجاع في بطنها ويضطرب حيضها وقد تنزف ولا تدري سبباً لذلك. وقد يصاب الشاب بالعُنة ينهي بها صراعه بين حبه لأمه وحبه لفتاته. وقد يُزاح الصراع إلى منطقة أخرى من جسمه بخلاف المنطقة التناسلية فيشكو مثلاً من اضطرابات أنفية، والأنف كثيراً ما يقوم عند البعض مقام القضيب، فتكون الأوجاع بالأنف ويصبح الأنف مصدر الشكوى.

وتشمل الأوهام المرضية الجنسية توهم العنة وسرطان الرحم والثديين وأوجاع المبايض أو الخصيتين أو الألم في الفرج. وبعض المرضى قد يتوهم أنه لو جامع كثيراً فقد ينفد منيّه، وقد يمتنع لذلك عن الجماع ليعيش. وقد تخشى الزوجة الاتصال الجنسي بزوجها مغبة العدوى من أمراض تناسلية متوهمة حتى لترفض منه القبلة. وربما يكون الصمم نفسي المنشأ نتيجة صراعات جنسية مضمونها سمعي، كحالة فتاة كانت وهي مراهقة تنام في حجرة والديها فكانت تسمع أصواتهما عند الجماع وأصيبت لذلك بالأرق، ثم حلت مشكلتها بأن أفقدها الصمم القدرة على التنصت. وقد يهرب الزوج الذي يعاني ثرثرة من زوجته بأن يتداعى بالصمم النفسي، ويطلق عليه أحياناً اسم الصمم الحسي، لأنه يصيب الحس السمعي دون علة بجهاز السمع، وقد يطلق عليه كذلك اسم الصمم العقلي mental deafness ، لأنه يسمع ولكن لا يعمل بمقتضى ما يسمع، أو لا يستجيب له، وكثيراً ما تنادي الزوجة على زوجها فلا يسمعها وكأنه أصم. وهذا الصمم النفسي يشبه العمى النفسي أو الهستيري، والاضطرابات البصرية الهستيرية كثيرة، والصراعات الجنسية تلعب دوراً أساسياً في الإصابة بها، ومنها الرؤية المحدودة، والرؤية الضبابية، والرؤية المنقطة، والرؤية المصغرة، والمكبرة، كحالة فتاة أولعت بأبيها وكان أهلها ينكرون عليها ذلك، فخشيت أن يكون حبها له شاذاً، فاستبعدت الصراع بأن فقدت بصرها لتضمن بذلك أن تجاور أباها باستمرار ومع ذلك تحقق لأهلها رغبتهم الضمنية بأن لا تراه.

ومن العمى الهستيري العمى الجزئي الذي لا يرى المريض به إلاّ في مجال مساري كالخط أو الأنبوبية tunnel vision ، كحالة زوج كان يشكو من الهيئة الزرية لامرأته، وكان يكرهها لقذارتها، ويعافها كامرأة، ولكنه لم يكن يستطيع تطليقها وإلاّ انهارت أسرته وتشرد أطفاله، فحسم صراعاته بأن أصيب بالعمى الجزئي بحيث يرى كل شيء في مجال الجزء الذي يستطيع أن يرى به من عينيه، وأما بقية المجال فلا يراه، وبذلك لم يعد يرى امرأته لأنها صارت خارج مجال الرؤية، ويستطيع أن يسمعها من غير أن تقع عيناه عليها.

والخرس الهستيري hysterical mutism من ذلك أيضاً، فالولد الذي يريده أبوه أن يعترف بذنوب جنسية يستشعر العار والخزي أن يعترف بها، قد يصاب بالخرس الهستيري. وفي الهستيريا تجد الدوافع والرغبات الجنسية المكبوتة طريقها إلى أعضاء الجسم أو الحس فتصيبها بالتعطل عن الوظيفة كما أسلفنا في حالة الصمم والخرس والعمى. وأنواع العُقال التي أشهرها مثلاً عقال الكاتب، أو الخياطة من هذا القبيل، حيث قد تتعطل اليد عن الكتابة عند الكاتب أو عن الخياطة عند المرأة التي تعمل في مجالها، إما لرغبات جنسية تحول المهنة عن تحقيقها، أو لمشاعر ذنب تتناول اليد دون غيرها، كمشاعر الذنب التي تتخلف فينا لإدمان الاستمناء باليد، فيكون العقال كأنه عقاب ينزل باليد وسيلة الاستمناء. والأمثلة كثيرة على هذا النوع من الصراعات التي تعطل وظائف أعضاء حسية، كالكحة العصبية بالحنجرة، أو الحمل الكاذب، أو قيء الحوامل. والنساء أكثر إصابة بالهستيريا بالنظر إلى الصراعات الجنسية التي يعانين منها، واسم الهستيريا نفسه مشتق من hystera بمعنى الرحم، والهستيريا هي خُناق الرحم.، فعندما يتهيج الرحم بالرغبات فقد تزيد تقبضاته حتى ليتغير مكانه وتكون به تقلبات تناسب أنواع الرغبات والدوافع الجنسية. ولربما تأخذ الهستيريا شكل الانفصال، كأن يصاب الشخص الهستيري بالنسيان لهستيري فينسى كل شيء عن نفسه وحاضره كحل لمشاكله العاطفية والجنسية. ومن ذلك

الشرود الهستيري fugue وكثيراً ما يحدث عقب مشادة بين زوجين يعيشان حالة لا توافق، فتترك الزوجة البيت وتهيم على وجهها لا تلوي على شيء وقد تنسى كل شيء عن حاضرها، وتبدأ حياة جديدة في مدينة جديدة باسم جديد، والمرأة الهجاجة، والزوج الهجاج مثلان للاتوافق في الزواج.

ومن الاضطرابات الهستيرية الجنسية تعدد الشخصية، فينقسم الشخص على نفسه ليصبح شخصيتين، إحداهما هي نفسه، والأخرى الجديدة هي الرغبات الجنسية المكبوتة، ومن ثم صرف الشخصية الأولى وفي بالها المجتمع والعرف والدين والشرف إلخ، بينما الشخصية الثانية داعرة، كحالة بنت كبرت في السن وتنفق على أخوتها وتكبت نوازعها في الحب والجنس، فتنهار وتظهر لها شخصية ثانية تتخارج منها بعد أن تأوي إلى فراشها، فتتجمل في تبرج وتنصرف إلى الشارع ترتاد الكباريهات وتصاحب الرجال، ثم تعود إلى المنزل فجراً فتنام، وتصحو مصدوعة الرأس لا تعرف سبباً للتعب والدوار والقيء والصداع بها.

ومن الأعراض الهستيرية أيضاً الخُدار الهستيري، كأن يصاب الولد المدمن للعادة السرية، والذي يعاني من صراعات إحجام وإقدام عليها، بالخدر في يده حتى المعصم، وقد لا يأتيه الخُدار إلاّ إذا فكر في ممارسة العادة السرية، وأما في غير ذلك من الأنشطة فيده سليمة. ويعتبر علماء النفس العنة نوعاً من الخدار الجنسي باعتبار أنّ العجز الجنسي خدار يصيب القضيب ويعطل وظيفته، فكلما أقدم الشخص على الجماع فقَدَ الإحساس في قضيبه، فيحول ذلك دونه والقيام بالجماع.

والنسيان الهستيري من ذلك لأنه عجز عن استدعاء الخبرات الانفعالية المؤلمة، وأشدها إيلاماً للنفس هي الخبرات الجنسية، ونجد ذلك جلياً في حالات الخيانة الزوجية، فلولا النسيان لما استطاع الزوجان أبداً أن يستأنفا حياتهما بعد مشهد الخيانة الأليم.

ومن الاستجابات الجنسية الهستيرية الشلل الذي يصيب أعضاء الحركة أو الصوت أو السمع أو الحس، وهو بخلاف

الشلل العضوي تشريحاً وأعراضاً، حيث قد تُفقد الصراعات الجنسية ومشاعر الذنب أعضاء الحس القدرة على الوظيفة، لأنها تشترك في عمل لا يرضى عنه صاحبها، كهذه الحالة لرجل كان يأتي الفواحش وحاول أن ينتهي عن ذلك، فكلما همّ أن يذهب عجزت ساقاه وتخاذل إلى أن يمر يوم الجمعة وهو اليوم الذي يأتجز فيه ويزور الفواحش. ولربما يجعل يوم الإجازة الأسبوعي الناس حساسين زيادة عن اللازم حول ما يصنعونه فيه ولا يرُضي الأنا الأعلى عندهم. وعصاب يوم الجمعة من ذلك حيث تنتاب بعض الناس فيه اضطرابات عصابية تحول بينهم وبين تكرار ما اعتادوه فيه، فتكثر الخلافات والشجارات الهستيرية على خلاف العادة، فتكون مبرراً يعتذر عنهم عن الممارسات الجنسية الروتينية التي صارت تصيبهم بالسأم والملل، وكأنّ الخلافات في هذا اليوم وسيلة هرب من الجماع بسبب عنة نسبية تلحق أياً من الزوجين، نتيجة نمطية الحياة الزوجية لفترة طويلة، ربما تستمر عشرين أو ثلاثين سنة. كما أنّ الشك القهري قد يكون وسيلة هرب من القيام بأعباء الزوجية، فيلجأ الزوج أو الزوجة إلى اتهام بعضهما البعض بعدم الإخلاص. والوساوس الزوجية عصاب يتصل بالصراعات الجنسية. والبدائل التي تذهب إليها الصراعات الزوجية بعيداً عن الجنس كثيرة، فمثلاً في هوس السرقة يكون الدافع إليها جنسياً وليس بتأثير الفقر أو الحاجة، فربما يريد السارق بالسرقة التي لا يحتاج إليها أن يورط نفسه فيُضبط ليعاقب على مشاعر جنسية محرمة أو مشاعر ذنب قوية، وربما يلجأ السارق إلى السرقة طلباً للهياج والإثارة ومضمونها جنسي. وفي هوس إشعال الحرائق يكون إضرام النار بديلاً عن الشهوة الجنسية، ويشبه الجنس دائماً النار، والماء الذي يطفئها بديل عن المني الذي يطفئ الشهوة. وفي هوس الترحال يلجأ العصابي إلى الهرب من الموقف الجنسي الضاغط أو الكريه، بأن يخرج هائماً بدون هدف، ولذلك يطلقون عليه اسم عصاب التجوال vagabond neurosis .

والخُوافات أعصبة، ومنها خوافاتٌ جنسية دوافعها جنسية خالصة، ففي خواف الأماكن المغلقة تكون أكثر الشكوى منه من النساء. وهن أكثر أفراد المجتمع معاناة من الحبس في البيوت بدعاوى جنسية، ويتعرضن لضغوط كثيرة منذ الطفولة، ولذلك كانت البنات أكثر من الأولاد تخوّفاً من الظلام والقطط والكلاب والحشرات، وكلها خوافات جنسية أو ترتبط بموضوعات جنسية. وخواف البنات من الثعابين أكثر من خواف الأولاد، ويقول علماء النفس في ذلك أنّ الخوف الأنثوي من الثعابين هو رد فعل للاشتهاء اللاشعوري.

والخواف من الجنس قد يجعل الرجل يخاف صعود السلالم للشبه بين العملية الجنسية وصعود السلالم. ويداري الأطفال أعضاءهم الجنسية بأيديهم إذا خافوا من القطط، وكأنّ القطط ستقضم قضيب الولد، أو ستنهش خصيتيه. وربما يكون خواف القطط خواف من الإخصاء. وخواف الدم أو خواف اللون الأحمر قد يُرد إلى خوف البنت من افتضاض البكارة، أو خوفها من أوهام الليلة الأولى من الزواج. وخواف المرتفعات قد يكون من بقايا الخوف المقترن باللذة عند الطفل إذ يرفعه أبوه إلى أعلى ويهزه ملاعباً، والنتيجة أنه رغم شعوره باللذة فقد يحسم الصراع بين طلب هذا الشعور وبين الخوف من السقوط بأن يعرق ويشعر بالدوار كلما تواجد في أماكن مرتفعة. والنساء هن أكثر من يخاف من ركوب الطائرات والسيارات والمصاعد، وربما تذكر هذه الوسائل بالجنس وهن أطفال مراهقات، وأخيراً وهن متزوجات. وربما يكون هذا الخوف من الأماكن المغلقة أن تكون المرأة فيها مع نفسها عارية مع رغباتها اللاشعورية فتخاف، وعكس ذلك الخوف من الأماكن المفتوحة، وهو أصلاً خوف من التعري، بمعنى أنّ المرأة كلما تواجدت في الشارع تأتيها المخاوف من أن تخلع ملابسها أو أن تصنع صنيع بنات الهوى، وقد تُخرج هذه الرغبات أو الميول اللاشعورية في التبرج، وكأنها تستبدل بالتعري هذه الثياب الفاضحة. والخوف

من المسننات ربما لأنّ النساء يجدن فيها شبهاً بالقضيب. وخواف السرقة يكون بالمرأة بديلاً عن خوفها على بكارتها. وخواف الجماع قد يكون أصله خوفاً من النساء أو من الرجال بسبب التربية في كنف أم مسيطرة أو أب مستبد.

وليست كل أنواع العصاب أو الخواف رد فعل لتجارب الطفولة الجنسية الصادمة، والعصاب الحالي actual neurosis أسبابه من الظروف الحاضرة من الحياة الجنسية للشخص، وأسبابه لذلك ليست نفسية، ويصاب به المريض نتيجة تكرار التعرض للهياج الجنسي وقمعه لرغباته الجنسية بعد الهياج الشديد، أو نتيجة الامتناع عن الممارسة الجنسية امتناعاً يُغصب عليه رغم الظروف المهيأة له، كأن تكون الزوجة حائضاً والدين ينهي عن إتيان الحائض، وربما يخشى الزوج الحمل فيمارس العزل، ومن شأن عدم إفراغ الشحنة الجنسية أن يستمر التوتر ويصاب الشخص بالقلق العصابي. ويرجع فرويد العصاب الحالي أو الحاضر إلى اضطرابات الأيض الجنسي، ويشبه الامتناع عن الجنس بالامتناع عن تعاطي عقار ندمنه ونعتمد عليه فسيولوجياً، والانسمام الناتج في الحالتين يستحدثه اضطراب الأيض، وهو مع الممتنع أو المتعفف جنسياً اضطراب في الأيض الجنسي يكون نواة أو مرحلة أولى من مراحل الاضطراب العصابي، فمثلاً قد يأتي الاضطراب العصابي على شكل صداع، ربما كان عرضاً انسمامياً جنسياً نتيجة الخروج قبل الإنزال، أو الجماع غير الكامل، وقد يتحول هذا الصداع إلى عصاب تحولي تتحقق به الإزاحة للطاقة الجنسية من أعضائها الجنسية الطبيعية إلى الرأس، ويكون الشعور بالصداع كبديل للإشباع الجنسي غير المتحقق.



- ٢ -

الجنس والذهان

Sex & Psychosis

الذهان من مادة ذَهَن، تقول ذهب فلان أي ذهب عقله وأصابه الجنون. والذهان اضطراب يصيب العقل على عكس العصاب الذي يرتبط بالأعصاب كما يوحي بذلك اسمه. والذهان لهذا الارتباط بالعقل أشد وطأة على المريض به من العصاب، وقد تستحدثه أمور عضوية أو نفسية، ولا يعي المذهون أنه مريض، ويفقد الاستبصار بمرضه، على عكس العصابي الذي يعاني من تناقص كفاءته ولكنه يستبصر حالته ويعي مرضه، ولا يصيبه منه التلف الشديد في بناء الشخصية كما يحدث في حالة المريض بالذهان.

ومن الاضطرابات الذهانية التي للجنس دور فيها استجابة الذهان الانتكاسية، والتي يطلق البعض عليها اسم الملانخوليا الانتكاسية involutional melancholia ، وتصيب الرجال والنساء في السن التي يقال لها سن اليأس أو الإياس menopause ، وهي سن تكون بين الأربعين والخامسة والخمسين عند النساء، وبين الخمسين والخامسة والستين عند الرجال، وفيها ينقطع حيض المرأة، وقد لا ينتصب الرجل ويعجز عن الجماع، وذلك عرض فيسيولوجي ترتبط به أعراض نفسية، حيث يغلب على الرجل والمرأة القلق والهمّ، ويعتريهما الاكتئاب. واسم الملانخوليا يعني السوداء، بمعنى أنّ المصاب بها يصبح سوداوي النظرة كثير التشاؤم. وقد لوحظ أنه لا يصاب بالملانخوليا الانتكاسية أو الذهان الانتكاسي إلاّ الأشخاص من أصحاب الشخصية القهرية أو أنهم يكونون أقرب إلى الشخصية القهرية، منهم إلى النمط النوابي من الشخصية، وأنهم غالباً قبل أن تأتيهم أعراض هذه الملانخوليا في سن اليأس يعانون حقاً من استجابات ذهانية بشكل ما، إلاّ أنّ الفارق بين الاستجابة الانتكاسية وغيرها من الاستجابات الذهانية أنّ الاستجابة الانتكاسية تأتي أول مرة في سن اليأس وترتبط به، فمجيئها لا يكون إلاّ في أواخر العمر، وأما الاستجابات الذهانية الأخرى

فهي تأتي وتذهب وتتراوح على الشخص على دورات، وقد يشفى منها ثم تعاوده في تناوب، ومن ثم تختلف الآراء حول ما إذا كانت استجابة الاكتئاب في الملانخوليا الانتكاسية هي استجابة ذهانية حقاً، ولعل ذلك هو سبب تفضيل البعض لاسم الملانخوليا الانتكاسية على اسم الذهان الانتكاسي. غير أنّ بعض الأخصائيين يعتبر هذه الاستجابة نتيجة طبيعية للتغيرات الهرمونية الجنسية في المرأة والرحل في السن التي يقال لها سن اليأس، والتي فيها يقل إفراز المبيضين أو الخصيتين وما يصاحب ذلك من تغييرات فسيولوجية وحيوية، حيث يبين القصور في كفاءة أجهزة الجسم الأخرى في هذه السن، وتكثر الشكوى والأوجاع وتتراكم الاحباطات، وفي هذه السن أيضاً يقل دخل الرجل وينصرف الأولاد عن البيت ليستقلوا بحياتهم بعد أن كبروا، ويزيد الخوف عند المرأة والرجل من المستقبل، ومما ينتظرهما من وحدة ومرض وحاجة وعوز. ويعني انقطاع الحيض عند المرأة أنّ شبابها قد ولى، وأنها ما عادت صالحة للحمل والإنجاب، وما عادت للرجال رغبة فيها. وقد يكون ذلك في حد ذاته انقلاباً في حياتها له خطره، وقد يصيبها منه الاكتئاب والقلق، وتشكو من جرّائه من فورات أو حمياً تشلها، وقد تأتيها ما يشبه الرعشة أحياناً وتشكو شحوباً في لون بشرتها، وحساسية شديدة للضجة، وميلاً لإفراز العرق، ويتساقط شعرها وينبت لها شعر في ذقنها وفوق شفتها العليا، ويتغضن جلدها ويزول جمالها وتنتهي جاذبيتها. وقد تتأسى على ما فاتها وتبكي لغير سبب وتتوهم أنها مصابة بأمراض أخطر، وتشكو الصداع والدوخة والإنهاك، وتشعر ببرودة في يديها وقدميها وعزوفاً عن الطعام ويجافيها النوم. وقد يستبد بها القلق والاكتئاب فتقضي وقتها تروح وتجيء وتفرك يديها وتتناول الأشياء فتسهو عنها وتمزقها أو تقطعها. وقد تكون استجابة المرأة أو ستجابة الرجل في هذه السن من النمط الهذائي، فتلوم غيرها على أشياء في حياتها، وتستخدم الإسقاط لتدفع عن نفسها القلق من جراء ضغوط هذه السن. وقد ينصرف الرجل المنتكس عن عمله ويكرهه ويعتزل الناس

ويعيش في خوف وترقب وحذر، فإذا كانت استجابته من النمط الهذائي (البارني) فقد يعوض عن تفاهة حياته وركودها بهذاءات يتوهم معها أنه حقق أشياء في حياته، وعاش أو أنه يعيش حياة حافلة. ولعل ذلك هو السبب في أنّ البعض لا يعد هذه الأعراض استجابة ذهانية، للمفارقة بين هذه الأعراض والأعراض الذهانية حقاً. ويبدو أنّ صفة الانتكاس التي ارتبطت بهذا الذهان أو الملانخوليا ألصقت بها أو به اعتسافاً، وذلك لم يتأيد بصفة قاطعة أنّ التغيرات الهرمونية الانتكاسية هي السبب الأصلي في الإصابة بهذا الاضطراب، والمعول عليه أنّ الظروف الاجتماعية والانفعالية والاقتصادية التي يمر بها الشخص في سن اليأس أو نحوها هي التي تدفع إلى تلك الحالة المزاجية التي يكون عليها المريض، أو أنها أهم من التغيرات الهرمونية، ولعل ذلك هو ما يجعل البعض يعقدون المقارنة بين هذه الاعراض عند النساء مثلاً وما يسمى متلازمة العش الخالي empty nest syndrome، عندما يخلو البيت على المرأة بزواج أولادها فلا تعود تجد ما يشغلها بعد حياة حافلة بالمسؤوليات والواجبات، فترين عليها الوحدة وتصاب بالاكتئاب. وكذلك الرجال الذين يكدون بشدة، ويجهدون من أجل أسراتهم وأولادهم، وفجأة لا يجد ما يجهد نفسه من أجله باستقلال أولاده، وقد يحال إلى المعاش فيستشعر خواء رهيباً في حياته يصاب منه بالاكتئاب. وهذه حالة لسيدة كانت لديها ثلاث بنات وكانت مشغولة بهن وبالدراسة لهن إلى أن تخرجن من الجامعة وتزوجن، ومع اقتراب الزواج بدأت تسهو وتأرق وترتعش وتعرق وتعرف القلق وتصاب بالوجوم وتهمل في عملها، ووصلت الحالة إلى ذروتها مع بداية رحيل البنات. وحالة أخرى لأستاذ جامعي تغير سلوكه ولم يعد يهتم بعمله، وأصبح ذهابه إلى المحاضرات روتينياً، وكان لا يحب أن ينهض من سريره إذا حان موعد عمله، وصار عصبياً يتشاجر مع أسرته لأتفه الأسباب، ولا يحفل بالاجتماعيات، وكان قد بدأ يقل في التواصل بامرأته، ولاحظت أنه ما عاد قادراً على مضاجعتها، وأنه إذا ضاجعها فقد يرتخي قبل الإمناء، وقد لا

يكمل، وأخيراً ما عاد يقترب منها، وصار يعنف معها ويغلق الباب عليه دونها، ويقرأ ما كان قد كتب قديماً ويبعث إلى الناشرين يطلب إصلاح ما كتب، ويسمي نفسه نصاباً، وقد استوجب كل ذلك بالطبع استشارة الطبيب النفسي.

ولو تُرك المريض باستجابة الذهان الانتكاسي أو الملانخوليا الانتكاسية لشفي تلقائياً غالباً، غير أنّ ذلك قد يستغرق وقتاً ما بين السنتين إلى الثلاث سنوات قبل أن يزايل المريض اكتئابه، فإذا اجتمع عليه العلاج الطبي والنفسي فقد تُختصر هذه المدة كثيراً، فإذا تم له الشفاء فقد تزول الأعراض تماماً ويعود إلى سابق عهده من الحيوية والنشاط ويزاول عمله.

وليست التغيرات الهرمونية الجنسية في سن اليأس فقط هي السبب في الإصابة بالذهان من الأنواع السابقة، فذلك يحدث أيضاً مرتبطاً بالتغيرات الهرمونية الجنسية في سن البلوغ بالنظر إلى الضغوط النفسية التي تستحدثها هذه التغيرات. ورغم أنّ ذهان البلوغ puberty psychois ، وذهان الأحداث juvenile psychosis نوعان من الذهان المرتبط بمرحلة من أهم مراحل التطور الجنسي النفسي، إلاّ أنّ الكثيرين يشككون في إمكان قيام ذهان خاص بالبلوغ أو بالمراهقة، ويطلقون على الأعراض الذهانية في هاتين المرحلتين الجنسيتين اسم الفصام. وكذلك قد تترافق التغيرات الهرمونية التي تستحدث نزول الحيض أو إفراز اللبن أو الولادة وظهور الاضطرابات الذهانية التي لها الطابع الجنسي، بالنظر إلى أنها ترتبط بالجهاز التناسلي في المرأة، كالذهان الحيضي menstrual psychosis فهو الذي تكون عليه الحالة العقلية للنساء اللاتي يصبن مع نزول الحيض بالاكتئاب، ويقول بلولر إنّ نساء كثيرات قد يحاولن الانتحار أثناء الحيض، وربما يكون من المناسب أحياناً أن نتحدث عن الجنون الحيضي menstrual insanity ، وهناك من الدلالات ما يؤكد أنّ معظم حوادث السيارات التي تأتيها النساء تقع أثناء الحيض أو في الأسبوع السابق له، وأنّ الكثير من المشاجرات الزوجية وترك البيت يحدث والزوجة في الحيض. وكذلك قد تصاب

بعض النسوة بالاكتئاب أثناء الحمل، ويغرب سلوكهن، ويعزفن عن الاختلاط بالناس، ويملن إلى الوحدة، ولذلك فربما يوجد ذهان حملي gestational psychosis ، كما يوجد ذهان رضاعي lactation psychosis ، وذهان نفاسي puerperal psychosis وكلها حالات تتميز بالاكتئاب والوحدة والعزلة وتكون لها ردود فعل على الحمل أو الرضاعة، وقد تفسد الحمل وتعجل بالإجهاض، وقد تحول بين الأم وأن ترضع وليدها، أو تجعلها تنبذه.

وقيل إنّ إدمان الاستمناء قد يصيب بذهان استمنائي masrurbatic psychosis فيلازم الاكتئاب المراهق أو الشاب ويبدو عليه النهك الشديد ويصاب بالهزال وتشتت الفكر ونضوب الأفكار وسوء التوجه والنسيان، وقد تزداد به الحالة حتى ليذهل عما حوله.

وأيضاً فقد يؤدي إدمان الحيوانات والولع بها إلى ما يسمى بذهان تعشق الحيوانات zoophil psychosis ، كأن يقتني المرء مائة قطة، أو يعين الخدم والحشم لخدمة كلب، وقد لا ينام إلاّ ويصحبه معه إلى السرير، وقد يبلغ به التعشق الإشباق الجنسي فيكون ما يُطلق عليه اسم جماع الحيوان.

وليست الحيوانات وحدها ما يمكن أن ترتبط به الاضطرابات الذهانية الجنسية، فالأوقات أيضاً يمكن أن تستحدث الذهانات، ومن ذلك ذهان الليل، وكذلك الأماكن مثل ذهان البيت وذهان السجن. فأما ذهان الليل night psychopsis فالاضطراب منه يتأتى في الليل أو كلما يحل الظلام، فيستشعر المريض القلق والخوف، ويصاب بالاكتئاب. وذهان الليل ذهان جنسي، والمريض به قد يتهيج ويقوم بالاعتداء على النساء ويغتصبهن. وقيل إنّ الليل قد يرتبط عنده بأنه وقت النشاط الجنسي، وربما الرهبة منه هي رهبة من الجنس المرتبط فعله بالظلام والليل. ونروي هذه الحالة لمريض مصاب بذهان الليل وكان يسرق كلما جن الليل، وللسرقة عنده هياج، وكان هو طفل ينام مع أمه وأبيه في حجرة واحدة فكان يسمع أمه تتأوه في الظلام كلما ضاجعها أبوه، فارتبط عنده الظلام بالاغتصاب والفتح والعنف وانتهاك العرض وإتيان المحرمات، فإذا

كان الظلام اضطربت أحواله ولم يعد على ما يعرفه الناس وانطلق وكأنّ به مساً يعيث فساداً ويهلوس بما يعرف وبما لا يعرف.

وأما ذهان البيت أو بالأحرى ذهان ربة البيت housewife s psychosis فلقد ثبت من الدراسات أنّ التعرض لظروف العمل خارج البيت والضغوط اليومية التي يمكن أن تتأثر بها النساء قد تكون لها مردودها على حيض المرأة وانتظامه وقدرتها على الإنجاب، ومن ناحية أخرى فلربما تكون للبيت والبقاء فيه أيضاً تأثيرات كتأثيرات خروج المرأة إلى العمل. وقد تصاب المرأة من الضغوط المنزلية باضطرابات ذهانية من النوع الخفيف، وربما يكون لها شكل الاكتئاب أو الفصام، وربما تكون اضطراباتها عصابية. وقد تشتد أعراض الذهان إذا لم تتغير الظروف المنزلية التي أدت إليه. وعادة ما تكون المرأة التي تصاب بالذهان من هذا النوع ذات استعداد للإصابة به، ويستحث هذا الاستعداد أو الميل المسبق نوع الحياة التي تحياها المرأة داخل جدران البيت والضغوط التي تتعرض لها، والفشل أو الإحباط الذي تُمنى به آمالها وتوقعاتها، واللاتوافق النفسي والجنسي الذي تعيش فيه مع زوجها، وحالة الاغتراب التي تعانيها في بيتها، فهي في بيتها وليست في بيتها. وكثيراً ما يكون هذا الصنف من النساء من غير المتعلمات ومن بين المتوسطات الذكاء (Freud: Collected Papers: vol.3) . وبعض النسوة وخاصة العائلات المحافظة قد يقال عنهن إنهن يخرجن من بيت الأب إلى بيت الزوج ولا يرين الشارع من بعد. والمرأة التي تعيش في بيت كالسجن، وكذلك الرجل الذي يودع السجن عقاباً على جريمة ما، كلاهما قد تتأثر لديهما الرغبات الجنسية والدوافع والعادات، وتضعف قدرتهما على احتمال الضغوط بالتدريج. وقد يضطرب حيض المرأة، وفي حالة ما إذا كانت المرأة تقضي عقوبة بالسجن فقد ينقطع حيضها. وذهان السجن prison psychosis له هذا التأثير الضار والذي به ينفرط عقد الشخصية. ولقد ثبت أنّ العزلة لها أعراض اكتئابية، فإذا كانت

لمدة طويلة فإنّ من شأنها أن يفقد الشخص حماسه للحياة ويكتئب أو يصاب بالفصام، وإذا خرجت المرأة من السجن فإنّ قدرتها على أن تكون أماً أو أن ترضع تتلف، والسجون أماكن عزل جنسي، وتنتشر فيها اللواطة، وتظهر الميول اللواطية أثناء السجن ويلجأ الكثيرون فيه للاستمناء باليد ويصابون من جراء الإدمان والإفراط بالنهك (Scott: Pathology and Treatment of Sexual Deviation).



الفصل الخمسون

الجنس والمخدرات والعقاقير والتدخين

- ١ -

الجنس والتدخين
Sex & Smoking

كثيراً ما يلجأ أصحاب المشاكل العاطفية إلى التدخين، والإحباط في العشق يصيب العاشق الوامق باكتئاب يجعله أقل ذكاءً وانتباهاً. والتدخين ينبه الجهاز العصبي المركزي، غير أنّ النيكوتين الذي يحتوي عليه الطباق قد يسبب عند البعض إدماناً فسيولوجياً، وقد يتحصل للبعض منه اعتياد نفسي، وفي الحالتين يشعر المدخن صاحب المشكلة العاطفية، أو أي مشكلة، أنه يسترخي. وسواء كان ما يسببه التدخين إدماناً أو اعتياداً فإنّ الإقبال عليه ظاهرة لا يستهان بها، وينبغي التوفر على دراستها بما تستحقه، نظراً لتفشي التدخين بين المراهقين والشباب من العمال وطلبة المدارس وطالباتها والجامعات وبين النساء، وهي فئات تحس الإحباط، وخاصة في مسائل الجنس، ولم تكن تدخن في الماضي. وصار من الواضح أنّ عدداً هائلاً من هؤلاء لم يعد قادراً على الإقلاع عن هذه العادة المقيتة، ولربما كانت حالة سيجموند فرويد مثلاً يمكن أن نسوقه في هذا المجال، فلقد كان يعاني من المشاكل العاطفية وغير العاطفية، ولجأ إلى التدخين وكان يعرف أنّ تدخينه لنحو عشرين سيجاراً يومياً من شأنه أن يضعف قلبه ويعرضه للإصابة بالسرطان، وحاول مراراً أن يقلع عن التدخين ولكنه كان في كل مرة يعود إليه إلى أنّ قرار أخيراً أن يستمر فيه، واعترف بأنه عاجز نفسياً عن مواصلة عمله دون أن يدخن، وحتى بعد أن أصيب بالسرطان واستأصل فكه وركبوا له فكاً اصطناعياً استمر يدخن طالما أنّ فمه سليم يستطيع أن يضع السيجار فيه، وأخيراً توفى بالسرطان بعد أن استشرى في الفم كله. ولقد عاش فرويد حتى الثالثة والثمانين ولم يمت صغيراً، ولكنه

عانى كثيراً من الآلام المبرحة لسنوات بسبب التدخين، وكان عجزه عن الإقلاع عنه حالة فريدة حيث أنّ فرويد عالم نفس من أكبر العلماء، وهو مؤسس مدرسة التحليل النفسي، ولا بد أنه حاول أن يدرس أسباب هذا الاعتماد الشديد عنده على التدخين حتى ليبدو في حالته أشبه بالإدمان، وكثيراً ما كانت تصدر منه إشارة أو ملحوظة إلى أنه ربما كان السبب زوجته. وما حدث لفرويد يحدث كل يوم لغيره من ملايين المدخنين: امتناع مؤقت ثم عودة إليه وهكذا دواليك. وكان مارك توين كلما توصل إلى حل لمشاكله العاطفية يمتنع عن التدخين ويقول ما أسهل الامتناع عنه، إلاّ أنّ المشاكل سرعان ما تعاوده فيعود إلى التدخين. ويبدو أنّ المعاودة إلى التدخين تكون دائماً بتأثير الضغوط الانفعالية، وهي ضغوط أكبر من استهجان الجميع لهذه العادة الرذيلة، ولا يتناقص عدد المدخنين بالتحذير منه، والبحوث فيه ليست بالكثرة كما في إدمان المخدرات أو المنبهات، وربما لأنّ النيكوتين الذي يحتوي عليه الطباق هو أقل المنبهات ضرراً بالمعتاد أو المدمن، أو أنه أخفها ضرراً من الناحية النفسية، وبعض الباحثين يجعل للتدخين ضرراً بالغاً بالصحة النفسية للنساء بخاصة. وقد يشره المراهق فيدخن ثلاث أو أربع علب يومياً سنةً بعد سنة، يستعين بها كوسيلة لتصريف التوترات الانفعالية، وأكثر الناس عصبية هم أكثرهم تدخيناً، ومن ثم فإنّ التدخين ربما كان لازمة عصبية، وربما يستخدمه البعض كإشباع بديل لحاجات انفعالية شتى. وقد تكون حركات اليدين وامتصاص الدخان ونفثه واشتراك الشفتين والأسنان في عملية التدخين، كلها منصرفات لميول عدوانية، أو بدائل عن رغبات في التودد والتقرب من الآخرين. وقد تكون الاستجابات الفسيولوجية الخفيفة للتدخين مثل زيادة ضربات القلب وانقباض الأوعية المحيطة، منبهات قصيرة المدى، من شأنها إيقاظ الشخص الناعس أو المتعب. وقد يشعر الشخص بجوع عاطفي يخجل أن يصرح به ويعاقب نفسه عليه لهذا السبب، فيقبل على التدخين يحقق به إشباعاً جزئياً،

ويلحق به الضرر بنفسه فيؤذي لسانه وبلعومه وحنجرته. ويبدو أنّ اعتياد التدخين من بقايا المرحلة الفمية من مراحل التطور النفسي الجنسي، وهي أول مراحل هذا النمو حيث ينشأ الطفل أول ما يولد وإحساسه باللذة مصدره جسمه كله، ولكن سرعان ما يتركز بنوع خاص في مناطق شبقية متعاقبة أولها الفم، ثم الشرج، ثم الأعضاء التناسلية الخارجية من بعد. وفي المرحلة الفمية الأولى يجد الطفل لذته في الرضاعة، وفي المرحلة الفمية الثانية يجد لذته في العض. وتؤثر المراحل النفسية الجسمية التي يمر بها الطفل على نفسيته، وتترك كل مرحلة بعض رواسبها في شخصيته، وقد تتثبت الشخصية عند مرحلة من المراحل، ويطلق على السمات النفسية المصاحبة للمرحلة الفمية التي يظهر بعضها في شخصية الكبير - لا سيما إذا حدث ارتداد إلى تلك المرحلة - اسم الخلق الفمي oral character ، والتدخين من الخلق الفمي، وهو دليل على حاجات عاطفية لم تشبع من هذه المرحلة يحاول المدخن أن يشبعها بالسيجارة كبديل عن الرضاعة، ويقول فرويد: إنّ الرضاعة إذا كانت مشبعة للطفل فإنه ينشأ متفائلاً، وإذا لم تكن كذلك فإنه يكبر وهو يشعر بالحرمان ويميل إلى التشاؤم. والمدخن يميل إلى الاكتئاب ويعاني من حرمان عاطفي أصيل يؤكده باستمرار الإحباط الذي قد يصادفه في حياته، وما قد يعاني منه من ضغوط انفعالية تجعله يلجأ إلى السيجارة يرضعها رضعاً، ويعض عليها بشفتيه، وهو العض القديم المتخلف عن المرحلة الفمية الثانية، والذي نراه أحياناً على المدخن في شكل الضغط على الأسنان ومص الشفايف. وتربط مدرسة التحليل النفسي بين المرحلة الفمية الأولى وبعض الاضطرابات السلوكية والنفسية كالإدمان. وإدمان التدخين أو اعتياده من مخلفات هذه المرحلة.

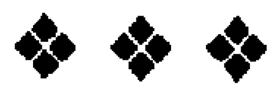
والعض من المرحلة الفمية أساس السلوك السادي، وهو السلوك العدواني الذي يكون بالبعض ولكنه يقمعه، ويجد أسهل وسائل القمع في التدخين، حيث يظل المدخن يعض في السيجارة ويلوكها بين شفتيه وينفث الدخان بقوة، وكأنه

ينفث معه همومه، أو كأنه ينفث فيه كل طاقته العدوانية.

ويتفاوت الناس في استخداماتهم الانفعالية للتدخين، ويتوقف هذا الاستخدام على بناء الشخصية عند كل مدخن، وليست هناك صيغة ديناميـة نفسية واحدة يمكن أن تنطبق على كل المدخنين، غير أنّ التدخين - كمنصرف للتوتر الانفعالي - نواحي قصور عديدة، فمع أنه عادة من شأن إتيانها استجلاب الاسترخاء وإنقاص التوتر، إلاّ أنّ تأثير التدخين ضعيف ومؤقت، وهناك من الشواهد ما يدل على أنّ التدخين الشره والمستمر، له آثار بيولوجية مضرة بالصحة، وينبغي على المعالج أن يولي كل هذه الاعتبارات عنايته قبل أن يحاول تغيير عادة المدخن، وقد تفرض الحالة الصحية للمدخن الذي يشكو علة مزمنة برئتيه، أو بأوعيته المحيطة، أو بشريانه التاجي، أن ينصحه طبيبه بالإقلاع عن التدخين، ولكن على الطبيب أن يتذكر أنّ الاعتماد النفسي على التدخين ربما يلبي حاجة عند المدخن قد تكون عصابية، وأنه قد تتكون عنده أعراض جديدة بعد الامتناع أو أثناء محاولة الامتناع عن التدخين، كأن يزيد توتره وقلقه وعدم استقراره، أو أن يحلم بكوابيس موضوعها الجوع وأمراض المعدة، وقد يصاب بالاكتئاب ويفكر في الانتحار، وربما يكون ما يأتيه من استجابات، معايشة من جديد لخبرات ماضية من حياته، عانى فيها من الانفصال عن عزيز أو فقد محبوب، والإقلاع عن التدخين قد يستحدث في نفس المدخن ما يسمى قلق الانفصال، ويعانيه الشخص أول ما يعاني وهو طفل عندما يقسر على أن تتركه أمه أو ربما تهجره، وفي اكتئاب الانفصال يصاب الطفل بحالة من التبلد حتى يفقد القدرة على البكاء إذا حيل بينه وبين أمه لفترات طويلة من الوقت، وتعود هذه الحالة للمقلع عن التدخين، والسيجارة هنا تحل محل الأم، لأنها تشبع فيه الجوع العاطفي الأصيل الذي لديه، وحرمانه من التدخين هو عودة به إلى ماضي طفولته وإذكاء لقلق الانفصال من جديد، وذلك هو السبب أنّ بعض المقلعين قد يقدمون على الانتحار دون أن يدري أحد من المحيطين بهم علاقة الانتحار بالإقلاع

عن التدخين، والتأويل النفسي للانتحار باعتباره الحل المتاح للمصاب بهذا النوع من الاكتئاب لإنهاء صراعاته النفسية الداخلية، ومن ثم ينبغي على المعالج أن يحيط بالبناء الانفعالي للمدخن وبحاجاته، قبل أن ينصحه بالإقلاع عن التدخين، أو أن يصف له ما يعوضه عنه ويهيء له الاسترخاء ويخفف عنه التوتر.

والتدخين يؤثر من خلال النيكوتين على المثانة والرحم والرئتين والأمعاء، ويزيد سرعة ضربات القلب، ولا تنتظم الضربات ومن ثم يحتاج القلب إلى كميات إضافية من الأوكسيجين، ويرفع النيكوتين نسبة الأحماض الدهنية والكولسترول في الدم. وتختلف نسبة النيكوتين الممتص لدى المدخن الذي يبلع الدخان عنها لدى المدخن الذي لا يبلعه. ودخان السجائر يحتوي على أول أكسيد الكربون الذي يتحد مع هيموجلوبين الدم ويمنعه من الاتحاد بالأوكسيجين. ومن شأن النيكوتين أن يدفع الغدد فوق الكلية لإفراز الأدرينالين المنبه، ولهذا لا يمكن أن يتحقق للمدخن اجتماع جنسي سليم مع شريكته في الجماع، فمع التنبيه المؤقت فإنّ العوامل الأخرى المتناقضة تتسبب في إضعاف الانتصاب، وقد لا يقوى المدخن على إكمال الجماع ويتوقف فجأة، بالإضافة إلى أنّ رائحة فمه تكون كريهة وتبعث على نفور شريكته، وكذلك رائحة عرقه بحكم تغلغل النيكوتين في الخلايا فتصدر عنها الرائحة الفظيعة المعروفة عن المدخنين، ولها تأثير هابط على المرأة المضاجعة، وليس أسوأ من شكوى المرأة المترددة على العيادة النفسية من هذه الرائحة الزاعقة عند مدمن التدخين، وإذا استحكم النفور بين الزوجين لهذا السبب، فقد تصاب المرأة بالبرودة الجنسية ويزمن معها مع طول المدة، كما قد يصاب المدخن بالعجز الجنسي ويزمن معه كذلك، ويصعب حينئذٍ العلاج إن لم يتعذر.



– ٢ –

الجنس والكحول
Sex & Alcohol

عرف البشر الخمور من قديم الزمان، وتروي التوراة أن نوحاً زرع العنب وعصره وخمّره، ويُستدل من الآثار في مختلف البلدان أنّ إنسان العصر الحجري الحديث اكتشف البوظة، وأنّ البيرة وخمرة التوت عُرفا نحو سنة ٦٤٠٠ قبل الميلاد، بينما اكتشفت خمرة العنب وخمرة التمر نحو سنة ٤٠٠ قبل الميلاد أو بعد ذلك. ويروي أنّ خمر العسل هي أقدم الخمور الكحولية، وأنها عرفت في العصر الحجري القديم نحو سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد. ويبدو أنّ كل شعوب الدنيا شربت الخمر، وتختلف الشعوب عن بعضها البعض في إقبال أفرادها على الخمور، وهناك قبائل شديدة الاحتفاء بالخمور، والبدو الرحل أكثر إقبالاً من الفلاحين المقيمين الذين يعيشون على الزراعة، وأهل الحضر أكثر شرباً للخمر من أهل الريف، وسكان المناطق الصناعية أكثر استهلاكاً للخمر من سكان المناطق الأقل تصنيعاً. وقيل إنّ الشعب الفرنسي أكثر شعوب العالم إقبالاً على الخمور. وتقدر الحكومة الفرنسية أنّ ١٥٪ من الفرنسيين يدمنون الخمر، وأن ٣٠٪ يتعاطونها بكميات مهولة، وربما يرجع ذلك إلى ناحية مزاجية في الشعب الفرنسي، وما استقر في وجدان الناس من أنّ الخمر يجعل المتعاطي أكثر فحولة، وأقدر على الجماع، وأشجع على الحياة، حتى ليقول الفرنسيون مثلاً شعبياً مفاده أنّ: «الخمر للرجال والماء للضفادع»!.

وتحاط الخمر بهالة فولكلورية لها تأثيرها الخاص في جذب المتعاطين، ولشخصية المتعاطي دور في تحديد هذا التأثير واستجلابه، وقد يقبل المتعاطي على الخمر للتخفف من الرغبة الجنسية ودفع الفشل في الحب أو في الزواج، وهو يفعل ذلك بدعوى النسيان، والبعض يقصد من التعاطي أن يزكي الرغبة الجنسية، وأن تكون له قدرة جنسية أكبر. وتعمل وسائل الإعلام المختلفة وخاصة السينما على نشر التعاطي، فتجعل المتعاطي يبدو في صورة زاهية وكأنه بطل بما تضفيه عليه من التحدي والتمرد

والتحرر، وترتبط هذه الصورة في ذهن الشباب بالمتعة الجنسية وكسر التقاليد والقيود.

والخمر برغم أنّ الكثيرين لا يضعونها في مستوى خطورة عقاقير مثل الأمفيتامينات والهيروين، إلاّ أنها مثل بقية العقاقير التي يعتادها الجسم وقد يدمنها، وهن من أكثر العقاقير من حيث إساءة الاستخدام، وما يجعلها أكثر خطورة من المخدرات أنها مباحة في العالم كله تقريباً. ويقدمها الناس في المناسبات، وفي الزيارات، إظهاراً للتودد والكرم، وقد يضطر البعض إلى إتيانها تجاوباً مع لطف أصحابها، ومع استمرار تناول الأنخاب مثلاً في الاحتفالات تزيد الجرعات وتكون لها تأثيرات خافضة، وخاصة على الممارسات الجنسية. وكثيراً ما يرجع سبب العنة عند الرجال في منتصف العمر إلى إدمان الخمر، وبالإضافة إلى التأثير الفسيولوجي للخمر، فإنها قد تكف الرغبات الجنسية عند الشريك في الممارسة الجنسية، عندما يسيئه حال المتعاطي فيزهد في المضاجعة ويتجنبها. وقد تبين من البحوث أنّ المدمنين يعانون غالباً من عدد من المشاكل الجنسية، حيث تميل الخصيتان إلى الضمور عند المدمنين، ويتدنى عدد الحيوانات المنوية في مني المدمن إلى أدنى حد. وتذكر التقارير أنّ ٨٪ من المدمنين يعانون العنة، وفي حالة علاجهم من الإدمان استمرت العنة مع نصف هذا العدد نتيجة التلف الذي استحدثته الخمر. ولا بد أنّ للعنة أسبابها النفسية، ولا بد أنّ للتعاطي وتأثيره الفسيولوجي مردوده النفسي. وتبين أنّ الإفراط في التعاطي يؤثر في أيض هرمون التستوستيرون ويخفضه في الدم، وتكون له تأثيرات على البنية وعلى مظهر الذكورة والسلوك، إلاّ أنه من ناحية أخرى فإنّ القليل من الخمر قد يشجع المتعاطي على أن يمارس الجنس، وقد يكون المتعاطي أجبن من أن يخاطب امرأة بعينها فيستطيع ذلك بعد أن يحتسي بضعة كؤوس من الخمر. وربما يكون المتعاطي شاذاً جنسياً ويستشعر ميولاً عاطفية لا يصرح بها، فيجهر بها مع الخمر. والخمر ترفع الكف فتخف السيطرة على السلوك والتصرفات،

ويكون المرء طبيعياً مع نفسه. وهي تغيّب العقل أو تستره، وكأنها تسدل عليه خماراً، ومن ثم فقد تختلط الأمور على المتعاطي ويفقد القدرة على التمييز وتسفُر الغريزة الجنسية، وقد يضاجع المخمور ابنته أو أخته أو أمه، وتروي التوراة أنّ ابنتي لوط أسكراه فضاجعهما، وأنّ نوحاً تعرى بسبب الخمر فشاهده ابنه في عريه. والخمر قد تجعل المقارف لها يمارس الخلطة أو الإباحية الجنسية Promiscuity ، وعندما يفيق فإنه يعاود الشرب بتأثير من تأنيب الضمير ومشاعر الذنب فيمارس الخلطة من جديد.

ويصف شكسبير وصفاً رائعاً تأثير الخمر على المتعاطي على لسان ماكدوف في مسرحية ماكبث، حيث يسأل محدثه ما هي المسائل الثلاث التي تستحدثها الخمر، فيقول إنها لا تجعلك تميز، وتبعث على النوم، وتدر البول، ثم يردف قائلاً إنها يا سيدي تستحث الرغبة ولكنها تفقدك القدرة على القيام بما تقتضيه هذه الرغبة! والخمر من ثم تستثير الجنس ولكنها تجعل المتعاطي متهافتاً لا يقوى على تحقيق ما يصبو إليه. ولو قارنا التأثير الجنسي للخمر بتأثير الحشيش والأفيون، فإنّ الخمر تطلق لسان المخمور دون قدرته الجنسية، فلا ينتصب، بينما الأفيون يُسكت المتعاطي ويزيد انتصابه، والحشيش ينقله إلى عالم خاص من التهاويم فيزين له المضاجعة والمرأة المشاركة وليس أكثر من ذلك، فلا انتصاب ولا ممارسة!

وعندما يفقد المتعاطي قدرته الجنسية يصاب فوراً بالغيرة على زوجته، وغيرته من النوع المرضي الهذائي، فيحسب أنّ زوجته إذا ابتسمت لرجل فإنما لأنها عشيقته ، وإذا همست في أذن امرأة فإنما لتتوسط لها عند رجل تحبه، وما أشبه ذلك بغيرة عطيل على زوجته ديدمونه، وتوهمه أنها تخدعه وتخونه، والزوج المخدوع إذا كان من مدمني الخمر زاد إقباله عليها، وأهمل شكله ونظافته، فيزيد انصراف زوجته عنه، وينشغل بالتجسس عليها، ورصد حركاتها لعله يضبطها متلبسة، أو لعله يعثر على الدليل الذي يدينها به، وقد يعاند ويكابر ويصر على أن يجامع زوجته التي ترفض بإباء وقرف، فيتأكد له أنها تكرهه،

وتتولد لديه استجابات بالاضطهاد وأنه غير مطلوب ومنبوذ، لعله باستجاباته يجد عذراً لنفسه على استغراقه في الخمر، وعلماء النفس يسمون هذه الغيرة المتميزة عند مدمن الخمر مرض عطيل Othello s Disease. وهذاءات المدمن قد تدفعه إلى أن ينتحر، وقد يفكر في قتل زوجته، لأنها تمثل بالنسبة إليه فشله، ثم إنّ غيرته إذا زادت لا تصبح غيرة عليها بل غيرة منها، وتظهر عند المدمن ميول لواطية أنثوية نحو عشيق زوجته المتوهم، وقد يتهمه ويتخاذل ويبكي ليعطف عليه الآخر فيكون له كما لزوجته عشيقاً، والخمر تضعف أعصاب قضيب الرجل، وتزيد في دمه هرمونات الأنوثة. وأما إذا كانت المرأة هي المدمنة، فالأمر يختلف، وفي بلادنا قلما نعثر على مسلمة مدمنة، وقد تكثر المدمنات بين نساء النصارى، وقد تدمن المرأة بإدمان زوجها، واستجابة المدمنة للعلاج أسوأ من استجابة المدمن، والمدمنة تفرط في نفسها ويأتيها الرجال فرادى وجماعة، ولا تشعر بلذة للجماع ولا ترغب فيه، وإتيانها في الغالب يتم اغتصاباً، وقد تنام أثناء ذلك وتغيب عن وعيها، وقد تصدر منها الشتائم، وتلفظ بكلمات بذيئة، وإذا حملت المدمنة من زوجها أو من غيره فإنها في الغالب لا تكمل الحمل، وإذا أكملته فإنّ طفلها يخرج مشوهاً. وقيل في إدمان الخمر أنه من اضطرابات الإرادة، وأنّ المدمنة التي تعتاد الخمر فإنما ذلك لسبق رؤيتها لوالديها أو لأبيها يدمنها، ثم قد تتزوج مدمناً. وتقوم سيكولوجيتها على ضعف الأنا عندها، فإذا تركها زوجها لخلافات زوجية بينهما، أو إذا سافر للعمل بعيداً كأن يكون في بلد عربي، أو اضطرته ظروفه ليبتعد عنها طويلاً، فإنها قد تلجأ إلى الخمر، تدفعها إليها ذكريات أبيها أو والديها كلما ألمت بها ملمة، وعندئذ تبدأ تشرب الخمر وتكثر من التعاطي حتى الإدمان. والرجل غير المدمن لا يتقبل زوجة مدمنة، ولكن يتقبل زوجة مدخنة، وفي الغالب أنّ احتماله لزوجته هذه أحوالها، إنما لضعف به، وربما لسيطرتها عليه، أو لحاجته إليها. واحتمال المرأة العادية لزوجها المدمن لأنّ النساء عندما يخترن أزواجهن فإنّ اختيارهن تتحكم فيه دوافع

لاشعورية أو شعورية أقوى منهن، وأي أسرة هذا هو تكوينها فإنّ الجنس لا يشكل شيئاً مهماً في حياة أفرادها، فالخمر تشوه الشخصية، وتصيب بالهلاوس وبالخَرَف، والنوبات الصرعية. وتتعقد الأمور بوجود أولاد وبنات للمدمن أو المدمنة، وقد ينضمون للأم إذا كان الأب ظالماً متعنتاً، أو ينضمون للأم لترعاهم، واستقطاب الأم لولدها الأكبر قد ينضجه جنسياً قبل الأوان، وقد يعشق أمه لاشعورياً ويؤدي ذلك إلى التأثير على اختياراته لزوجته مستقبلاً. وتسوء الأمور كثيراً إذا كان للمدمن أو المدمنة أولاد من زواج سابق، فلو كان لدى الزوج ولد فإنّ زوجة المدمن قد تعشقه بديلاً عن زوجها العاجز، وكذلك إذا كان للزوجة ابنة فقد يغرر بها الزوج ويغويها. وليس أسوأ من الخمر على الشخصية، والمدمن قد يتحول بالخمر إلى شخص عدواني، وقد يغتصب ابنة زوجته، وربما ابنته أو أخته. وترتكب تحت تأثير الخمر أبشع الجرائم، ولم يستطع ماكبث أن ينفذ جريمته ضد الملك دنكان إلاّ بعد تناول الخمر، وظنت اللادي ماكبث أنّ الخمر قد تسكت ضميرها الزاعق في صدرها، وتُخرس الندم، فتعاطتها. ويرصد التاريخ تدني العلاقة الزوجية بين بعض زعماء التاريخ ممن كانوا يتعاطون الخمر وأدمنوها وزوجاتهم، وانصراف الزوجات عن أزواجهن بسبب الضعف الجنسي البيّن الذي كان عليه الأزواج بسبب إدمان الخمر، وعلى رأس هؤلاء كان أستاذنا سقراط، وحكيمنا سنيكا، ورسّامانا العبقريان رمبرانت وفان جوج، والشاعر الداعر بودلير، والشاعر العبثي فيرلين، والروائيون الفريد دو موسيه، وجوناثان سويفت، وهيمنجواي، وعبد الرحمن الخميسي، والشعراء: بيرون، وشيللي، وبيرم التونسي، وأحمد شوقي، والمتنبي، وأبو نواس، وعظماء الموسيقى: هاندل، وشوبيرت، وشومان، والمسرحي الساخر أوسكار وايلد، ومعظم هؤلاء فقدوا رجولتهم منذ وقت طويل بسبب الإدمان فانصرفوا عن النساء، والبعض عانى الأمرين من افتضاح عنته ومشاجرات زوجته معه.



ـ ٣ ـ

الجنس والمخدرات

Sex & Narcotics

المخدّر هو ما يحدث الخدَر، وهي الحالة الحِلمية التي يكون عليها المتعاطي للأفيون ومشتقاته: كالمورفين، والكودايين، والهيروين، والتي من شأن المداومة عليها أن يعتمد الجسم عليها فسيولوجياً، فيكون الإدمان وإلحاح المدمن على المخدر، وإلاّ تظهر عليه أعراض الامتناع.

ومتعاطي المخدرات أساساً لا يقبل عليها إلاّ لأنه يعاني من اضطرابات خطيرة في الشخصية، ومن شأن أية اضطرابات من هذا النوع أن تتأثر بها قدرات الشخص الجنسية، وهو يلجأ إلى المخدرات لتخفف التوتر الذي يعاني منه ولخفض قلقه ولتحصيل نشوة يعده بها المخدر، ويحسب معها أنه قادر على كل شيء ومن ذلك الجنس.

ومدمن المخدرات قد يتأخر عن موعد التعاطي فيصاب بهذاءات وهلوسات وقلق وأرق، ويرتفع ضغط الدم عنده ويصيبه الإسهال، ويضطرب جهازه العصبي المركزي وينصرف تماماً عن أية رغبات في الجنس، ولا يعود جهازه العصبي إلى التوازن إلاّ بعد أن يتناول المخدر، وهو كلما تناول المخدر زادت مشاكله المالية والعائلية والزوجية، ويحسب أنّ زيادة الجرعة أو زيادة عدد مرات التعاطي قد يحل مشاكله، ولكنّ الأمور تزداد معه تعقيداً باستمرار. ومن شأن الهيروين مثلاً أنه يخفض الدافعية عند المدمن، ومن ثم فإنه يعزف عن النساء ولا يطلب المواقعة، ولو كان أعزب فإنه يعزف عن ممارسة العادة السرية. والهيروين يقلل من عدد مرات الاحتلام الليلي، والمدمن إذا باشر النساء فإنه يرتخي قبل بلوغ الهزة، وإذا امتنع عن التعاطي تظهر عليه أعراض الامتناع فوراً، وقد يستمني من تلقاء نفسه وبدون انتصاب أو شعور بلذة.

وهناك علاقة بين نوع المخدر وثقافة المدمن، وبين المخدر والثقافة عموماً، فمثلاً يروج القات في ايمن، والأفيون في جنوب شرقي آسيا، وكان قديماً هو

المخدر المفضل في الصين، وينتشر الهيرويين في أمريكا الجنوبية، والمورفين في أمريكا الشمالية، ويقبل العمال في مصر على الأفيون والحشيش والبانجو، غير أنّ الحشيش والبانجو ليسا مخدرين، وإن كان الكثيرون يدرجونهما ضمنها، وكذلك يدرجون الكوكايين وهو ليس مخدراً. وكذلك يعرف العامة في مصر والبلاد العربية الداتورة وجوزة الطيب. وبشكل عام فإنّ مدمن المخدرات من أوساط دنيا، والإقبال عليها بين الطبقات الكادحة وعند شعوب العالم الثالث.

وللمخدرات تأثيرات خاصة على خلايا المخ. ويتميز مدمن المخدرات بالقلق الشديد، ولديه إحساس قوي بعدم الأمان وعدم الكفاءة، ومن ثم فهو فاشل جنسياً. وربما لأنه كذلك قد يقبل على المخدرات، وعموماً فإنّ الجنس هو مجال من مجالات الكفاءة، وهي يتعاطى المخدر ليجد فيه الخلاص من قلقه ومشاعره الهابطة. ويلاحظ على هؤلاء المدمنين أنهم يعانون من اضطرابات لا اجتماعية واضحة في الشخصية، فإحساسهم بالمسؤولية ضعيف، وشعورهم بالذنب يكاد يكون معدوماً، وقدرتهم على احتمال الفشل في إشباع رغباتهم ضئيلة، ويعجزون عن إنشاء علاقات شخصية ناجحة، ويستخدمون الناس كوسائل لتحقيق ما ينشدونه، ولا يتعلمون من الفشل والعقاب، ولا يفهمون أنّ للغير حقوقاً وللمجتمع مطالب، ولذلك كان مدمن المخدرات من أفشل الأزواج والآباء، ومنهم من يدفع زوجته إلى الرذيلة ليحقق من خلالها المال لشراء المخدر، ومنهم من يصل به الانحطاط الخُلقي إلى حد التفريط في بناته.

ولا بد أنّ لمدمن المخدرات تجارب صادمة بأبويه في طفولته، فلم ينشأ على حبهما واحترامهما، ولم يتعين بأيهما، ولا بأي من الراشدين في محيطه، أو أنّ من تعين بهم كانوا منحرفين ويعانون من الاضطرابات. ولا بد أن كانت له تجارب في الصغر من النوع الذي يجعله يحقد على الناس وعلى أبويه ويكنّ العداء للجميع، وليس تعاطيه المخدرات وما يجرّه عليه ذلك من تحدّ للقيم

والقوانين إلاّ لأنه يريد أن يعبر عن كراهيته للمجتمع وأخلاقياته ومعاييره، وإذا كان متزوجاً فإنّ زوجته تتوجه إليها كراهيته بوصفها أحد رموز المجتمع، باعتبار أنها الركن الركين للأسرة التي منها يتألف المجتمع. ومع ذلك فإنّ المدمن يخفي نفسية طفل يريد من الناس أن يهتموا به ويعطفوا عليه، وأولهم زوجته، وهو لهذا السبب دائم العقاب لها وإلقاء اللوم عليها واتهامها بعدم الفهم وعدم الحب له. وتزيد مشاكله مع زوجته بحكم أنه إنسان لن ينضج عاطفياً ويعيش في عالم من نسج خياله وأحلام اليقظة. وهو كثيراً ما يصالح امرأته ويحكي لها عن مشاريع مستقبلية ستصطلح بها أحواله، إلاّ أنّ وصفه لهذه المشاريع يشوبه عدم النضج، وتبدو مشاريعه غير واقعية وكما لو كانت هذاءات أحياناً.

ومن شأن المدمن أن تزيد المخدرات انسحابه على نفسه، فيُشغل بالمخدر وبمشاعره ويضيق عالمه، ويدفع بعائلته ووظيفته وأولاده وزوجته إلى أطراف حياته الانفعالية، ويتضاءل إحساسه بالجنس كلما زاد اعتماده على المخدر، ويفقد شهيته للطعام وتضطرب صحته، ولا يهتم بنظافة نفسه وتعافه زوجته وأولاده، ويسيطر المخدّر على كل تفكيره. ويصاب البعض بالفصام، والمدمن ربما تكون له أصلاً الشخصية الفصامية، وصاحبها متلبد الوجدان وهيّاب، وعلى شيء من الخمول، ويستسلم للهواجس وأحلام اليقظة، ونادراً ما يمارس الجنس، ويعزف غالباً عن الزواج، وقد يجد العزاء للبؤس في حياته في المخدرات، ويرجع ذلك إلى أنّ المخدرات عموماً من شأنها تخدير الحواس والعقل بحيث يتجنب المتعاطي الواقع، ويعجز عن التعامل معه ومع الناس من حوله - وأخصهم أهل بيته.

ومدمن المخدرات قد يتعاطى الأفيون، أو أحد مشتقاته أو مستحضراته بالصدفة، فقد يتصل عمله مثلاً بمهنة الصيدلة فيتعاطى المورفين، وربما يتصل عمله بتوزيعه أو بيعه أو صرفه، والموفين منبه ويتسبب عنه الانتصاب، ويُمتص بسهولة إذا أُعطي بالفم، ويستحدث حالة من

النشوة هي السبب في الإقبال عليه، ومع النشوة تكون الرغبة في الجماع والقدرة على التكرار، وله خاصة منومة، واسمه المورفين من مورفيوس إله النوم عند الإغريق، وقد يكون له هذا التأثير التخديري ولكنه يمكن أن يكون منبهاً أيضاً، وتختلف نتيجة تعاطيه من فرد إلى آخر ولا يمكن التنبؤ بها، وقد يشعر المتعاطي بعد الجرعة بأنه أكثر عافية وأقدر على الممارسة الجنسية، وزوجات المتعاطين يعرفن ذلك ولكنهن يعانين من المشاكل المالية التي تقع فيها الأسرة من جراء شراء المورفين وضغط المصروف، والحقيقة أنّ سوء التوافق في الزواج يبدأ من قبل التعاطي والإدمان، وإذا امتنع المدمن عن التعاطي لأي سبب تظهر عليه أعراض الامتناع، وتتراوح في الشدة حسب الجرعة التي كان يتعاطاها، وعموماً فإنه مع الإدمان تزيد الاضطرابات في شخصيته، وتتسع هوة الخلافات بينه وبين زوجته حتى انه قد لا يأتيها بالمرة.

ويطلق على المورفين المثيلي اسم الكودايين، ويعدّ بالاستحضار، وتأثيره يماثل تأثير المورفين بدرجة أقل ولا يسبب الإدمان.

وقد تتصل حياة مدمن الهيروويين بأي من الأنشطة المتعلقة بالمتعاطين له، وتدفعه إليه الرغبة في أن يهرب من مشاكله جميعاً وأخصها المشاكل العائلية وسوء التوافق في الزواج، وهو في أول التعاطي يبدو أنه قد تخلص من آلامه، ويشعر بنشوة كاذبة، ويرغب في الجنس ويأتيه بكفاءة، إلاّ أنه بعد أن يدمنه يكون كالناعس أو الحالم، ولا يتجاوب مع زوجته، ويفشل في الانتصاب وينصرف عن الجماع، ويصاب بالاكتئاب كلما زاد اعتماد جسمه عليه واحتاج إلى جرعات أكبر ليشعر بالنشوة التي كان يشعر بها في أول التعاطي، فإذا لم يجد الجرعة التي تكفيه فإنّ الأعراض تظهر عليه فيرتجف ويعرق ويهلوس ويسوء خلقه، وإذا لم يعالج فقد يموت أو قد يعيش رغم شدة الحالة التي يكون عليها، والتي قد تستمر معه لمدة أسبوع ثم تخف بالتدريج، ولكنه لكي يعود صحيحاً ينبغي أن يعالج نفسياً لحل صراعاته ومشاكله، وإلاّ فإنه سيظل

متهافتاً وغير قادر على التوافق مع زوجته وعاجزاً عن إتيانها جنسياً، ويزيد العجز الجنسي به بعد الامتناع، حتى لقد يبدو أنّ العجز الجنسي يترتب على الامتناع.



- ٤ -
الجنس والكوكايين
Sex & Cocaine

الكوكايين يهيج المتعاطي جنسياً، ويستحدث به حالة من النشوة والصحة والتألق الذهني لأربع أو ست ساعات بعد التعاطي تجعله يقبل على الجماع بشدة. ومتعاطي الكوكايين في أول الأمر يحسب أنّ مشاكله الجنسية قد حلها بالتعاطي، إلاّ أنه بعد فترة تترتب عليه مشاكل أخرى تكون لها ضغوط لها تأثيرات هابطة على شهوته وقدرته الجنسية، فهو لا يجعل المتعاطي يعيش الواقع ولكنه يكون في عالم متوهم، ويحسب أنه أقدر الناس جنسياً وأذكاهم عقلاً وأشدهم جسماً، وهو لا يولي حساباً للزمن ولا الجماع ولا التعب، ويذكر أشياء من الماضي بوضوح وكأنها كانت بالأمس، وقد يؤدي تنبيه الكوكايين للمخ إلى الإصابة بالتشنجات أو بنوبات الصرع، وقد يحتاج باستمرار إلى زيادة الجرعة، فتضطرب ذاكرته، ويفقد تحكمه في أفكاره واتزان حركاته، ويحس بالدوار وبأثر المخدر في كلامه ومشيته. والجرعة الشديدة قد تصيب المتعاطي بالشلل الذي يشمل المخ وخاصة مركز التنفس، ويموت. وإذن فإنّ الاستمتاع الجنسي الذي كان في أول التعاطي ينقلب إلى ضده بعد فترة من الزمان، وما كان بالأمس مغامرة بسبب «المزاج»، ومدفوعاً بالجنس، يصبح كارثة بعد أن يعتاده الشخص نفسياً، ويزيد باستمرار من جرعاته، فيصاب بذهان الكوكايين كلما لم يجده، وهو اضطراب يشبه الفصام الهذائي الحاد، وعندئذ فلن يقوى على الجماع، بل إنه لن ينتصب أساساً، بالإضافة إلى أنّ الكوكايين يصيب المتعاطي بالهزال الشديد لتأثيره الهابط على العمليات الحيوية بالجسم، وربما لانصراف

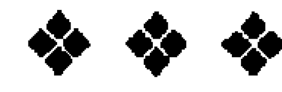
المدمن بدخله كله لشرائه، الأمر الذي يخلق سوء التوافق مع زوجته وخاصة أنّ الكوكايين من أغلى المخدرات ثمناً.

ويؤثر الكوكايين على الحاسة الأخلاقية أكثر من غيره من المخدرات، ويهمل المدمن نفسه وبيته ويندفع في علاقات جنسية غير مميزة، وربما تكون له عند البعض تأثير جنسي هابط، وربما يكون هذا البعض الذي لا يؤثر فيه الكوكايين هذا الأثر يعاني من لواطة كامنة يظهرها التعاطي، أو ربما يؤدي الإدمان واستمرار التدهور في الشخصية وانفراطها بتأثير التعاطي إلى الاستسلام للمنحرفين جنسياً من بائعي العقار أو مورديه. وعموماً فإنّ الكوكايين ينتشر أصلاً بين الشخصيات السيكوباتية المعروفة بالانحرافات الجنسية، وبين العاهرات. ويميل الكوكايين إلى إثارة الرغبة الجنسية عند النساء، ومن شأن ذلك أن يدفعهن إلى الزنا، وقد يمارسن البغاء ليحصلن عن طريقه على المال اللازم لشراء العقار. واستمرار التعاطي عند الرجال لسنوات يصيبهم بالعنة.

وقد يصاب المتعاطي أحياناً بهلوسات ذهانية انسمامية أبرزها النَمَل Formication فيحس بإحساسات لمسية كاذبة كأنّ حشرات أو ديدان تمشي تحت جلده أو فوقه، ويقال لذلك ظاهرة بق الكوكايين Cocaine bug ، وربما كان ذلك بسبب فرط النشاط الذي يستحدثه الكوكايين لأعصاب الجلد، ومن ذلك قضيبه وإليتيه، فتراه يهرش فيهما، ويهرش هنا وهناك، ويكاد يجن، حتى إنه قد يحاول أن يقطع جلده، وتلك أمور لا يستقيم بها زواج. وقد يصاب المدمن بهذاء الاضطهاد ويتهم زوجته بالخيانة ويضربها، وقد يدفعها إلى البغاء ليحصل عن طريقه على المال اللازم لشراء العقار. وغالباً ما يعاني مدمن الكوكايين من مشاكل شخصية وتفاعلية، وهو غالباً من النمط اللاإجتماعي، وعلاجه النفسي لذلك لا يبشر بالخير، إلاّ أنه إذا رغب في العلاج - وذلك نادر - فالخطوة الأولى تكون بإبعاده عن رفقة السوء أصحاب المزاج، ثم يساعده على محاولة تفهم مشاكله وحل اضطراباته، ويحتاج لأن يتوقف مرة واحدة عن التعاطي ويُداوى بالمهدئات والمنومات وتغيير سكنه

وعمله إن أمكن.

وأصل الكوكايين من نبات الكوكا الذي ينمو بجبال الإنديز بأمريكا اللاتينية، وكان هنود الإنكا يتعاطونه على شكل أوراق يمضغونها، وصُنع في القرن التاسع عشر على هيئة بودرة، وتعاطاه الناس كسعوط يستنشقونه، وهو من أكثر المخدرات انتشاراً بين النساء في أمريكا، وخاصة الفنانات وبائعات الهوى، وينتشر بين الهيبيز والأولاد والبنات المستهترات، والدافع إليه في كل الأحوال هو الجنس غالباً.



— ٥ —
الجنس والحشيش
Sex & Hashish

تدخين الحشيش من الأمور المألوفة في بلادنا، والماريجوانا Marijuana ، والبانجو Bango ، صنو الحشيش، وتعرف الماريجوانا في أمريكا، والبانجو في مصر، وجميعها من مسببات الهلوسة، وهي أخفها ضرراً، وتجيء في التصنيفات الرسمية ضمن المخدرات، مع أنها ليست من المخدرات، ولها تأثيرات كثيرة فسيولوجية على المتعاطين، منها أن تزيد ضربات القلب مع زيادة التعاطي، ويحمر بياض العينيين، وهذا هو سبب وضع المتعاطي للنظارات الشمسية، وتزول هذه الأعراض مع زوال تأثير العقار على الجسم بالامتناع.

ولا يؤثر الحشيش أو الماريجوانا على الناحية السلوكية للمتعاطي، طالما أنّ الجرعة بسيطة، والعمل المطلوب منه بسيط كذلك، وقد يستطيع مثلاً أن يعدّ فنجاناً من القهوة، أو يطلب رقماً بالتليفون، ولكنّ الأعمال المعقدة التي تتطلب استجابات سريعة وإدراكاً للزمن والمسافة تُظهر عجز المتعاطي، حتى لو كان ما تعاطاه مجرد سيجارة واحدة محشوة بالمخدر. ويُحظر على المتعاطي قيادة السيارات لهذا السبب.

ومن الناحية النفسية توصف حالة المتعاطي بأنها استرخاء، وكأنه يحلم وقد تجاوز الزمان والمكان، ويحسّ بنشوة

وصحة كاذبتين، ويعيش في عالم متوهم، الأشياء فيه نائية مهما كانت قريبة، والدقائق تمر كالساعات، والناس يبدون عمالقة. وإذا كانت الجرعة كبيرة فقد يكتئب ويبتئس ويخاف أن يموت، وقد يجمع به الخيال، وتزدحم رأسه بالأفكار، وتضطرب ذاكرته ويسوء حكمه، وتنفصل أفكاره، ويلغو بهلوسات طابعها جنسي غالباً، ويقال إنه مسطول، وأنّ الكيف مسيطر عليه، وتستمر الأعراض من ساعة إلى ست ساعات حسب كمية الحشيش التي تعاطاها.

وللحشيش تأثير هابط على القدرة الجنسية، وينخفض منسوب هرمون التستوستيرون الجنسي في الدم بمقدار التعاطي، فإذا داوم المتعاطي على زيادة الجرعة حتى يتحقق له الكيف، واستمر كذلك يومياً لمدة ستة شهور، فإنّ هذا الخفض من شأنه التقليل من النشاط الجنسي للمتعاطي. وشبيه بذلك أنّ المتعاطي مع المداومة تتأثر المناعة عنده وتنخفض استجابتها، وتقل قدرة الجسم على مدافعة العدوى، وتتلاشى المقاومة مع تعاطي أصناف أخرى من المخدرات أشد وطأة وأبعد أثراً في جسمه ونفسه، وهي الظاهرة التي يطلقون عليها اسم تدرج الكيف escalation . وبرغم أنّ الحشيش أو المرجوانه لا يسببان إدماناً، ولا يعتادهما الجسم، ويمكنه باستمرار أن يستغني عنهما، إلاّ أنهما قد يمهدان لإدمان مخدر أخطر، وهما في ذلك يشبهان عقار الهلوسة والتدخين إلخ. وربما لا يرتكب الحشاش ما يخل بالآداب أو يخرق القانون، فيما عدا حيازته للمخدر، والمعاناة الاقتصادية والاجتماعية بسبب حاجته للمال أو نظرة المجتمع إليه، والاكتئاب والقلق والخوف من بعض الأعراض التي تشمله، والتي يحسب بسببها أنّ التعاطي قد أصابه منه الخبل أو بعض الجنون. وقد يعاني بعض المتعاطين من أعراض فقد الشخصية، وتتولد لديهم تصورات خاصة عن أعضائهم وأشكال الناس من حولهم، ولا يمكن لهم إذا تحصلت هذه الأعراض أن يقوموا بواجباتهم الزوجية بالطريقة التي يقوم بها الشخص السليم المعافى الذي لا يتعاطى المخدرات. وقد تتعلم الزوجة

التعاطي، فقد يشجعها زوجها المدمن على أن تدخن معه لكي يلتقي «الكيف» كما يقول الحشاشون، وإذا بلغ الأمر هذا الحد فإنّ الزوجة نفسها تصاب بالبرودة الجنسية ولا تبالي إن ضاجعت أو لم تضاجع. ولا شك أنّ الجماع المُشبع سلوك مركب، ويحتاج إلى وعي تام، فيدرك الشخص ما يقول وما يفعل ليأتي شريكته بالطريقة التي يعرف أنها تحبها، ويكون إنعاظها بها، ولكن الحشاش إذا أتى الجماع لا يهمّه أو تنعظ زوجته أو لا تنعظ، ولا يبالي بتأثير ما يفعله على نفسيتها، وهو في الفعل الجنسي أناني، ولا تكون له رائحة مقبولة بسبب كمية الدخان التي يكون قد احتساها، وغالباً ما تتم جلسات الحشيش دون اختيار للشركاء، فيتعلم منها كلمات وعبارات تثير الضحك عليه ومنه، ولا تجعل زوجته تحترمه بسببها. وأبسط ما يمكن أن تصفه به أنه مسطول وغير مسؤول عما يقول أو يفعل. والحشاش صاحب مقولة وليس صاحب فعل، وما يقوم به من فعل هو مجرد حركات، أي أنّ فعله ليس هادفاً. والحشيش أقوى من المرجوانه نحو خمس أو ست مرات في المفعول، والمادة الفعالة في الاثنين هي مادة THC، وتُختزن في الجسم وتتراكم ذائبة في الدهن، وتراكمها يفسر ظاهرة الاحتمال المعكوس لها، بمعنى أنّ تكرار التعاطي وزيادة المخزون من هذه المادة في الجسم يجعل الجسم حساساً لها فتتناقص حاجته منها. وربما كان إقبال الشرقيين على الحشيش دون المرجوانه دليل على تكوين نفسي معين يجعلهم مختلفين عن الأمريكيين الذي يؤثرون المرجوانه على الحشيش، مع فارق تأثير المخدرين في الحالة العامة للمتعاطي، وربما كان الأمريكي لا يحتاج للتأثير القوي ليبغ حالة الكيف أو الانسطال، بينما المصري أو السوري أو اللبناني لا يبلغها إلاّ بالحشيش القوي. والمتعاطي في أي الأحوال يعاني من اضطرابات في الشخصية، تجعله يلجأ إلى المخدر كوسيلة للهرب من مواجهة المشاكل التي تصطنعها شخصيته المضطربة، بدلاً من أن يستجمع كل قواه الإدراكية والمعرفية وشجاعته الأدبية ليحل هذه المشاكل. ولقد قيل إنّ الحشيش يتعاطونه لإطالة

الجماع، وهو لا يطيل الجماع إلاّ لأنه يصرف الوعي إلى أمور أخرى خلاف الجماع نفسه، وفي حالات الانسطال قد لا يعي الشخص ما يفعل وقد ينام خلال الجماع، وقد يزول انتصابه، وقد يقبل على الجماع على بغي فيتهيأ له وهو مسطول أنه يضاجع إمبراطورة. والحشيش يتعاطاه بعض الناس الذين يعانون من الخجل أو الكف الشديد، ومن دأب الحشيش أنه يرفع هذا الكف فينطلق لسان الشخص بالكلام وتكون له الجرأة على الجماع، ولكنه من ناحية أخرى يقوم بالجماع بالطريقة التي يريدها والتي كان لا يجرؤ على إتيانها وهو فائق، ومن ثم فجرأته قد لا تفيده لأنها قد تنفر الطرف الآخر. وكثيراً ما يكون بالمتعاطي انحراف جنسي ما فيجعله الحشيش صريحاً، وقد يأتي زوجته من الدُبُر، أو قد يطلب منها أن تمص قضيبه أو تستعري، فتنشب الخلافات ويسمع الجيران شجار الزوجة وردود الحشاش اللامبالية.

والحشيش يأتي ترتيبه الثالث في الانتشار بعد التدخين وشرب الخمر. وقيل إنه من بين كل سبعة أشخاص يوجد واحد على الأقل يتعاطى أو قد يتعاطى الحشيش في يوم من الأيام. واستخلاص الحشيش والماريجوانا من نبات القنب cannabis sativa ، من نوع منه يقال له القنب الهندي cannabis sativa indica ، ينمو برياً ويزرع حولياً، لاستخراج ما تفرزه النباتات الأنثى من مادة راتنجية تكثر في عناقيدها الزهرية وأوراقها العليا، ويُصنع منها الحشيش، أو الحشيشة، أو الكيف، ومنها يستمد هذا النبات اسمه الشائع حشيشة الكيف.

والقنب الهندي موطنه الأصلي الهند، ويزرع حالياً في المناطق الاستوائية من آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية. وللحشيش في هذه المناطق الجغرافية أسماء شعبية، منه الماريجوانه السالف الإشراة إليها، وهي تحريف أسباني مكسيكي لاسم ماري جان mary jane يطلقه أولاد البلد على الحشيش، وينطقونه أحياناً marihuana ، أو mariguana ، أو marijuana ، أو miajuana .

ويُلف الحشيش أو الماريجوانه في السجائر ويُدخن، وقد يُمضغ، ويهيئ على شكل ترب (جمع تربة) ويقطع قروشاً أو قطعاً صغيرة واحدتها قرش. وقد يُخلط بطباق النارجيلة أو الجوزة. واسم الجوزة مأخوذ من جوزة الهند لأنها تشبهها، أو لأنها كانت تُصنع منها، ويطلق على الحشيش في الهند اسم الجوزة guoza . وبشكل عام يلزم من الحشيش سيجارتان أو ثلاث لبلوغ حالة الكيف.

ويُستخرج الحشيش غالباً من زهور وشواشي القنب الهندي، بينما تُستخرج المرهوانة من الأوراق، والمكون الفعال في الحشيش هو «الكانابينول»، بينما هو في المرهوانة التيتراهيروكانابينول ويختصر إلى THC. وقلما يوجد الحشيش في صورته النقية، ويقبل المتعاطون على تعاطيه كعلاج لحالات الاكتئاب والتوتر وفقدان الشهية للطعام والفشل في الحياة الجنسية، والدافع إلى تعاطيه بلوغ حالة الكيف كمهرب أو للراحة، والمتعاطي يستشعر عند الانسطال أنه في عالم آخر، وتكون به نشوة (يوفوريا)، ويفسد حكمه على الأمور، وتصوره للأشياء، وفهمه لما يقال، والتنسيق بين أقواله وحركاته. والحشيش خافض للجهاز العصبي المركزي، أي أنه يخدره. وتنفق مصر على الحشيش ومقاومة انتشاره نحو المليارين من الدولارات سنوياً، وينفق الشعب المصري من ساعات العمل في تعاطي الحشيش ما يوازي مليارين آخرين من الدولارات، وهي أرقام مهولة بالنسبة لدولة فقيرة كمصر يعتبر دخل الفرد فيها من أقل الدخول في العالم. ولقد قيل إنّ الوضع الاقتصادي المتدني للشعب هو الذي يدفع إلى تعاطي الحشيش، بالنسبة إلى انتشاره في الأوساط الشعبية، خاصة بين العمال وفي الصعيد. وقيل إنّ ختان النساء في مصر سبب آخر لتعاطي الحشيش، حيث تجور الخاتنة، ويقل شعور المرأة بالجماع، وينعظ الرجل قبل المرأة فيتعاطى الحشيش ليطول الجماع، وفي دراسة على عينة من ثلاثمئة زوجة يتعاطى أزواجهن الحشيش، تبين أنّ للحشيش هذا الأثر في إطالة الجماع عندما يكون الرجل متحفظاً بصحته، غير أنهن أجمعن

أيضاً على أنّ الرجل المسطول لا يعي ما يفعل وهو يجامع، وهو يؤدي ما يقوم به في غير انتباه لما يفعل، ومع تردي الحالة المالية للمتعاطي، وهبوط دخله، وما يترتب على ذلك من مشاكل عائلية وصحية، يفقد قدرته الجنسية بالتدريج، ويكون النفور بينه وبين زوجته. وفي دراسة على المسجونين في قضايا المخدرات تبنين أنّ ٨٧٪ من زوجات المتعاطين للحشيش يطلبن الطلاق، وأنّ نحو ٧٣٪ من هؤلاء المتعاطين يتزوجون أكثر من واحدة، وأن الجُناح بين أولاد المتعاطين يشكل أعلى نسبة في الجناح قد تصل إلى ٥٦٪، ولعل ذلك يحذرنا من نتائج تعاطي الحشيش، وينبهنا إلى جعل موضوع التعاطي من الموضوعات التي ينبغي دراستها في المدارس جميعها، وعلى مختلف مستوياتها في مصر والعالم العربي.



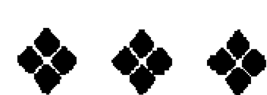
- ٦ -

الجنس والبانجو

Sex & Bango

الحشيش والماريجوانا والبانجو عائلة واحدة، تُشتق من نبات القنب، وكان يسمى قديماً باسم القنب الهندي، والبانجو بصفة خاصة، مع استعماله لمدة شهرين بانتظام، يسبب الإدمان، ويقلل من النشاط الجنسي، والمدمن يستوي الأمر عنده أن يتعاطى أياً من هذه الثلاثة: الحشيش أو الماريجوانا أو البانجو. وأخطر هذه الثلاثة الحشيش وهو أغلاها ثمناً، ويتعاطى البانجو إما مضغاً، أو حرقاً في الجوزة أو الشيشة أو السجائر، ويحتاج المتعاطي إلى زيادة الجرعة بانتظام، وفي مصر تتناوله النساء كالرجال، وكثير من هؤلاء وهؤلاء من فئات الممثلين والممثلات، والانقطاع عنه فجأة يسبب الاكتئاب والقلق واضطراب النوم ورجفة الأطراف وعدم الانتصاب بالكلية، وإن كان المتعاطي امرأة فهي تعزف تماماً عن الجنس، والرجل يتعاطاه للانتعاش

ولإطالة فترة الانتصاب، ومع استمرار التعاطي يحتاج إلى زيادة الجرعة وإلاّ توقف الانتصاب، ومع الانتصاب يكون زيادة زمن الجمع، وعدم الكفاءة في الجماع، والكسل أن يجامع أصلاً، ويتبلد انفعاله. والجرعة التي تزيد على ٥٠ ملليجرام في الشهر تتسبب في خروجه بالكلية من مجال الجنس، وكذلك المرأة، والمتعاطي سواء كان رجلاً أو امرأة يعاني من عدم النضج الانفعالي، والعجز عن التفكير المنطقي، وشخصيته أو شخصيتها من النمط الاعتيادي، والتعاطي هو مخرج من هذه المشاكل، ومثل ذلك في التدخين، وتعاطي الكحول، وسائر المخدرات. ومظاهر انحلال الشخصية عند متعاطي البانجو تترتب على تأثير التعاطي في الجسم فيصيبه الخمود، وتتأثر أنسجة الكبد والكلى والخصيتين والمخ، وتُستحدث به تشوهات تركيبية وعددية للكروموسومات في النخاع العظمي، وبذلك يكون له تأثير طفري وسرطاني، ومن شأن إدمان التعاطي أن يقل بالجسم تكوين وتحليل الحمض النووي، ومعدل انقسام الخلية، ويتسبب الإدمان في نقص وزن الرحم والجنين في المرأة، ونقص حجم الأعضاء الجنسية في المرأة والرجل على السواء، كالخصيتين، والرحم، والبربخ، والمبيضين، والحويصلة المنوية، والبروستاتا، وهو ما يثبت أنّ البانجو يقلل من النشاط الجنسي، ويسبب الإعاقة في تخليق الحيوانات المنوية. ويحتمل أنّ اسم البانجو من bang الإنجليزية - وهي النشاط والحيوية - باعتبار أنّ المتعاطي في البداية يبدو عليه الابتهاج والحبور والحماس، ويستطيع الجماع مرات، ويطيل فيه، ويحدث ذلك فجأة مثل الفرقعة والدوي، إلاّ أنّ ذلك لا يدوم ويتناقص باستمرار إلى أن ينمحي تماماً.



- ٧ -
الجنس وعقاقير الهلوسة
Sex & Hallucinogenes

عقاقير الهلوسة هي التي تسبب في الإصابة بالهلاوس، ومنها ما هو نباتي، وما هو مصطنع، ومن النباتي فطر الأمانيتا ماسكاريا الذي يحتوي على مادة الماسكارين والبيوفوتينين، وهما أشباه قلويات، والمتعاطي منه بكميات قليلة يهلوس ويهذي بشدة، وينتصب ويمارس الجنس بعدوانية وفحولة، إلاّ أنّ ذلك لا يدوم، وسرعان ما تقل الرغبة الجنسية ويتوقف الانتصاب مع تهافت الشخصية بالتعاطي والإدمان، وكانوا قديماً يسمونه السوما Soma ، أو الأمبروزيا Ambrosia ، ومعناها «طعام الآلهة»، لأنه كان ينقل الناس إلى جو مشحون عاطفياً، وغير هيّاب، ويجعل منهم كأنهم آلهة، ومن ذلك أيضاً الزايلوسايبين Psilocybin ، وهو فطر كانوا يعتبرونه مقدساً أيضاً وطعاماً للآلهة، والمتعاطي يخيل إليه أنه قد عبر حاجز الزمن واطّلع على الغيب، ويُشترط له أثناء التعاطي لأول مرة أن لا يقرب النساء أربعة أيام، والفطر أصلاً ينمو في روث الحيوان، ولونه لذلك بني، ويؤدي إلى الاسترخاء والانفصال عن الواقع، وفي خلال ساعتين يصل المتعاطي إلى قمة النشوة المطلوبة ويمارس الجنس كما يشاء، ويضيع تأثيره بعد ست ساعات. ولأنه يعيش في عالم متخيل فهو يظن أنه مارس الجنس كما لم يمارسه أحد، وأنّ قوته فيه لا تُدانى، ولذلك استعماله عند فئة الممثلين، والكتاب، والرسامين، والفنانين عموماً، ويتوهم الجميع أنه يرفع القدرة على الإبداع، ويقبل عليه النساء والطلبة والطالبات وخاصة في أمريكا، من أجل التسلية، أو لممارسة الجنس، أو لاستشعار جماليات الكون، ويتعاطاه مدعو التصوف، والحشيش والأفيون كانا يرتبطان بالتصوفة قديماً، وفي أمريكا يتعاطاه المتدينون، والذين يبشرون بانتهاء العالم، وبقرب نزول المسيح، والبعض من الفلاسفة المغمورين يتعاطاه بهدف أن يتوهموا عن العالم، ويقتصر إدراكهم على ذواتهم، فيمكنهم

سبر أغوارها ومعرفة أبعادها، وهؤلاء يتعاطون هذه العقاقير ويمارسون الجنس، بدعوى أنّ الاثنين يحققان الغرض، وكلاهما يؤدي للآخر. والميسكالين Mescaline من عقاقير الهلوسة، واسمه الشعبي بيوتي Peyote ، وهو من نوع الصبار، ومكانه الأصلي تكساس، وعرفه الأزتيك والهنود الحمر، وتعاطيه جماعي، ويتعاطى الفرد من الميسكالين نحو ٣٠٠ ملليجرام، أو ثماني حبات من الصبار بعد تجفيفه، يتناولها بالفم، أو بتدخين الأقراص في الغلايين، ويظهر مفعوله بعد ساعة واحدة، وتعاطاه الروائي الدوس هكسلي Huxley لدوافع جنسية، والغريب أنّ الميسكالين، والعقاقير عموماً لا يتعاطاها إلاّ أصحاب الشخصيات غير الناضجة، وكان هكسلي روائياً عبقرياً، إلاّ أنه في مسألة الجنس فشل، فكان لزاماً عليه أن يلجأ إلى معين، فتناول هذا الصبار ثم أقلع عنه. ومن العقاقير المسببة للهلوسة كذلك حبوب الصباح الهزري Morning Glory Seeds، وسميت كذلك لأنّ تعاطيها يكون في الصباح مستهلاً بها اليوم، ليبقى المتعاطي سعيداً طول اليوم، وهي أصلاً بذور نبات يسمى أوليوكي Olioqui، وجدوا له تأثيراً على الناحية الجنسية خصوصاً، وتحتوي على حمض الليسيرجيك Lysergic acid مثل عقار الهلوسة LSD، وتسبب أعراضاً شبيهة بأعراضه. وهناك أيضاً عقار أرتميزيا Artmesia، وهو نبات بري، وكان المصريون القدماء يستخدمونه كطارد للديدان، والجرعات منه إذا كانت كبيرة تؤدي إلى الهلوسة، وتعاطيه كان بقصد تقوية الناحية الجنسية. ومثله مثل عقار D.M.T ويستخلص من بذور الأكاسيا نبوبو، وتؤخذ بذوره وتخمّر في الماء ثم تطحن لتصبح بودرة تستعمل للاستنشاق كالسعوط، وتعاطيه كعقار مساعد لتقوية التأثير الجنسي للماريجوانا أو الحشيش وتوضع عليه مع التبغ للتدخين. ومثله مثل الكابي Caapi وهو عبارة عن عروش خشبية، والبانسترين هو المادة الفعالة فيه، وتسبب الجرعة الصغيرة منه الانتصاب الشديد، وإذا تعاطته الأنثى ينتفخ بظرها ويصبح شديد الحساسية

للجماع، وتنعظ المرأة عدة مرات في الجماع الواحد، فكان البانسترين أو الكابي من المنشطات الجنسية ومنشطات الجهاز العصبي، والجرعات الكبيرة منه تحدث أثراً عكسياً وتسبب كرشة النفس وشلل الجهاز التنفسي. ومثل ذلك نبات جوز الهند Nut Meg، ويتناول المتعاطي الثمرة بعد نزع غلافها في فمه ويستحلبها، ومن شأنها تنشيط الدورة الدموية والجهاز العصبي، وإحداث الانتصاب، إلاّ إذا أعطيت بكميات كبيرة في شكل مسحوق فتأثيرها عكسي، وإلاّ فهي تسبب النشوة والهلوسات السمعية والبصرية، وبظر المرأة المتعاطية ينتفخ بها، وتأثيرها كتأثير الأمفيتامين والمسكالين. والنباتات المسببة للهلوسة كثيرة، ومنها مجموعة تُعرف بتأثيرها المضاد للأسنيل كولين، وترجع إلى عائلة السولانسيا أو عشبة السلوان، ومنها الداتورة، وقيل إنّ جرعاتها الكبيرة مميتة، وينسب إليها أن عمّ هاملت وضعها لأخيه، فقتله بها وتخلص منه كمزاحم له على زوجته، وكان العم يتعاطاها كمقويات جنسية، فلما زنا بزوجة أخيه أحسّت بمتعة جنسية لم تكن تحس بها من قبل، وكان والد هاملت في أواخر أيامه قد أصيب بالعنة، فتخلصت منه الزوجة بمساعدة عشيقها، وأعطيا الملك العقار الذي يحبه، وإنما بجرعات كبيرة فقتلته، وقيل إنهما وضعا العقار كسائل في أذنه وهو نائم. وكان لهذا العقار ضحايا آخرون من المتعاطين، منهم الإمبراطور الروماني كلوديوس، وكان زئر نساء، ولكن قواه الجنسية ما كانت تسعفه، فمكان ينشطها بهذا العقار، ومع الإدمان يحتاج إلى زيادة الجرعة، فظل يزيدها إلى أن مات بها. فكأنّ هذا الدواء منشط في حالاته البطيئة، ومهيج جنسياً في حالاته المتوسطة، وسُمّ زعاف إذا زادت الجرعات عن حدها.، ومثله مثل الأتروبا بيلادونا Atropa Belladonna، وكانت النساء في مصر وفي روما يستعملنها لتجميل عيونهن بتوسعة البؤبؤ، ومادته الفعالة هي الأتروبين، والجرعات الصغيرة منه منشطة جنسياً، والجرعات الكبيرة تجعل صاحبها وكأنه

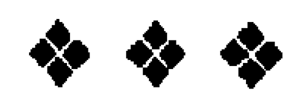
في حلم، وكأنه يطير في الجو، ومن الغريب أنّ قشر الموز له هذه الخاصية المنشطة للجنسية والانتقال إلى عالم من الأحلام، ويجمعون قشر الموز، ثم يحرقونه ويستنشقون أبخرته، ويحتوي على التايزين وله خواص عقاقير الهلوسة. وأما العقاقير المصنعة فأهمها الإل إس دي L S D ويستخرجونه من فطر الإرجوت Ergot، وينمو على حبوب الشوفان، ويسبب ورم الأطراف والقضيب والبظر، والحكة فيهما، والإفراط في الجنس تبعاً لذلك. ويتعاطى المدمنون حبوبه بالفم أو الحقن في الوريد، والمتعاطي لا يعيش الواقع، ودنياه عالم من الأحلام والهلاوس. ومثل ذلك عقاقير DET ، وDMT ، وDPT ، وPCP، وكانوا يسمون هذا العقار حبة السلام، يبلعونها، أو يدخنونها، أو يطحنونها ويستنشقونها، ويسبب النشوة في البداية حتى يريد صاحبها الجنس، ثم يصاب بالخلط الذهني، وتأتيه معتقدات وهمية، ويعربد، ولا يشعر بالألم، ولو ظل يجامع لما ملّ ولا كلّ ولا أنزل!.



- ٨ -
الجنس والمذيبات الطائرة
Sex & Voltatile Solvents

المذيبات الطائرة كالبنزين، ومزيلات طلاء الأظافر، والصمغ، ومزيلات البقع، وسوائل التنظيف، وجميعها تتركب من مواد طيارة، والمدمنون يتعاطونها جماعات غالباً، ويستنشقون أبخرتها، وكثيرون يستنشقون الصمغ، والكلة، والمراهقون قد يقفون خلف السيارات أثناء تشغيلها لاستنشاق عادم البنزين، والمستنشق يصيبه الاسترخاء والغثيان، وقد يقيء، أو يشعر بالنعاس، وكأنه يحلم، ومعظم من يفعلون ذلك ينتهي بهم الأمر إلى إدمان اللواط السلبي، لأنهم يسهل قيادهم، وشخصياتهم ضعيفة للغاية، والأولاد الأكبر منهم يستغلونهم جنسياً، والأطفال المُستغلون ينحدرون في بيوت مخلة والأب والأم فيها منفصلان، والرعاية لهم معدومة أو أنّ الأب مدمن والأم مسيطرة، وتتسبب لهم مع الإدمان تلف القلب والكبد، ويكون بهم خرَف، وعدم اعتداد بالنفس، وإدمانهم إدمان

نفسي وليس إدماناً فسيولوجياً، ولأنّ المدمنين أطفال غالباً فإنهم ينحرفون في سن باكرة، ويعتادون الانحرافات الجنسية وتكبر معهم، وتؤدي مع طول الزمن إلى اضطرابات وانحرافات أشد وأخطر.



- ٩ -
الجنس والمنبهات
Sexs & timulants

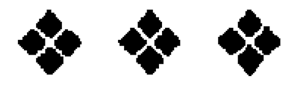
من المنبهات الشائعة الكافيين الذي نتعاطاه في القهوة والشاي، ولعل نيكوتين الطباق أكثر المنبهات شيوعاً في العالم. ويقبل الرجال والنساء بشراهة على القهوة والتدخين في الأزمات العاطفية الحادة، وأكثر الناس إقبالاً عليهما الأزواج الفاشلون، والزوجات المخيبات جنسياً اللاتي يعانين الجوع العاطفي. ومن دأب الرجال القادرين مالياً التداوي من العجز الجنسي بالكوكايين وهو من المنبهات، ومن مضاعفاته حالة النمل، فيستشعر الرجل المتعاطي كما لو كان ما يشبه البق يزحف تحت جلده أو فوقه، ومصدر تلك الهلوسة الجلدية فرط النشاط الذي يستحدثه العقار في أعصاب الجلد. والمنبهات عموماً تفيد جنسياً، ومتعاطيها يكون نشيطاً من الناحية الجنسية في أول التعاطي، ولكنه مع الإدمان يحتاج إلى زيادة الجرعة، ومع الحاجة إلى زيادة الجرعة تتولد مشاكل جديدة تصرفه عن الجنس، ويلاحظ من بعد عزوفه عن الجماع وانشغاله بالعقار والحصول عليه والتداوي من أعراضه الجانبية، وحتى الكافيين والنيكوتين لهما أعراضهما الجانبية. ولقد حدث أن ثارت نساء إنجلترا ضد استخدام الرجال للقهوة بدعوى أنها أفقدتهم رجولتهم، وقدمن لذلك كتيباً مشهوراً سنة ١٦٧٤ عرف باسم «دعوى النساء ضد القهوة». ولربما تكون للقهوة هذا التأثير الهابط للشهوة الجنسية، إذا أفرط المتعاطي في تعاطيها وقضى كل وقته ربما في المقاهي يحتسي القهوة ويدخن النارجيلة كما يحدث في بلادنا وخاصة في الشام، وقد يهمل الرجل واجباته الزوجية الجنسية

بسبب استغراقه في جلسات القهوة والنارجيلة، وقد يُساء تعاطي القهوة حتى ليشرب المتعاطي بين العشرين إلى الستين فنجاناً في اليوم، ولا بد أنّ هذه الكمية الكبيرة بالإضافة إلى النيكوتين وغيره قد تجعل من المتعاطي مدمناً، ومع الإدمان ربما يحق للنساء أن يشتكين عنة الأزواج، وربما كان ذلك هو ما دفع بعض الشركات إلى استخلاص الكافيين من القهوة وبيعها بدون كافيين، والاستفادة منه في شراب آخر مثل الكوكاكولا التي يدخل الكافيين في تركيبها، وهو ما جعلها تشتهر ويدمنها البعض لهذا السبب.

وقد يختلف الشاي عن القهوة حتى لقد قيل إنّ القهوة مشروب قوي يناسب أصحاب المزاج الثقيل، بينما الشاي مشروب خفيف يناسب أصحاب المزاج الرقيق. ولعل الشاي أكثر رواجاً في العالم، واتخذته بريطانيا مشروباً ينافس القهوة، وقيل إنّ الشاي ينبه الأعصاب وينشط الجسم ويفتح الشهية للجماع، ويبلغ استهلاك المدمن منه نحو العشرة فناجين في اليوم، وبعض الناس يفرطون في غليه ليناسب مزاجهم، ويشربه أهل الصعيد في مصر أسود كالحبر، وله مضاعفات قد تؤثر بالتالي على الرغبة في الجماع، وقد تتسبب عنه والقهوة زيادة الحموضة في المعدة، والإمساك الشديد، وارتفاع ضغط الدم، ومع إدمانه قد يصرف الانشغال بتوفيره وتجهيزه عن الانشغال بالجنس. والمنبهات عموماً كلما اعتادها المتعاطي، وصارت بالجسم حاجة إليها، ولم تكن ميسرة للتعاطي، أصيب الجسم منها بالفتور والتعب، وانخفضت به كل الشهوات وأخصها شهوة الجماع.

ومن المنبهات الكوكايين والأمفيتامينات، ويبز الكوكايين كل المنبهات في مقدار النشوة التي يستشعرها المتعاطي، ويُستخرج من نبات الكوكا، ويمنح المتعاطي شعوراً بالقوة والوهم بأنه قادر على كل شيء، وهو لذلك منشط فعال للرغبة الجنسية، ويزيد من الانتصاب إذا كانت جرعاته قليلة، إلاّ أنه بمجرد اعتياده والإدمان عليه يفقد المدمن قدرته الجنسية وينصرف عن الجماع بالكلية. وأما الأمفيتامينات amphetamines فتأثيرها شديد على

الجهاز العصبي المركزي، وتزيد يقظة المتعاطي وتخفض التعب، وتستحدث صفاءً ذهنياً يغري أهل الفن والأدب بتعاطيها، وقد يقبل عليها طلبة الجامعة أيام الامتحانات بالنظر إلى أنها تذهب عنهم النوم، ويتعاطاها بكثرة عارضات الأزياء لأنها تصرف الشهية عن الطعام فيتناقص الوزن، وكذلك قد يتعاطاها الرياضيون لتأثيرها المنظم للحركة، وليست للأمفيتامينات تأثيرات ضارة على السلوك بعامة طالما أنها تؤخذ بجرعات بسيطة، وهي مقوية للجماع، ومنشطة للرغبة الجنسية شديدة المفعول، والمتعاطي لجرعات قليلة المقدار، بوسعه أن يمارس الجماع لمرة أو مرتين وثلاث دون أن تُستنفد طاقته، أو تقل رغبته، أو يتوقف انتصابه. وربما كان لبعض الأمفيتامينات تأثير على الشفاء مؤقتاً من البرود الجنسي عند النساء إذا أعطين العقار بمقادير كبيرة، إلاّ أنّ استمرار زيادة الجرعات يصرف المتعاطي عن الجنس، وعلى ذلك يمكن رصد أثر الأمفيتامينات على الجنس من حيث أنها تطيل الانتصاب من غير قذف، ثم من بعد ذلك فإنّ المتعاطي يفقد هذه القدرة تدريجياً فيزيد الجرعة باستمرار.



– ١٠ –
الجنس والقات
Sex & Kat

القات نبات منشّط، ينمو في اليمن والصومال والحبشة، وكان الرحّالة يسمونه شاي العرب، والمادة الفعالة فيه هي القاتين، وتسبب الاعتماد النفسي، ولا تسبب اعتماداً فسيولوجياً، يعني ليس صعباً على المتعاطي أن يكف عن التعاطي، ولا توجد أعراض انسحاب إذا أراد الانسحاب، والقات يستحلب، وأوراقه تستحلب طازجة ولما يمض على قطفها أكثر من خمسة أيام، ويتناولونه جماعياً في جلسات التخزين، أو يدخنونه كالسجائر، أو يجففونه ويطحنونه، ثم يغلونه في الماء، ويضيفون إليه السكر والتوابل إلى أن يصبح كالعجينة، ثم

يقطعونه كرات صغيرة تُستحلب وتُبلع. ولا يظهر أثر الكرات مرة واحدة، وإنما لا بد أن يتم تعاطيه من أسبوعين إلى ستة أسابيع حتى يكون له مردود نفسي جسمي، يتمثل في الشعور بالنشوة، والخفة والتهيج، ويصحب ذلك الأرق. وخطورة القات أنه في البداية ينبه الجهاز العصبي، وبعد ذلك يهبطه، وفي المرحلة الأولى يصبح القات كمنشط جنسي، إلاّ أنّ اعتياده يضعف التركيز والذاكرة، ويتلبد به الحس، ولا يعود المتعاطي يبالي أو يستثيره شيء، ويضحك بلا سبب، ويستشعر الكسل والخمول وفقدان الشهية للطعام والجنس. والنساء في اليمن يتناولن القات ولهن جلسات كجلسات الرجال، والمرأة المدمنة تهمل بيتها وزوجها وطفلها الرضيع، وتصاب بالبلادة. والقات محظور دولياً، وقيل إنّ القات والقهوة وردتا إلى اليمن من الحبشة، والكلمتان أصلهما كلمة قهفا الحبشية، وعن المقريزي: أنّ الإسكندر تعاطاه، وكانت له مشكلات جنسية فوصفوه له، لعلاج عجزه عن الانتصاب، وضآلة قضيبه بسبب ضآلة جسمه، ووجد فيه بعض الراحة، ولكنه لما استمر يتناوله بانت مضاعفاته وتأكدت عُنته وانفضح حاله. ويرجع ضعف النسل في اليمن إلى هذا المنشط اللعين، والمشكلة أنّ اليمنيين مشغولين به عن التنمية. والقات دليل وجود اضطرابات أصيلة في الشخصية اليمنية، سواء عند الذكور أو الإناث، والمشكلة الجنسية عندهم من أصعب المشاكل بسبب إدمان هذا النبات.



- ١١ -
الجنس والمنومات
Sex & Hypnotics

قد تشتد الرغبة الجنسية بالمرء ولا يجد المنصرف لها، وقد تكون للحاجات الجنسية والعاطفية وطأة تقض مضجع النائم فيلجأ إلى المنومات يستعين بها على تحصيل النوم. والمنومات مركبات كيميائية لا تختلف في خواصها عن

المسكنات وأدوية القلق، ومن شأن تعاطيها بالكميات المطلوبة دفع الأرق. وأكثر من يُقبل على المنومات لدواعي عاطفية هن السيدات، وأكثر من يتعاطاها لدواعي جنسية هم الرجال، وبعضها قد يعتاده المتعاطي بدنياً أو نفسياً أو الاثنين معاً، والامتناع عن تعاطيها قد يصاب بسببه المعتاد بأعراض الامتناع، وقد تزاد الجرعة عمداً بقصد الانتحار، وكان انتحار مارلين مونرو الممثلة العالمية بالمنومات نتيجة مشاكل عاطفية لم تقو على مغالبتها. وكذلك كان انتحار جولييت في رائعة شكسبير «روميو وجولييت»، وكان تناولها للمنوم أولاً، ثم لما أفاقت انتحرت بسيف حبيبها. ولعل انتحار العشاق بالذات لا يكون إلاّ بالمنومات، لأنه مع الليل يشتد الإحساس بالوحدة وتكون الرغبات الجنسية والحاجات العاطفية أشد وطأة. والعاشق يطارده وجه حبيبته حتى في النوم، ومن شأن المنومات أن تقلل من فترة النوم المرمش وهو الذي تكون فيه الأحلام، ومن ثم تكون المنومات علاجاً للأحلام فلا يأتيه طيف الحبيب لأنه لن يحلم، فإذا توقف عن تعاطي المنوم لليلة، ربما لأنه قد يتبين له فجأة أنّ كميته معه قد انتهت، فإنه قد يعاني أكثر مما يعاني يقبل التعاطي، فتكون له كوابيس تزعجه حتى ليجتهد أن يجد المنوم من أي مكان ليستأنف التعاطي ويتخلص من إزعاجها.

وقد تكون المنومات عوناً مؤقتاً، إلاّ أنّ الواجب علاج المشاكل الرئيسية، والعلاج النفسي للمشاكل العاطفية. ولا توصف المنومات لشخص يعاني من أمراض أو اضطرابات يعالج منها بعقاقير قد يتعارض مفعولها مع النوم، أو قد تكون للمنوم مضاعفات، فمثلاً لا توصف مركبات الكورال لمرضى القرحة المعدية لتأثيرها المهيج للمعدة، ولا توصف المنومات بشكل عام للمرضى بالقصور الكلوي أو بالربو.



- ٢١ -
الجنس والمهدئات Sex & Tranquilizers

يصاب المحبون بالاضطرابات النفسية والعقلية، فقد تجافي المحب محبوبته فيلحقه من ذلك القلق أو الاكتئاب، وقد يذهل عما حوله إذا ضبطها متلبّسة بالخيانة، وقد يغضب وتأتيه نوبة هياج شديدة، وقد توصف له المهدئات، وهي ليست عقاقير مسكنة أو مخدرة ولكنها تستحدث فيه نوعاً من الهدوء لا يفقد به وعيه، ولا تتشوش به أفكاره، وتجعله أكثر تقبلاً للنصح واستقبالاً للإرشاد، ومن شأن تعاطيها أن تخف حدة القلق بالمتعاطي، وقد ينعس أو ينام، ويزول هياجه وتتوقف لبعض الوقت اتهاماته، وقد يتحسن حاله فيسهل علاجه نفسياً، وقد يزايله الاكتئاب. والمهدئات قسمان، رئيسية major وثانوية minor، وتعالج بالرئيسية الحالات الحادة، بينما تعالج بالثانوية الحالات الخفيفة، فيتطامن بها الخوف والتوتر والقلق، وتنخفض العدوانية، وتفيد في السيطرة على الحالات التي تأتي بعض السيدات عند النوبات العاطفية التشنجية، وقد يتسبب عن تعاطيها بكثرة - إدمانها.

والسيدات أكثر استهلاكاً للمهدئات من الرجال، وتبين من البحوث أنّ أكثر ما يدفع إلى تعاطيها أو وصفها هي المشاكل العاطفية، وفي بعض المجتمعات الراقية والأوساط الطلابية قيل إنه لا توجد سيدة أو آنسة إلاّ وفي حقيبة يدها علبة مهدئات، بالنظر إلى الحياة الانفعالية الشديدة التي تحياها أمثالهن، وقيل إنه في هذه الأوساط لا يمكن أن تعيش الواحدة دون مشاكل عاطفية، وتزيد احتمالات هذه المشاكل مع استمرار تعليم المرأة وتحررها اقتصادياً بالعمل، وزيادة مخالطتها للرجال، وانصرافها عن الزواج، وإقبالها على العلاقات الجنسية أو العاطفية الحرة، فتكون الخلافات الكثيرة حول مسائل الحب والمسائل التي

لها طبيعة جنسية، ويصفن المهدئات لبعضهن البعض، وكلما اشتدت وطأة هذه المشاكل كان إدمانها، وكانت الحاجة إلى زيادة جرعاتها، فإذا امتنعن عنها لسبب من الأسباب ظهرت بهن أعراض الامتناع التي قد تستوجب العلاج بمستشفى.

ويقال للمهدئات الرئيسية اسم المهدئات العصبية Neuroleptics، كما يقال للمهدئات الثانوية اسم المهدئات النفسية Psycholeptics، ومن خواص المهدئات العصبية: التهدئة وخفض الهياج وإزالة الأعراض الذهانية التي قد يصاب بها الرجال خصوصاً بتأثير الاضطرابات العاطفية، ولربما تكون فائدتها بالنسبة للأزواج الذي قد تأتيهم نوبات الهياج عقب مشادات عائلية عنيفة مع زوجاتهم، وقد يتناول الزوج السكين ويحاول قتل زوجته، وكانت هناك حالة قتل فيها الزوج أطفاله الستة وفشل في قتل زوجته، والمهدئات العصبية تستجيب لها هذه الحالات من الهياج. والمهدئات النفسية تطامن من القلق خصوصاً، وتزيد بها الرغبة الجنسية، ولكنها تكون رغبات هادئة غير مشبوبة، ومع استمرار تعاطيها يصاب المريض باسترخاء عضلة القضيب والعزوف عن الجنس، ومن مضاعفاتها النعاس والتشوش، حتى أنه قد يسترخي أثناء العملية الجنسية، وقد ينام.



- ٣١ -
الجنس والجريمة
Sex & crime

الجريمة الجنسية، سلوك ينتهك القواعد الأخلاقية الجنسية، والمجرم الجنسي: Sexual Criminal هو الفرد الذي ينتهك القواعد والأخلاق الجنسية في المجتمع. والسلوك الجنسي الإجرامي: هو المضاد للمجتمع ويخالف معاييره الأخلاقية. وعدم مسايرة هذه المعايير الأخلاقية الجنسية هو الانحراف Perversion، فإذا كان المنحرف Pervert من صغار السن أو الأحداث، فإنّ جريمته تسمى جنوحاً Delinquency، وأما إذا كانت الجريمة الجنسية بعيدة عن

المألوف والمعروف والسوي من السلوك، فإنها تعد شذوذاً Abnormality، والشخص الشاذ جنسياً Pervert Sexual هو الذي ينحرف سلوكه الجنسي عما هو سوي، وعما يعتبر نموذجاً للسلوك الجنسي المتوقع، ويتميز بأنه غير متزن فعلياً، ولذلك قد يرتكب العنف في جرائمه الجنسية، وغير سوي الشخصية بالنظر إلى ما يعتقده من قيم البيئة الفاسدة التي تربى فيها، وقد يرجع اضطراب شخصيته نتيجة اضطراب عضوي وظيفي عنده، كأن يكون متخلفاً عقلياً، أو مصاباً باضطراب عصابي أو مرض ذهاني، أو يكون سايكوباتياً؛ والسايكوباتيية Psychopathy هي أخطر ما يمكن أن يتصف به المجرم الجنسي، وقد يكون مجرماً عادياً يقوم بجريمته الجنسية عرضاً، وقد يكون مجرماً اعتاد الإجرام، يرتكب الجريمة الجنسية بعينها دون غيرها، كالمغتصب مثلاً الذي لا يفعل من الجرائم إلاّ الاغتصاب Rape، وهو فسق بالإكراه، يقال غصب المرأة واغتصبها إذا زنى بها قسراً، ويقال للرجل إنه غاصب Rapist، وعقوبة ذلك في القانون الوضعي السجن، وقد يحكم عليه بالسجن المؤبد، وفي التوراة المغتصب يُرجم، وفي القرآن يعتبر حرابياً، وعقوبته هي عقوبة الحرابة. والمرأة المغتصبة يقال لها أيضاً المغصوبة أو المغتصبة Rapee، وجريمة الاغتصاب قد تكثر في مجتمع عنها في مجتمع آخر، بحسب المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للشباب فيه، وقيل إنّ المغتصبات يشكلون ١٩٪ في السن بين العاشرة والتاسعة عشرة، وترتفع إلى ٢٢٨٪ في السن بين العشرين والتاسعة والعشرين، وتتدنى في النساء في السن بين الثلاثين والتاسعة والثلاثين إلى ١٠٤٪، وفي السن بين الأربعين والتاسعة والأربعين تهبط إلى ٠،٤٨٪، وتتزيد هذه النسب في البلاد الغنية والتي تشكو من الفوارق الاجتماعية والطبقية، وتقل في المجتمعات الإسلامية بالنظر إلى تدين الناس، وتكثر في البلاد النامية بالنظر إلى تدني فهم الناس والأحوال والظروف البيئية التي يعيشون فيها. وقد لوحظ في مصر مؤخراً دون بقية البلاد الإسلامية، زيادة نسبة حوادث الاغتصاب، ويرجع

ذلك إلى تحول المجتمع المصري من الاشتراكية إلى الخصخصة، وزيادة الفوارق الطبقية، وتدني مستوى المعيشة، وزيادة عدد الفقراء، فزاد بذلك عدد غير المتزوجين وغير المتزوجات إلى تسعة ملايين أعزب وعزباء! بالإضافة إلى رضوخ الحكومة للتعليمات الأمريكية بضرورة خفض نسل المسلمين، وعرقلة كافة الحلول للزواج، وإلغاء الدراسات الدينية الإسلامية، فتهيأت كل الظروف لانتشار الاغتصاب! وفي الرجال يبلغ متوسط عمر مرتكبي جريمة الاغتصاب أربعة وعشرين سنة ونصف، وأغلبهم من أصحاب السوابق، ويميزون بانحراف السلوك، وبالعنف، وتعاطي المخدرات، والتنشئة في بيئات معتادة الإجرام، ومعظم سوابق المغتصب جرائم جنسية، والمجرمون الغاصبون ثلاثة أنماط: نمط المغتصب الذي طال كبته الجنسي فينفجر فجأة وينتهز فرصة انفراده بالضحية ليمارس فعلته، ومعظم حوادث الاغتصاب يرتكبها هذا النوع من المجرمين الجنسيين، ونمطه إذن هو النمط الغالب؛ والثاني: المغتصب السادي، وهو يغتصب لأنّ الاغتصاب يشبع عنده ميوله الجنسية السادية، ولأنّ المرأة المغتصبة تتذلل له أن يتركها ولا يعتدي عليها، وتبكي وتركع تحت أقدامه، دون أن تدري أنّ ما تفعله يزيد من شهوته وعزمه على ارتكاب الجرم الجنسي. والجنس ليس هدفاً في حد ذاته بالنسبة لهذا النمط السادي، ولكنه العنف وإلحاق الأذى بالضحية؛ والنمط الثالث: هو المغتصب النهاب الذي يعيش على السطو ويغتصب إذا تسنى له الأمر. والغاصب قد يكون عاتياً عنيفاً لا تشبعه المواقعة إن لم يقسر المرأة عليها. وقد يكون عنيفاً لا ينتصب، فيكفيه العتو عن الجماع، وقد يلجأ إلى التهديد بالسلاح، ويختار لجريمته نساء لا حول لهن ولا قوة، وليست له بهم معرفة، ولا يهمه أن تكون ضحيته على شكل معين أو بصفات بعينها، ويعنف معها، وقد يسرق ما في حقيبتها، أو ينتزع ما تتحلى به من مصوغات، ربما استمراراً لممارسات سابقة في السرقة كان يزاولها من قبل، أو ما يزال يمارسها، وربما للتمويه على الشرطة. وقد يطلب من ضحيته أن تلحس قضيبه فإذا قارب

على الإنزال رقد عليها بالنظر إلى عنته، وبعض المغتصبين المعروفين بالعنة، يمارس الجنس مع الضحية بإصبعه وكأنه يضاجعها، ويتهيج كثيراً إذا كانت ما تزال بكراً، وفض بكارتها يلذ له ويهيجه جداً. وقد يكون الغاصب من أصحاب الشخصية اللاأخلاقية، ومثله لا يراعي ذمة ولا ضمير، ولا يهمه إلاّ نفسه ولذته، وبكاء الضحية يبهجه، وصراخها يرضي نوازعه، والنساء عنده وسائل لإشباع نهمه الجنسي، ويلجأ للعنف إذا قاومت المرأة وحرنت، ولكن العنف ليس غايته. وقد يتناول المغتصب الخمر أو يتعاطى مخدراً قبل أن يبدأ في البحث عن ضحية له. واغتصاب النساء يُبنى عنده عن كراهية مكبوتة لهن، وعدوانية مقيتة ضدهن، ومنذ صغره لم يجد متنفساً لانفعالاته، وقد يفاجأ الناس إذا قُبض عليه بالنظر إلى الوداعة المعروف بها، إلاّ أنهم يذكرون له أنه كانت لو ثورات يخرج فيها عن وعيه، وقد ينزو على الأعراض خلالها، وبعض أصحاب هذا النمط أشباه فصاميين، وقد يكون الغاصب ممن يعتقدون أنّ النساء شريرات بطبعهن، وأنهن مخلوقات ناقصة التكوين، وعدم امتلاكهن القضيب مثل الرجال خير دليل على ذلك، وقد يتيه فخراً أنه رجل وله قضيب، إلاّ أنّ إصابته بالعنة تجعله يكره الفرج لأنه الذي يكشف عنته ويفضح عجزه، فيأتي الاغتصاب انتقاماً، وقد يلجأ إلى تشويه فرج المرأة، وبعضهم قد يغتصب ومعه زجاجة ماء نار، يصب منها قليلاً على الفرج انتقاماً وتشفياً. وبعضهم لا يفعلون فعلتهم إلاّ مع المراهقات، والبعض يؤثر النساء العجائز، والبعض يفضل الشابات المتهتكات. وقد يكون من تفسير سلوك المجرم الغاصب أنه يخاف ضحيته، ويشعر أنه أضأل منها، وأنه الأقبح شكلاً، والأزرى هيئة، وقد يكون هناك أكثر من غاصب يشتركون معاً في جريمتهم، ومعظم جرائم الاغتصاب في مصر جماعية، والمغتصبون يمارسون الاغتصاب أمام بعضهم البعض، ويكثر عدوان الذكور على الأماكن الجنسية في المرأة كالثديين والشفتين والفرج والبطن والمؤخرة، وقد يجامع المغتصب ضحيته، ومع قرب إنعاظه يضغط على

رقبتها بيديه إلى أن تموت، وقتل الضحية يشبع الضعف الجنسي عند المغتصب، ويتميز هذا النوع من المغتصبين بأنّ رغباتهم الجنسية لا تأتيهم إلاّ على فترات، أو في شكل دورات، وقد يجدعون ثديي المرأة، وعادة ما يلعقون الجروح ويمصون الدم، وقد يعضون ما يحلو لهم من أعضائها، وقد تتملك الغاصب الرغبة في أن يشرب من دم ضحيته، وهو الاضطراب المسمى مص الدماء Vamparism، أو أن يأكل من لحمها Cannibalism، وقد يقذف قبل أن يولج، وقد لا يولج إطلاقاً، وقد تعصف به انفعالاته وتكون أكبر من طاقته على احتمالها فيفقد الوعي بما يفعل ويصبح كالحيوان الهائج، ثم يعود بعد الاغتصاب شخصاً عادياً إلى أن تأتيه النوبة التالية. وفي تفسير سلوك هذا النمط من المجرمين أنّ ما لديهم من مكونات تدميرية من المرحلة قبل التناسلية لم يُستدمج في شخصياتهم، ولم يصبح جزءاً منها، وظل منفصلاً عنها لا سبيل إلى السيطرة عليه. ومن هؤلاء فريق يتوجه بالاغتصاب إلى جثث الموتى من النساء، وهو الاضطراب المعروف باسم Necrophilia، فكلما توفيت امرأة وأعلن عن دفنها، يتربص بها المغتصب، ويفتح قبرها ويجامعها، وقد يمثل بالجثة ويشوه وجهها ويلقي عليها الأحماض، أو يأكل من لحمها. وهذا النوع مصاب بالذهان، أو أنه يخشى شعورياً أو لا شعورياً أن يتأنث، ويخاف الإخصاء، فيمثل بجثة المتوفاة بحسب ما يعاني، وشبيه بذلك ما يحدث للمراهقين عندما تنهار ضوابط الأنا الأعلى، فيتسلل المرافق إلى غرف النساء ليتلف ملابسهن الداخلية، ويمزق صورهن، ويقلب فرشهن.

ويبدو أنّ المجرم الغاصب غير ذواقة في مسائل الجمال إذا حضرته النوبة، وربما تكون الضحية في السبعين من عمرها، فيجامعها كرهاً ثم يقتلها. والاغتصاب جريمة جنسية خاصة بالذكور دون الإناث، فلا توجد غاصبة. وكذلك فإنّ الغاصب لا يعاني من الغلمة – أي شهوة الضراب عند الرجل Satyriasis، وعلى العكس فإنّ الغاصب إما لديه عجز جنسي، وإما أنه مضطرب الشخصية لا يتهيج جنسياً إلاّ إذا اعتدى وسرق ما

يخص غيره، والسرقة فعل مجرَّم، والسارق قد يكون غليماً، وغلمة السرقة Kleptolagnia هي رغبة ممتعة تلح على صاحبها أن يسرق، ويصاحب فعل السرقة ضرب من الهياج الجنسي، أو بالتعبير الاصطلاحي نوع من الشبق الإيلامي Algolagnia، والسرقة التي ليس لها ما يبررها شكل بديل من أشكال الإشباع الجنسي يدفع إليه الكبت أو الحرمان الجنسي. والسرقة المرضية، أو مرض السرقة، أو بالأحرى جنون السرقة Kleplomania، يعاقب عليها القانون بالسجن والغرامة، وفي الإسلام تقطع يد السارق، وفي القرآن قدّم السارق على السارقة بقوله تعالى: ﴿السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا﴾ (المائدة ٣٨) لأنّ أغلب من يسرق يكونون من الرجال، بينما في الزنا قال: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ (النور ٢). وفي التوراة عقوبة السرقة أن يعوض المسروق منه من السارق، فإن لم يكن عنده شيء فإنه يباع لحساب المسروق منه، وأما الزنا فعقوبته الرجم، وعلمياً وموضوعياً فإنّ هوس السرقة أكثر عند النساء منه عند الرجال، إلاّ أنّ الذين يضبطون من الرجال أكثر. والسرقة من الأفعال الجنسية المجرّمة، والسارقة مثلاً تسرق لشعورها بالنقص بالمقارنة إلى الذكر، وهي تعوض عن هذا النقص بالسطو على ما يمكن أن تكون له قيمة جنسية، ويعطيها الإحساس بالقوة وبالتفوق. ولربما يكون السارق في طفولته قد فطم قبل الأوان، وعلمه الحرمان العاطفي أن يكون عدوانياً يكره من رفضوا أن يحبوه ويرغب في إيقاع الأذى بهم. وقد يكون التورط في السرقة بقصد التعبير عن كراهيته لمجتمع سامه صنوف العذاب على يديه، فلربما يكون السارق الغليم قد عانى من أبيه، فيريد أن ينتقم من كل شرطي أو ممثل للسلطة به نفس الميول القاسية المتشددة التي كانت عند أبيه ويعامله بها، والشرطي، أو السلطة، أو أصحاب الأملاك يكون به لهم عداء خفي أزاحه عن أبيه إلى هؤلاء. والسارق ربما به حاجة لاشعورية إلى العقاب، أو ربما يقبل على السرقة لما تتضمنه من إثارة كثيراً ما يصفها بأنها شبقية، وقيل إنها

عنده بمثابة التعويض عن الحرمان الجنسي، أو هي دليل ضعف جنسي ينشد الإثارة في فعل السرقة ويلتمس بها الإشباع بديلاً عن الفعل الجنسي الحقيقي.

ومثل السرقة فإنّ القتل قد يكون بالقاتل هوس يقال له Homocidomania أي هوس القتل. وسفاح النساء: من المجرمين الجنسيين، وجريمته من أفظع الجرائم، ومعنى الهوس أنه الولع المرضي بشيء، وهوس القتل هو جنون القتل، وفي القتل الجنسي يكون الدافع إلى قتل النساء شديداً وملحاً ولا يقاوم، ويقسر السفاح على إلحاق الأذى بالنساء، ومحاولاته مصدرها عدوانية وكراهية لهن، أو أنه بمحاولة قتلهن يتخلص من مطالب جسده الجنسية، ومن عجزه عن أن تكون له علاقات سوية بالنساء، فلكي يتخلص من هذه المشكلة فإنه يقتل المرأة التي تلفت انتباهه إليها، أو التي يقرأ عنها، أو يسمع بها من آخرين، فلا تعود بعد قتلها تشغل حيزاً من انتباهه وتفكيره. وقد يكون مرض القاتل خوفه من النساء Genophobia، فيدفعه هذا الخوف إلى ارتكاب جرائمه الجنسية، وأصل الخوف من النساء هو الخوف من الجماع Coitophobia، أو الخوف من الزواج Gamophobia، أو الخوف من اللذة Hederophobia، وقد يخاف المجرم الجنسي من النساء لأنه يخاف الخطيئة أو يخشى التردي فيها Peccatiphobia، أو لأنه يخشى الغيرة، أو الأمراض التناسلية، أو لأنه ضنين بصحته ويرهب فقدان منيه، أو يخشى على نفسه وعلى غيره من مغبة الجنس ويعتقد أنه يلحقه منه الأذى أو النشوة، أو لأنه يخاف القدرة، أو لأنه ينزل النساء منزلة أمه، أو يخشاهن كموضوعات مقدسة. وربما يقتصر خوافه من النساء على خواف العذارى، أو خواف أعضاء المرأة التناسلية، ولهذا يُقدم على قتل المرأة التي تلفت انتباهه إليها، وبعض المجرمين يتعلل بأنّ للمرأة فرج ومن شأنه العض إلى أن يموت الرجل وهو داخلها، فيقتلها بهذا التوهم أو الزعم. ومن أقوى الدوافع لارتكاب الجرائم الجنسية: الغيرة المرضية، كغيرة عطيل على ديدمونة، والغيرة في حادثة الزوج

الذي قتل زوجته وأولاده الأربعة وعشيق الزوجة، فإنّ الزوج كان يشكو العنة المزمنة، وكان سيكوباتياً، فاتهم الزوجة وصديقه، وكرهه كمنافس له، واتهمها بالخيانة، ولم تكن لشكوكه أساس، وليس للغيرة المرضية أساس غالباً وإنما هذا المجرم السيكوباتي ضخّم الظروف لأسباب في نفسه أهمها أنه عنين، وشكوكه تشعره أنه ناقص وغير كفء طالما أنّ زوجته قد انصرفت عنه إلى آخر، وصار يتعذب بالغيرة، وكان الغدر فيه هو نفسه، لأنه كان في الأصل لص سيارات، وأسقط ما فيه على صديقه، وفي الغيرة المسقطة Projected Jealousy يقصد الغيور بالتعبير عن شكوكه وإلصاق التهمة بالطرف الآخر، أن يدفعه إلى موقف يحقق به غيرته. ولربما كانت غيرته مزدوجة، بمعنى أن يغار على امرأته شعورياً، ولا شعورياً يغار أيضاً من عشيقها، فيكون حبه لها غيرياً، وحبه لمنافسه عليها مثلياً، وفي هذه الحالة يكون هذا الزوج ظاهر الجنسية الغيرية، وكامن الجنسية المثلية، فمع أنه يبدي الكراهية للمنافس، إلاّ أنه في أعماقه يريده لنفسه، ومشاعره إزاءه لذلك تكون مشاعر مزدوجة، ولذا فقد قتل زوجته أولاً بعد أن عذبها وأجبرها على أن تعترف بما لم ترتكبه، ثم خدع المنافس واحتال لضربه بالسكين في جنبه ثم في وجهه، وتركه مدة ساعتين لا يقضي عليه، ثم قضى عليه أخيراً. ولا بد أن نلاحظ أنّ متعاطي المخدرات تكون غيرته في شكل هذاءات وملاحقة للزوجة ليخفي بذلك عنته. ولم يكن برنارد شو - الأديب الفيلسوف البريطاني - يرى في الغيرة إلاّ أنها دافع إلى نوع من الجرائم أطلق عليها اسم الجرائم العاطفية Crimes of Passion.

والبغاء Prostitution من الجرائم الجنسية، وفي القانون: البغاء إباحة المرأة نفسها لارتكاب الفحشاء مع الناس بدون تمييز نظير أجر تحصل عليه. وفي القانون الفرنسي: البغاء هو إقبال المرأة بشكل عادي لئن تكون لها علاقات جنسية مع عدد غير محدود من الرجال نظير أجر. ويقال للمرأة بغي لأنها تبغي الرجال، أي يأجّرونها جنسياً، ولأنها تحترف البغاء وتقتضي أجراً عينياً،

ولذلك ليست البغي مجرد زانية، ولا خلطة Promiscuous، حيث الأولى تزني لغلبة الشهوة عليها، والثانية تشتاع الرجال، وكلهن منحرفات جنسياً لأنهن يمارسن الجنس خارج نطاق الزوجية، ويدرج سلوكهن ضمن جرائم الجنس Sex Crimes. وقد يحترف الذكور البغاء، وبغاء الذكور Male Pr. غيري الجنسية Heterosexual ، يعني أنّ الرجل يؤجر للنساء، وهو يتعمد أن لا يمني معهن، ويكون عادة غليماً، أي عنده القدرة أن يأتي أكثر من واحدة. وهناك بغاء للذكور ولكنه مثلي الجنسية Homosexual، يعني أنه يؤجر من الرجال، ودوره هو دور الرجل، والزبون دوره دور الأنثى. وتتفاضل البغايا فيقال العاهرة Housegirl للبغي المرخصة كما في تركيا وألمانيا، والمومس Call Girl للفاجرة التي تمارس صنعتها نهاراً، من ماست أي تبخترت واختالت، ويشرف على حرفتها عادة قواد Procurer، وغالباً ما يكون طلبها بالتليفون المحمول، وقد تؤم الحانات واسمها عندهم لعوب الخمارات Bar Girl، أو B. Girl، وقد تتصيد زبائنها من الشارع وتسمى السكاكة Streetwalker. وتقر البغي بمغايرتها لبقية النساء، وقد تحن إلى الحب، وتهفو أن تكون محبوبة، مثلها مثل الناس جميعاً. وقيل إنّ البغي عنينية وذلك سبب احترافها البغاء ولأنها باردة جنسياً فإنها لا تنفعل في الجماع، وأغلب البغايا مصابات بالفصام وباضطرابات في الشخصية، وقد يتصل البغاء بالتخلف العقلي، وضعف المقاومات النفسية، وتهافت الأنا الأعلى، وسوء التربية، والافتقار لإطار مرجعي من القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية.

والزنا Adultry من الجرائم الجنسية التي تعاقب عليها كل القوانين، وفي البلاد الإسلامية فإنّ مضاجعة رجل وامرأة ليس بينهما زواج هو زنا، وفي القانون الأمريكي والبريطاني العلاقة الجنسية غير الشرعية بين الرجل والمرأة تعتبر فحشاء Fornication، وأما إن كان أحدهما متزوجاً فتعتبر هذه العلاقة في هذه الحالة زنا، وفي اليهودية عقاب الزنا الرجم، وفي النصرانية عقاب الزاني والزانية أن يعتزلهما

المجتمع، وفي الإسلام فإنّ عقابهما الجلد مائة جلدة، وفي الحديث يُفرّق بين المتزوج والمتزوجة وبين الأعزب والعزباء، وقيل يكون الرجم للمتزوج والمتزوجة، والجلد للأعزب والعزباء، وهذا ليس في القرآن ولكنه منسوب إلى السُنة، والسُنة لا تنسخ القرآن، وهذه الأحاديث عن الرجم باطلة. وفي كتب علم النفس يطلق على الزنا أنه Post Marita Coitus، أي الجماع يمارسه رجل أو امرأة متزوجة مع آخر أو أخرى ليست هي الزوجة أو ليس هو الزوج، وفي التقرير المشهور لكينزي فإنّ هذا النوع غير الشرعي من الجماع نجده في الحيوانات مثلما في الإنسان، ونجد كذلك تحريمه بشدة في عالم الحيوان، ويفرق كينزي بين الجماع وبين الحب، فليس شرطاً في الجماع أن يكون مبنياً على الحب، ويؤيد وجهة نظره بأنّ هناك مجتمعات تسمح بالجماع خارج نطاق الزوجية بالنسبة للرجل للتخفيف عليه من أعباء ومطالب الأسرة، فله أن يتلمس أسباباً للبهجة بخلاف الطرق الشرعية. وأياً كانت المجتمعات متحضرة أو متخلفة فإنها لا توافق على أن ترتكب المرأة المتزوجة الزنا مخافة اختلاط الأنساب، وأن يُنسب إلى الزوج أولاد ليسوا أبناءه على الحقيقة. ورصد كينزي نسبة الرجال الذين يرتكبون الزنا إلى النساء اللاتي يفعلن ذلك، فتبين أنّ النسبة في الرجال ٨٥٪ بينما في النساء ٥٦٪. وهذه الإحصاءات خاصة بالمجتمع الأمريكي منذ نحو خمسين سنة، وتغيرت الأمور فيها تغيراً شديداً، وصار من النادر أن تجد فتاة أمريكية في المدرسة الثانوية ما تزال بكراً، وصار من النادر أن تجد مراهقاً أمريكياً لم يجرب الجماع مع الفتيات المراهقات مثله. والزنا له مضاره الشديدة، ويؤدي إلى ارتباكات بالنسبة للفتاة التي لم تتزوج، وبالنسبة للزوجة التي تعيش في كنف زوجها، وهو مجلبة للأمراض، وأخطرها الأيدز، وقد يعذر الفتى والفتاة غير المتزوجين، ولكن ما عذر المتزوج والمتزوجة؟ فلا بد أنّ هناك من الأسباب النفسية غالباً ما يدفع إلى مثل ذلك الفعل الفاحش، وأولاها الخلافات الزوجية، ثم تسلط أحد الزوجين على الآخر. والزنا يذل نفس

الزوجة ويحقر ذاتها Self debasement، والزوجة التي تأتيه لا كرامة لها، وإذا كان هناك ما يمكن أن يمايز الرجل عن المرأة، فهو أنّ للمرأة كرامتها، وللرجل شرفه، وفي فعل الزنا إهانة لشرف الرجل، وحط من كرامة المرأة. ولم يكن اعتباطاً أنّ الأنثى في الإنسان لديها غشاء بكارة دون بقية مخلوقات الله، وقد حار أهل العلم في حقيقة فائدة هذا الغشاء فلم يتبينوا له فائدة ما، وأهل الدين هم الذين نبهوا إلى فائدته، فالإنسان هو الوحيد من الكائنات المكلف أخلاقياً، وغشاء البكارة يميز المرأة البكر عن الثيّب، ويرتبط ذلك بالشرف وهو أعلى قيمة أدبية عند الإنسان.

والزنا قبل الزواج غير مقبول، وأكثر من ذلك فهو مستقبح بعد الزواج، وغشاء البكارة برهان مادي على أخلاق البنت، وأما السيدة المتزوجة فزوجها أدرى بها وأعرف بأحوالها، وهو الذي يحكم بإخلاصها من عدمه. والمرأة التي تطلب الجنس خارج الزواج مشتاعة وخلطة ولا تنتمي لنظام الزواج، وستخرج عليه المرة بعد المرة، والخلطة Promiscuous هي التي تضاجع هذا وذاك طلباً للتغيير، وقد يثبت أنّ الثانية لا تستشعر لذة جنسياً خاصة، وإنما لذتها أن تخرج على النظام. واعتبر بعض المفكرين أنّ ما نشهده الآن من وجوه الزنا، وقلة الإقبال على استخدام هذا المصطلح لأنه يذكّر بالدين، هو ثورة جنسية Sexual Revolution، ولذلك ينادون بإلغاء جرائم الزنا، واللواط، والجماع مع الأطفال، والتخنث، والاشتياع!.

ومن الجرائم الجنسية هتك العرض، وهو من أنواع السلوك الجنسي العنيف، ويفصح عن ميول سادية، والمثل لهتك العرض أن تمسك المرأة بخصيتي الرجل وتقبض عليهما بشدة، أو أن يطرحها الرجل أرضاً ويفض بكارتها بإصبعه، أو أن يلامس امرأة في عجزها. والتحريض على الفسق جريمة أخرى، وكذلك الفعل الفاضح، ومنه الفعل العلني الذي يخدش الحياء ويجرح الشعور، والفعل غير العلني هو الذي يقع على الغير ولا يشهد عليه أحد سوى من وقع عليه الفعل. وبعض الأفعال الجنسية

تعتبر جرائم، مثل جريمة انتهاك حرمة الآداب، بطبع صور جنسية فاضحة وعرضها للبيع، أو أفلاماً مخلة بالآداب، أو مؤلفات داعرة في الجنس بقصد الاتجار.

ومن الجرائم الجنسية كما ذكرنا اللواط سواء كان ذكورياً يتوجه من الرجل للرجل، أو أنثوياً يتوجه من الأنثى للأنثى، ولذلك يسمى اللواط جماعاً مثلياً، وهو شذوذ جنسي سافر ويعاقب عليه القانون (أنظر اللواط في بابه).

تمّت الموسوعة النفسية الجنسية
بحمد الله ومنّته.




Bibliotheca Alexandrina
0586445